الأدب الإسلامي

٨٨

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٨٨) - ١٤٣٦-١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م

أهمية المكان في إثراء التوهج الروحي في ترجمة أبي الحسن الندوي لروائع إقبال

نموذج المرأة في الحضارتين الإسلامية والغربية في الرواية العربية

القضايا الإنسانية في شعر عيسى أبو بكر من خلال الحس الإسلامي

اللاأدب وصناعة الوهم الإبداعي

جماليات الأدب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الجاحظ والتعليم

لعل من أبلغ ما قيل في الإشادة بالجاحظ قولة ابن العميد: «كتبُ الجاحظ تعلم العقل أولاً، والأدب ثانياً». ولقد كان الجاحظ في حياته مثالاً للمتعلم الذي يطلب العلم من كل سبيل، وكان في كتبه مثالا للمعلم الذي يعرف حقاً كيف يعلم العقل والأدب معاً. وإن الدارس لكتب الجاحظ ورسائله لابد أن تستوقفه جملة من الآراء التربوية تعد نتاجاً بكراً بالنسبة إلى عصر بعيد عن عصرنا الذي بلغت فيه التربية أوج ازدهارها.

وأول ما يطالعنا في هذا السبيل ذلك الفصل الذي عقده الجاحظ بعنوان (رياضة الصَّبيّ)، وفيه يشير إلى ما تأخذ به التربية القديمة من أن عقل الطفل يشبه عقل الراشد فيقول: «فمما أعان الله تعالى به الصبيان أن قرّب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول العالمين».

ولكنه نبّه في الفصل ذاته على أنه ينبغي على من يتصدّى لرياضة الصبيان أن يتوخى حكاية عقولهم، فقال: «ألا ترى أن أبلغ الناس لساناً، وأجودهم بياناً، وأدقهم فطنة، وأبعدهم روية، لو ناطق طفلاً أو ناجى صبياً، لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان والشبه لمخارج كلامهم».

ويرى الجاحظ أن هناك مبدأين ينبغي أن يتحكما في ترتيب مواد الدراسة، فالمبدأ الأول هو أهمية المادة من حيث نبل الموضوع أو غثاثته، ومن حيث فائدته أو تفاهته. وأما المبدأ الثاني فهو ما تنادي به التربية الحديثة من مراعاة ميل المتعلم واستعداداته، وإمكاناته الطبيعية التي تدنو به من مادة، وتبعد به عن أخرى. ويلحّ الجاحظ في عرض رأيه فيقول: «وخصلة ينبغي أن تعرفها وتصطنعها وتتذكرها، وتقف عندها، وهي أن تبدأ من العلوم بالمهم، وأن تختار من صنوفه ما أنت له أنشط، والطبيعة به أغنى، فإن القبول له على قدر النشاط، والبلوغ فيه على قدر الغاية، ثم من أفضل أسبابه تخليص أخلاطه، وتمييز أجناسه، والمعرفة بأقداره، حتى تعطي كل معنى حقه من التقريب والرفعة، وقسطه من الإبعاد والصنعة، وحتى لا تتشاغل إلا بالسمين، وبالخطر النفيس، ولا تلقي إلا الغث الخسيس والحقير السخيف».

رئيس التحرير

جماليات الأدب الإسلامي

أنا لم آت هنا لأغير مفاهيم مستقرة في دستور هذه الرابطة العالمية الكريمة، ولكنني جئت أحاوركم حول جملة أفكار خطرت لي وطلابي حين التقينا معاً، وانشغلنا بموضوع الأدب الإسلامي، لكونه مادة في منهاجهم لدرجة الدكتوراه في جامعة العلوم الإسلامية. وقد كانت المحاضرات أقربَ إلى المحاورات والنقاشات منها إلى إلقاء المحاضرات الجاهزة، وبعدها أسئلة هامشية تأتي وتذهب ثم ينتهي كل شيء.

نعم، كانت حواراتٍ لا تنتهي بين المتحاورين: أنا وطلبتي. وحين أقول: أنا وطلبتي، لا أعني أنني كنت في اتجاه وطلبتي في اتجاه آخر، ولكني أقول: كنا نتبادل الأفكار القديمة والجديدة، أو المستقرة والمستجدة: نتفق ونختلف لا فرق، المهم أن النقاش كان للخير وفي الخير. كنا نتناقش في مسائل متعددة للإجابةِ عن أسئلة تبدو سهلة متداولة، لكننا حين نواجهها بغية القناعة والإقناع تغدو صعبة. ومنها:

أولا: مفهوم الأدب الإسلامي.

ثانيا: واقع الأدب الإسلامي كما يدركه الجمهور.

ثالثا: علاقة الأدب الإسلامي بالأدب العام؟

رابعا: الأسلوب الذي ينتهجه الأدب الإسلامي في التعبير عن ذاته وقضاياه؟

خامسا: مدى توافر آليات الفن والجمال في الأدب الإسلامي.

سادسا: المشكلات التي يواجهها الناقد الأدبي في تقويم الأدب الإسلامي؟

سابعا: جواز إخضاع الأدب الإسلامي لمفاهيم النظريات النقدية الغربية الحديثة؟

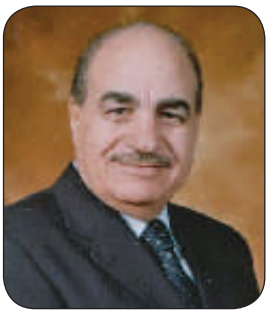

أ.د.عبد القادر الرباعي(*) - الأردن

هذه بعض الأسئلة التي واجهناها وستواجهها هذه المحاضرة للإجابة عنها تصريحاً أو تلميحاً، تاركةً بعض الإجابات لما قد يكون مجالاً للتفاعل والتشارك والحوارات القادمة التي تتلو المحاضرة.

لا أكتمكم أنني حتى مساء أمس كنت عازماً على أن ألقي إلقاء شفوياً ما لدي من أفكار قد تكون مختلفة نوعاً ما، لكني - لأهمية الموضوع ولضبط مفاهيمه لدي - قررت أن أقيد أفكاري لأكون مسؤولاً عما فيها من اتفاق أو اختلاف، ولحصر هذه الأفكار في مجالات محددة، لكن القضية تظل أكبرَ، والأسئلةَ تمسي أصعبَ مما ستتناوله هذه المحاضرة، فما نتداوله هنا ليس سوى صُوى على طريق الفهم والإدراك لمسائلَ أبعدَ وأكثرَ تشعباً.

لكنني -على أية حال- سأعزز مقولاتي ببعض الأمثلة الشعرية من مجالات الأدب العام ليكون الميدانُ تطبيقياً أكثرَ منه فلسفياً. كما سأستعيد بعض الحوارات التي كانت تدور بيني والطلبةَ؛ فهم فيها في مرحلة الدكتوراه، مرحلة النضج الفكري القابل للتداول في حينه أو بعد حين قريب.

لم أفصل نفسي في حواراتنا عنهم، فقد كنا نتحاور في مستوى متقارب إن لم يكن متساوياً. وفي حواراتنا كان بعضنا يرى ما هو قائم في الفهم العام من أن الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يتناول الموضوعات الإسلاميةَ، وهي واضحة لا تحتاج نقاشاً، لكن بعضنا اختلف وقال:

بل الأدب الإسلامي هو الذي يعبر أبعد من الموضوع، فهو يلامس الأفق الإسلامي أو الثقافة الإسلامية المكتسبة بعموميتها، ولا يقف عند موضوع إسلامي محدد.

استثار هذا القول المختلف رأيًا ثالثاً فتساءل: هل هناك فرق بين الموضوع والأفق؟

فرد صاحب الأفق ومن يوافقه الرأي: بل هناك فرق شاسع بين هذا وذاك.

سأل آخر: ما الفرق؟

وأجاب غيره: الموضوع الإسلامي هو ما له علاقة بقضايا أساسية تخص المسلمين في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغير ذلك مما ينص عليه القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الموثوقة.

فرد صاحب الأفق: لكن هذه الموضوعات يعلمها المتفقهون في الدين الإسلامي، وهم القادرون أكثرَ من غيرهم على معالجتها، فهل تريد من الشاعر أو الناثر الفني أو القاص أو الروائي مثلاً أن يكون عالماً بها ليعبر فنياً بما يقترب منها؟ يكفي الأديب أن يتشرب روح الإسلام، وأن يتخلق بخلق الإسلام، ثم ينطلقَ أدبياً يكتب في كل موضوع آخر. إنه في هذا يكتب أدباً إنسانياً وإسلامياً في الوقت عينه: شعراً كان أم قصة أم رواية أم أي غرض أدبي آخر من هذه الفنون جميعا، بل إنه وهو يكتب أدباً إنسانياً إنما يعرض فيه روح الإسلام، وهذه الروح هي روح إنسانية في آن معاً؛ لأن الإسلام إنسانيُّ النزعة، والأدب كذلك. فغايته في النهاية ملامسة هذه الروح الإنسانية، منتقلاً إليها بوسائله الخاصة التي قد تكون محلية، لكنها ترتقي من المحلية إلى العالمية أو الإنسانية..

يبتسم ذلك المدافع عن الموضوع فيرد: هل يعني أن شاعراً يقول متغزلاً بالمرأة مثلاً، إنما يقول شعراً إسلاميا!؟

يرد عليه صاحب الأفق: نعم. إن كان ما يقوله لا يتنافى وأفق الإسلام، وخلق الإسلام، فليس حضور المرأة في الشعر يعني بالضرورة انحرافاً خلقياً، وإنما هو في بعضه لازمٌ لزومَ حضور الرجل فيه؛ فالحكم على الاثنين مرتبط بالنص لا على الحضور من عدمه. فالله كرم الإنسان رجلاً كان أم امرأة. ألم يقل سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء - ٧٠)؟!.

أجاب المختلف معه: أعطني نصاً ما دام الحكم على النص لا على الحضور؟

قال له: انظر إلى قول هذا الشاعر الذي كان للمرأة في شعره حضور إنساني كريم. يقول:

وجئت إليك لا أدري لماذا جئت
فخلف الباب أمطار تطاردني
شتاء قاتم الأنفاس يخنقني
وليس لديَّ أحبابُ
ولا بيتٌ ليؤويَني من الطوفان
وجئت إليك تحملني
رياح الشك للإيمان
فهل أرتاح بعض الوقت في عينيك؟!
أم أمضي مع الأحزان
وهل في الناس من يعطي
بلا ثمن بلا دين بلا ميزان؟!

فالمرأة سكن الرجل، وهي التي ظن الشاعر محقاً أن تمنحه الدفء والحب والحياة، تعويضاً عما افتقده عند غيرها ممن لا يقدمون عوناً بلا ثمن ولا دين ولا ميزان؟ بل قادته ثقته التي لم يعرف كنهها من الشك بالناس وقد طاردوه، وشردوه، وقاسى منهم ما قاسى إلى الإيمان بها بوصفها الإنساني امرأة خلقها الله لتكون للرجل ملاذاً آمناً، تعينه في محنه في الحياة، وتسنده اتقاء من شرور الأشرار. ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم- ٢١)؟

ألا تستثيرك هذه الأبيات لتتذكر نساء المسلمين، وخاصة موقف السيدة خديجة رضي الله عنها عندما أتاها الرسول عليه السلام بعد نزول الوحي يقول: دثروني، كيف حنت عليه، وكانت له سنداً وأنساً وسكناً!؟

وإذا أردت أن تجعل الأبيات عامة تشمل الرجل والمرأة فأنت بعد ذلك لا تحتاج إلا أن تضعَ فتحةً على الكاف بدلاً من الكسرة لتتذكر مواقف الرجال كموقف أبي طالب وهو يدفع عن الرسول ﷺ بغي قريش، وكمثله موقف أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل الصحابة الكرام في بداية النبوة.

أصغى صاحب الرأي المخالف، وأشار بإيماءة تنطق نيابة عنه: نعم، كل ما قلته صحيح، الإسلام دين الأمن والأمان، والمرأة سكن للرجل، كما أن الرجل سكن للمرأة. ولعلنا إن رجعنا إلى الأبيات افترضنا أن الشاعر إنما كان في مرحلة الاختبار والاختيار خاصة في ذكره الحب والبيت والأمان والإيمان.

وانبرى ثالث يعقب على طبيعة قول الشاعر، ليقول: لكن التعبير عن موضوعات الإسلام أو أفق الإسلام إن سلمنا لك بما قلت، لا يكون بهذه الطريقة الملتوية التي قد نتفق وقد نختلف على فهم أبعادها. إنه التعبير المباشر الذي لا يحتاج تأويلاً بعيدا كما هي حالة هذا الشاعر.

ورد عليه صاحب الأفق ليقول: بل طريق الأدب طريقٌ غيرُ مباشر. إنه طريق الصورة والاستعارة وكل ألوان القول الجميل. خذ مثلاً أحمد شوقي يقول شعراً وهو في حضرة الآثار الإسلامية في الأندلس:

لم يرعني سوى ثرى قرطبيٍّ
لمستْ فيه عِبرةُ الدهر خمسي
يا وقى اللهُ ما أصبِّحُ منه
وسقى صفوةَ الحَيا ما أُمسّي
قريةٌ لا تعدّ في الأرض كانت
تُمسكُ الأرضَ أن تميدَ وتُرسي

تملَّ معي روعة المعنى، وجمال الصياغة الأدبية الرفيعة، والتشكيلات اللغوية الفنية في الأبيات، وخاصة في اجتماع الضدين في البيت الأخير: هذه القرية الرمزية تبدو صغيرة لا تعد شيئاً قياساً بالأرض الكبيرة الواسعة وفق الحسابات الآركولوجية المادية، لكنها غدت بفعلها وقيمها ومثلها الإسلامية تمسك بتلابيب الأرض كلها، تضبط أطرَها الحضاريةَ، وأنظمتَها الهيكليةَ قواعدُ إلهيةٌ جسدتها قوة المؤمنين بالله رباً حكيماً عظيماً.

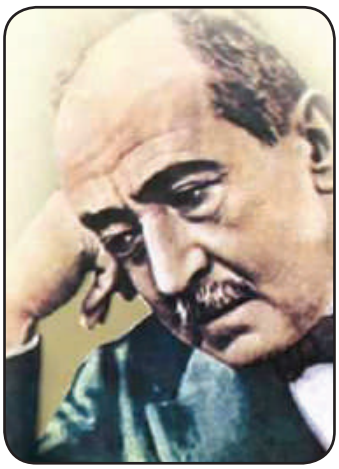

أحمد شوقي

ثم تملَّ جلال الفن في رثائه الأندلس وغيرها من مدنٍ إسلامية آلت لغير المسلمين بعد أن تغير الحال، ومالَ العدل، وانهدم البنيان:

يا أخت أندلسٍ عليك سلامُ

هوت الخلافةُ عنك والإسلامُ

نزل الهلالُ عن السماء فليتها

طُويتْ وعمَّ العالمين ظلامُ

أو قولَه في الهمزية النبوية:

ولد الهدى فالكائناتُ ضياء

وفم الزمانِ تبسمٌ وثناء

الروح والملأ الملائك حوله

للدين والدنيا به بُشَراءُ

وحديقة الفرقان ضاحكة الربا

بالترجمان شذيةٌ غناءُ

هل تخيلت يوماً أن ينزل الهلال عن السماء؟! لكن الشاعر تخيله في لحظة الضيق التي انتابته مثلما انتابت كل مسلم وهو يرى الخلافة الإسلامية تتهاوى، وأن الإسلام غاب عن أرض فتحها، وعمَّرَها لسبعة قرون خلت. إنها حالة من حالات الهذيان النفسي والمعنوي التي أوصلت الشاعر أن يرى الهلال - وهو رمز الإسلام - ينزل من عليائه ومكانه الأبدي. فالمصيبة أكبر من أن يتلقاها المسلم باتزان. وبالمقابل هل تخيلت أن للفرقان حديقةً ضاحكةَ الربا؟ لقد تخيلها الشاعر كذلك من منطقة الفرح الغامر حين استشعر بشرى ولادة المصطفى أو الهدى كما أحب أن يسميه مباشرة.

نعم الأدب الإسلامي الحقيقي هو أدب فني جميل يبتعد عن المباشرة إلى الإيحاء بالفكرة من خلال وسائطه الفنية المعروفة والمألوفة. وهي التي تسير به إلى المشاركة والتفاعل الإنساني المنتج.

إن الأدب الإسلامي بصفته الأدبية يتحلى بكل سمات الأدب الجميل، كالإيحاء بالفكرة إيحاء خفياً تستفز المتلقي، وتبعث فيه حافزية المعرفة، وشهوة الاكتشاف، مبتعداً عن الكتابة التقريرية التي تؤول هامدة جامدة لا تتحرك ولا تحرك ساكناً.

إنه يستخدم أدوات الفن الجميل من تشبيه وتمثيل واستعارة وإيقاع. يقول عبد القاهر الجرجاني في الاستعارة قولاً لم يزد غيرُه عليه. قال: «رأيت العقلاءَ كلَّهم يثبِّتون القول بأن من شأن الاستعارة أن تكون أبلغ من الحقيقة (دلائل الإعجاز: ٤٣٢)، وإذا علمنا أنه عرف الاستعارة بأنها استخدام شيء للتعبير عن شيء آخر؛ أدركنا أن التعبيرَ غيرَ المباشر أبلغُ من التعبير المباشر. وعبد القاهر في احتفائه بالاستعارة أشار لأول مرة بما سماه معنى المعنى. ألا تدري أنه في بداية القرن العشرين أصدر ناقدان بريطانيان كتاباً استوحيا فيه نظرية عبد القاهر فسميا كتابهما معنى

المعنى: The Meaning Of Meaning.
ثم ألا تعلم بأن أحد هذين الناقدين هو ريتشاردز الناقد الشهير الذي قرأنا له كتابَ مبادئ النقد الحديث، وكتابَ النقد التطبيقي وغيرَهما.

نعم إن الأدب بأسلوبه الإيحائي – والأدب الإسلامي جزء منه – يمنح الناقد الكفُؤَ فرصة الاجتهاد لقراءة لغة ما بعد اللغة، أو معنى المعنى ليأتي بنص جديد في إطار نظريات التلقي والتأويل.

* * *

أنتقل بكم إلى موضوع آخر هو مديح الأفراد؛ قال أحدهم استكمالاً لحواراتنا: أرى أن من نصوص المدح العام ما هو جدير بأن يكون من الأدب الإسلامي، وإليكم النص الآتي:

فتى لبست منه الليالي محاسناً
أضاء لها الأفْقُ الذي كان مظلما
مُعاني حروبٍ قوَّمت عزمَ رأيه
ولن يصدقَ الخطيُّ حتى يقوَّما
غدا وغدت تدعو نزارٌ ويعربٌ
له أن يعيش الدهرَ فيهم ويسلما
تواضعَ من مجد لهم وتكرم
وكلُّ عظيم لا يحب التعظما
لكل قبيل شعبة من نواله
ويختصه منهم قبيل إذا انتمى
أبا القاسم استغزرت درَّ خلائق
ملأن فجاج الأرض بؤسى وأنعما
سلام وإن كان السلام تحية
فوجهك دون الرد يكفي المسلما

البحتري

ألا يستثيركم هذا الوصف فتتمثلوا من خلاله معرفتَكم عن صفات محمد عليه السلام!؟ أو بم تردون لو قال لكم أحدهم: إن هذه الصفات هي صفاتُ رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، خصوصاً أن فيها إشارة إلى كنيته عليه السلام (أبو القاسم)؟

رد أحدهم: نعم هذه بعض أوصاف المصطفى، لكن قل لنا: من صاحبها؟ ومن الشاعر؟

قال: أوصاف المصطفى عليه السلام هي الأصل، وهذه النسخة المستعارة: إنها أوصاف بطل مسلم تخيله الشاعر، وقد غير الباطلَ حقاً، والهزيمةَ نصراً، حتى نهضت الأمة المتهاوية فصمدت من جديد، اسمه هيثم الغنوي، له بطولاتٌ مشهودة في التاريخ، لكن الموضوع الذي أتى ذكره فيه هنا هو وصف البحتري للربيع. ألا يقدم لنا البحتري في وصفه الربيع في مثل هذا الإطار أدباً إسلامياً؟

قال آخر: ما دمتم وسعتم دائرة الأدب الإسلامي، فإني سآتي لكم بمثال من وصف الطبيعة، وسترون أنه نص يصلح أن يكون نصاً من الأدب الإسلامي.

قال الشاعر:

يا صاحبي تقصيا نظريكما
تريا وجوه الأرض كيف تصوّر
تريا نهاراً مشمساً قد شابه
زهر الربا فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى إذا
جُلِيَ الربيع فإنما هو منظر
من كل زاهرة ترقرق بالندى
فكأنها عين عليك تحدر

تبدو ويحجبها الجميم كأنها
عــذراء تـبـدو تــارة وتـخـفّـر
مـصـفـرّة محـمـرة فـكـأنـهـا
عصب تيمن في الوغى وتمضّر
صنع الذي لولا بدائع لطفه
ما عاد أصفر بعد إذ هو أخضر

كل هـذا الجمال الطبيعي للورد والأزهـار تماثل حـالات إنسانية فيها الحـب والألـفـة والألـق اللوني المتشعب والمتلون، لكن ذلك قد أوجدته بدائع الله اللطيف الخبير. أليس هذا نصاً إسلامياً؟!

وافقه جميعهم، لكن أحدهم سأله عن عبارة: (لولا بدائع لطفه) قائلاً: في أثناء تحليل البيت الأخير: لماذا قدم الشاعر وأخر في عبارة: (بدائع لطفه) هل اختلف المعنى عن قوله: (لطفه البديع)؟

قال صاحب النص: لا مجال للجواب الآن، لأنه سيأخذ وقتاً طويلاً.

كل هـذه أمثلة تؤشر على أن الجمال في الأدب الإسلامي -على سعة أفقه شكلاً ومضموناً- هو من صنع الله وخلْقه، أراده سبحانه كذلك من أجل إسعاد بني الإنسان في كل أرض وزمان، لكنه أتى في التعبير إيحاءً أكثر منه تقريراً، وهو سبحانه أعلم بعباده فيما يسرهم ويبهجهم. ومـن هنا جـاءت لغته متساوقة مع معناه العميق البهيج، لكي يلتقي الجمال بالجميل، فتغدو الحياة بكل ما فيها مضمخة بالفرح والكمال.

كما أن الأدب بلغته الإيحائية يـجـعـل الـتـعـبـيـر جـمـيـلاً: عـن لغة الاستعارة الجميلة. فلو تتبعنا معنى الجمـال في الـقـرآن العظيم لوقعنا على لغة استعارية معجزة بعلاقاتها المفاجئة الجميلة شكلاً ومعنى، من مثل قوله تعالى من سورة النحل: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل - ٦)، فكلمة جمال ذات معنى كامل قائم بذاته.

وقوله تعالى من سورة الحجر: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر:٨٥) ». فالتركيب جاء صفةً على حد التوافق. لكنه قد يأتي صفةً على الضد مثل قوله تعالى: ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ (المزمل - ١٠)، فكيف للهجر أن يكون جميلاً.

ومثل هذا الاختلاف إلى درجة التناقض ما جاء في سورة يوسف على لسان أبيه يعقوب عليهما السلام في مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾(يوسف- ١٩). والواقع أن يعقوب عليه السلام كان في محنة، وهو يتلقى خبر أكل الذئب لأعز أبنائه عليه. والمتوقع أن لا يصدر عنه إلا ما يعبر عن ذلك الكرب، لكنه عبر عن محنته بالصبر الجميل على غير توقع. كان ذلك في بداية السورة، ثم كرر وصف صبره بأنه جميل في نهايتها مع طول محنة غياب الابن الحبيب يوسف، فردد بخطاب مختلف: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ (يوسف - ٨٣). اختلاف الخطاب في نهاية السورة عنه في بدايتها اختزل الحدث كله فانقلب اليأس أملاً بإضافة العبارة «عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً».

أبو تمام

جـاء اسـتـخـدام الجـمـال في الـقـرآن الـكـريم اسـتـخـداماً فنياً اسـتـعـاريـاً لأنـه أتـى وصـفـاً لمعان معنوية لا وصفاً شيئياً مادياً، وفي هـذا إشـارة إلى الأدب الإسلامي

الإيحائي الجميل بالتركيب الغريب، وغير المباشر فيه.

فكل البشرى التي نتلقاها من كلام الله سبحانه إنما هي وعدٌ بالجمال في الدنيا والآخرة؛ فلماذا لا نكون كما أرادنا خالقنا جميلين في أفعالنا وعلاقاتنا وأقوالنا!؟ أي أن نطلق العنان لذواتنا في التعبير عن حاجاتنا، فنسعدَ بالقول الجميل.

وبعد: لماذا لا نرى أدبنا الإسلامي كما أراده الله لنا.. أدباً فنياً جميلاً ينفذ من أفق الإسلام ليرود كل موضوع اختارته موهبة الأديب: شاعراً كان أم قاصاً أم راوياً، مجالاً للقول فيما تستثيره مشاعره وعواطفه وأفكاره في الحياة، وترتضيه نفسه فناً جميلاً يرتقي بخصائصه الإبداعية الرفيعة العالية، من حيز المكان إلى أفق الإنسان!؟. مثل هذا المطلب لا يطلب من المبدع في الله، فموهبته وثقافته يقودانه حيث تلك المهمة الشاقة الممكنة، لكنه مطلب موجه إلى الناقد أو القارئ.

فالمشكلة في الواقع لا تنحصر في الإبداع، لكنها تمتد إلى القراءة. فالقراءة هي مشكلة المشكلات في الأدب بعامة، وفي الأدب الإسلامي بخاصة، لأنها قراءة تتصدى إلى فك لغز طبقات نص كبير وعميق يرتفع في وقت يتطلب انخفاضاً، وينخفض في وقت يتطلب ارتفاعاً، فكيف السبيل إلى ترويضه وهو الشموص أبداً!؟

من هنا نقول: حين يتصدى قارئ للأدب الجميل عليه أن يؤهل نفسه لمهمة لا يستطيعها كل من أرادها لغير مهمتها. مهمتها مهمة جليلة تستحق جلالاً وجمالاً، هي بهما جديرة حقاً ■

(*) محاضرة أ.د.عبد القادر الربّاعي، رئيس جامعة جدارا سابقا، وأستاذ اللغة العربية وآدابها في جامعتي اليرموك والعلوم الإسلامية حالياً، ومحكم للترقيات العلمية للماجستير والدكتوراه في الأدب واللغة العربية؛ وذلك في مقر المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، بعمان، الأردن.

شهادة التوحيد

رفعت عبد الوهاب المرصفي-مصر

يا جملةً عطراء يهمي حرفها
في الكون نوراً سائغاً يتدفقُ
زيدي شموخاً في الوجود وأطلقي
هذا الوميض على الصخور يرقّقُ
هذي حروفك في المدى صداحةً
تنساب أمنا في الربوع وتورقُ
فإذا رأتها العينُ زاد وميضُها
وانساب دمعٌ بالخدود يصفقُ
وإذا تلاها المرء هزت قلبهُ
وانشق نهرٌ في الضلوع يعبّقُ
ترديدك الميمون يسعدُ مهجتي
وكأن نوراً بالحروف يُموسقُ
بك يستظل المسلمون جميعهم
والكل في ألق السنا يتعلقُ
يا أول الأركان في دين الهدى
دين على كل الدنا يتفوّقُ
يا حظ من نطقَ الشهادة قلبُهُ
وأحسّ خفقاً بالعروق يوثّقُ
يا سعدَ من قَرن الشهادة بالتقى
ومضى إلى ركب الهداية يرزقُ
قد قلتُها ومعي تقول جوارحي
والله فوق الشاهدين مصدّقُ
الله أكبر واحداً متوحداً
ورسولهُ هو «أحمدٌ» يتألقُ

في عرفات

مصطفى عكرمة - سورية

قد نلت عز الدهر في لحظات ... لما سألت الله في عرفات

وبه الثواني ألف دهر عشتها ... وبكل جزء عشت خير حياة

ووقفت بين يديه أدعو ضارعا ... وتسابقت من خشية دمعاتي

فشعرت أن الكون ملكي كله ... وإلي سيقت سائر اللذات

وسموت حتى لا أحس بعالمي ... وعرفت في نجواه معنى ذاتي

وعلمت أني عبده، وكفى بها ... عزا تقصر دونه كلماتي

فبسرٍّ أنك يا إلهي فاطري ... حقق رجاء العمر في عرفات

* * *

عبد أنا لله! يا لسعادتي ... عبد لمن نجواه حبل نجاتي

عبد أنا لله! يا دنيا اشهدي ... ما بعدها للنفس من رغبات

عبد أنا لله! أحسب أنني ... حققت فيها غاية الغايات

عبد لك اللهم فاشهد أنني ... عبد يراك مفرج الكربات

عبد أنا يا من يراني عبده ... هبني بها الغفران عن زلاتي

حسبي بأنك أنت أرحم راحم ... شمل الأنام بواسع الرحمات

وبأن جودك لم يزل متزايدا ... وغيوثه لا.. لم تضق بعصاة

وبسرٍّ ما أودعت فيه تكرما ... أرجوك ضاعفْ محسنا حسناتي

* * *

يا من إلى عرفات جئت بمهجتي ... كرما أجب يا فاطري دعواتي

واكشف بلاء المسلمين وردَّهم ... لهداك واجمعهم على الطاعات

أنت الرجاء وما سواك لما ترى ... ما كان من ذلي ومن عبراتي

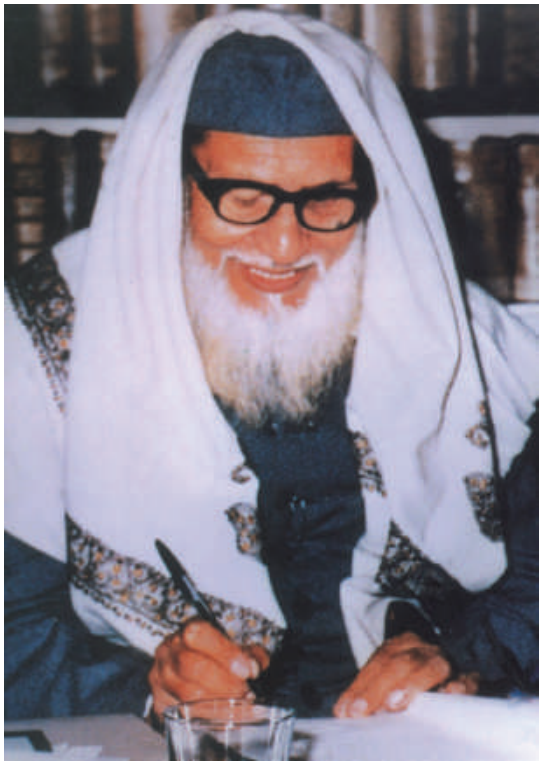

أهمية المكان في إثراء التوهج الروحي

في ترجمة الشيخ أبي الحسن الندوي لروائع إقبال

هذه الترجمة هي الطبعة الثالثة لهذا العمل، فقد كانت الأولى سنة ١٩٦٠م، أما الثانية فقد كانت سنة ١٩٦٨م، أما هذه الأخيرة فقد كانت في سنة ١٩٩٩م، ولقد كان هناك مزيد من الزيادات والتنقيحات والمراجعات في كل طبعة عن سابقتها، يقوم بها الشيخ أبو الحسن الندوي، وقد علل هو طول المدة البينية بين الطبعتين الأخيرتين بسبب بعده عن مركز الطباعة، وانشغاله بعدة أعمال تأليفية ودعوية[١].

د. سعد أبو الرضا - مصر

وقد كانت صلة الشيخ أبي الحسن بمحمد إقبال قوية على مستوى الاتصال الروحي والشخصي والعلمي والإنساني، فقد أعجب به صغيرًا، واعتنى به كبيرا، كما أنه نشأ في عصر وبيئة بلغ فيها شعر «إقبال» قمة مجده وشهرته، وفي جيل فتن به أكثر مما فتن بشعر شاعر وأدب كاتب[٢].

فقد زار شيخنا أبو الحسن «إقبال» في لاهور عدة مرات، وطالت جلساتهما بين جلة من العلماء، ممن يرتبطون بالشيخ أبي الحسن بصلات رحم وعلم.

وقد استأذن الشيخ أبو الحسن محمد إقبال في ترجمة شعره إلى العربية في أحد هذه اللقاءات، فأذن له[٣]، ومما شجعه على ذلك، حث الشيخ علي الطنطاوي الشيخ أبا الحسن على ذلك في إحدى مقالاته بجريدة «المسلمون»[٤].

ولقد كان ما أحسه الشيخ أبو الحسن من «الطموح والحب والإيمان»[٥]، التي يفيض بها فكر «إقبال» وشعره، من أهم القيم والطوابع التي وثقت الاتصال بينهما، فهو طموح إلى المجد الذي يحقق للإسلام والمسلمين العزة والكرامة والمنعة، والحب لله ولرسوله ﷺ، الإيمان القوي بالدين الإسلامي ومبادئه التي حققت الخير للأمة في ماضيها، ويمكن أن تحققه في حاضرها ومستقبلها، هذا ما لمسه الشيخ في فكر «إقبال» وشعره وسلوكه، وهو ما تجاوب معه، وتمسك به كل منهما.

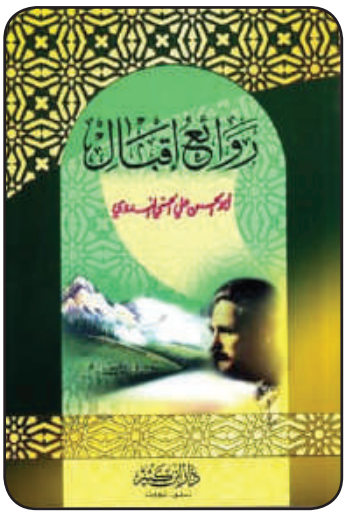

وقد أشار الشيخ أبو الحسن في مقدمات كتابه «روائع إقبال» إلى هذه الصلة الوثيقة «بإقبال» وفكره إنسانيا ومعرفيا وأدبيا، وروحيا، وذوقيا، ويتوج كل ما سبق حبهما للإسلام والإيمان فهما من الربانيين، ذوي العلاقة الإيجابية بالواقع والحياة والناس والمتغيرات، كما أشار إلى حياة «إقبال» وثقافته وشاعريته. وقد أرجع ذلك إلى عدة عوامل منها اتخاذه القرآن الكريم أستاذًا عظيمًا له[٦]، واتصاله بالثقافة العصرية والدراسات الغربية[٧]، والإيمان بالإسلام ورسالته، والإجلال لرسول الله ﷺ[٨]، ومعرفة النفس والغوص في أعماقها[٩]، وأنه لم يكن يقتصر على دراسة الكتب ومطالعتها، بل كان يتصل بالطبيعة، ويكثر من التأمل فيها، كما يتعرض لنفحات الأسحار[١٠]، التي تغمر المخلصين لله، واتصاله بجلال الدين الرومي في كتابه «المثنوي» بالفارسية، كما بين أنه قد حصل على عدة شهادات تعادل الماجستير والدكتوراه في العلوم المختلفة كالاقتصاد والسياسة وغيرها من الهند، وألمانيا، وإنجلترا، وفرنسا، كما درس ودَرَّس في بعضها[×].

◁◁ ترجمة روائع إقبال:

وبرغم أن هناك من النقاد والمتخصصين في الأدب المقارن من يرون أن ترجمة الشعر إلى لغة غير لغته الأصلية قد يتعذر، وقد لا تحقق هذه الترجمة ما يتمتع به الشعر من تكثيف، وجمال في الصور[١١]، حتى إنهم يرون أن مقاومة الشعر للترجمة جزء من خاصيته الجوهرية، من هؤلاء دانتي ودرايدن وفولتير، وأيضًا على اختلاف أسس هذا التصور فيما بينهم، لكن أسلوب ترجمة الشيخ أبي الحسن الندوي «لروائع إقبال»[١٢]، قد يثبت عكس ذلك، لتمكن الشيخ أبي الحسن من اللغتين، وما يتمتع به من ذوق لغوي يجيد الصياغة كما يجيد اختيار ما يترجم، هذا بالإضافة إلى أثر الترجمة في نقل الأفكار والأساليب، وما يصيبها من تغير في اللغة المستقبلة، وغير ذلك مما يثري هذه اللغة الأخيرة، كما أن حب وإعجاب الشيخ أبي الحسن «بإقبال» من العوامل المهمة في إقباله على ترجمة شعر «إقبال».

ورغم أن الدكتور عبد الوهاب عزام قد قام بترجمة شعر «إقبال» شعرًا، فقد أعجب الشيخ أبو الحسن بما قام به الدكتور عزام، وقد رآه مؤهلا لذلك لقوة اتصاله بالعربية والفارسية، كما أشار الشيخ أبو الحسن إلى أن الحرص على ترجمة الشعر شعرًا، قد أصاب ترجمة الدكتور عزام بشيء من الغموض في استساغة شعر «إقبال»، وهذا موقف معتدل من الشيخ، فهو لم يغمط الدكتور عبد الوهاب عزام حقه، وما قام به، لكنه في الوقت نفسه أشار إلى إحدى سلبيات المحاولة، وهي ملاحظة تتفق مع ما رآه بعض المفكرين ممن يهتمون بالأدب المقارن كما سبق، وما يرونه بالنسبة لترجمة الشعر بصفة عامة، ولذلك تمنى الشيخ أبو الحسن لو أن الدكتور عزام استوعب شعر «إقبال» وفكره وصاغه صياغة ليست شعرًا، وإنما يصب أفكاره في صياغة نثرية، تكشف عن جوانب فكر «إقبال» ومبادئه، مما قد ييسر فهم شعر «إقبال» وفكره، واستساغته لدى المتلقي العربي.

وهذا هو ما فعله الشيخ نفسه بالنسبة لشعر «إقبال» في «روائع إقبال»، فقد حاول عرض آراء «إقبال» وأفكاره التي وردت في شعره، كاشفًا مزاياها وأثرها في حياة المسلمين، مبينًا ضرورتها وأهميتها في تقدم الشعوب الإسلامية، وخلال ما سبق يستشهد الشيخ أبو الحسن بشعر «إقبال»، وبذلك فهو يجمع بين عرضه لفكر «إقبال» ومناقشته له، وترجمته لنصوص شعره في الوقت نفسه.

ونزاهة الشيخ أبي الحسن تجعله معتدلاً في الحكم على غيره، فكما رأيناه يذكر مزايا ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام لشعر «إقبال» إلى العربية شعرًا، وبعض ملاحظاته عليها، فهو أيضًا رغم حبه الشديد وتقديره العظيم «لإقبال»، لكن في الوقت نفسه يقرر أنه لا يقدسه، من ثم يشير إلى بعض جوانب كان «إقبال» نفسه يتمنى إتمامها في حياته لتكتمل رسالته وفاعليته في الدعوة إلى الله ونهضة المسلمين.

عبدالوهاب عزام

وهكذا أخذ الشيخ أبو الحسن يناقش بعض آراء «إقبال» وفكره في نظام التعليم العصري ومراكزه[١٣]، ويؤكد حاجة الشباب إلى الغاية بما يرقى بالروح، ويهذب النفس، كما أشار إلى نظرة «إقبال» إلى العلوم والآداب والفنون[١٤]، ورأى أنها يجب أن تكرس لخدمة الإنسان والنهوض به، وتلك رسالتها، بل هو يرى أنه لا فائدة من علم وأدب لم يكن تأثيرهما في المجتمع كتأثير عصا موسى في الحجر والبحر[١٥]، وكذلك الفلسفة، وعلوم الحكمة، بل هو يرى أن نظام التعليم الغربي مؤامرة على الدين والخلق والمروءة[١٦].

وهو مهتم بالشباب ورعايته أيما اهتمام، ويقدم له نماذجه التي يجب أن يحتذى بها مستمدًا لها من أعلام الصحابة، فيبين أن هؤلاء الشباب يجب أن يجمعوا بين جلال وإيمان الصِدِّيق، وقوة عليّ، وفقر أبي ذَر، وصدق سلمان (رضي الله عنهم)، ويكون يقينه بين أوهام العصر كمصباح الراهب

في ظلمات الصحراء، ويعرف في محيطه بحكمته وفراسته، وبأذان السَّحَر.

وانتقد الحضارة الغربية في استغراقها المادي، وهنا بين أن الشباب الإسلامي الذين توسعوا في الدراسات الغربية، سواء في الهند أو في البعثات إلى أوروبا، وأقاموا هناك مدة طويلة، لمسوا ما في الغرب من تقدم مادي لكنهم في الوقت نفسه أدركوا ما فيه من بعد عن الدين والروحانيات، وهم بوعيهم قد يئسوا من مستقبل هذه الحضارة الغربية التي يعوزها من يجمع بين الجانبين المادي والروحي، وقد رأى الشيخ أبو الحسن الندوي أن «إقبال» كان أحد هؤلاء الشباب، وأن هذا العامل كان مما هيأه لبناء شخصيته السوية التي يغمرها العفو والحنان والحب لله ولرسوله ﷺ، والحرص على الإسلام والمسلمين وتقدمهم، والتنبيه إلى ما يهدد حضارة الغرب من بُعْدٍ عن هذه القيم، ولذلك فقد اعتبر الرأسمالية والشيوعية فرعين من دوحة المادية[١٨].

وذلك يمكن أن يتصل بتصور جارودي وهو يصف المسيحية والماركسية بالقصور الذاتي، «وينتقد الغرب في نزعته المركزية التي تجعله يحدد مواقع الآخرين، ويحكم عليها وفقا لتاريخه، وغاياته، وقيمه، وهذا يتضمن اعتقادًا بالتفوق والنظرة المثالية للذات، وكأنه لا تاريخ إلا تاريخ الغرب، ولا عقل إلا عقله، ولا تقدم إلا تقدمه، وكأنه حدث مطلق، وحقيقة إنسانية كونية نموذجية، وبذلك فعقدة التفوق الجنسي والثقافي هي المهيمنة على الخطاب"[١٩]، ولذلك فعندما درس بعضهم الإسلام درسه دون نظر إلى الآخر، مع أن الموقف المعتدل هنا يتطلب الانفتاح العقلي والمشاركة النفسية حتى يمكن فهم الآخر، ومعرفته عن قرب، وهذا يفسر في الوقت نفسه موقف «إقبال» من الغرب، والسبب في التحذير منه.

وبين الشيخ أبو الحسن أن «إقبال» يسيء الظن بدعاة التجديد في الأقطار الإسلامية إن كان اتصالهم بالغرب لمجرد التقليد لهم، فهذا تدمير للحياة.

ويخلص «إقبال» من كل ما سبق في نظر الشيخ أبي الحسن إلى تصوره للإنسان الكامل في نظره، وهو المسلم المثالي الذي يمتاز بإيمانه القوي، والشجاعة، والقوة الروحية، والتوحيد الخالص، وهو صاحب رسالة خاصة هي: «رسالة الأنبياء والمرسلين"، وهو سر من أسرار الحق، ولذلك فهو حي خالد لأنه يحمل رسالة خالدة، وهي رسالة الله الأخيرة التي لا يعتريها النسخ أو التبديل[٢٠]، ومن ثم فمقامه مقام الإمامة والتوجيه، وقد خلق العالم له، وهو خُلق لله، من ثم فقوته مستمدة من رسالته، وهو متخلق بأخلاق الله، كما أنه لا ينحصر في الأوطان والشعوب[٢١].

روجيه جارودي

ولقد أشار الشيخ أبو الحسن في ترجمته إلى فكرة «إقبال»: أن المسلم كالشمس لا تغرب مطلقا، وقد دلل على ذلك من التاريخ، ففي الوقت الذي سقطت فيه الأندلس، فقد قامت دولة آل عثمان في تركيا، كما كان سقوط غرناطة في أوج الدولة العثمانية بقيادة سليمان القانوني، وفي الوقت الذي اجتاح التتار بغداد، قامت الدولة

المسلمة في الهند، كما اقترن بانهيار دولة آل عثمان اليقظة الإسلامية الهائلة، وفي الوقت الذي ضاعت فيه فلسطين، كانت الحركات الإسلامية التي يجيش بها العالم الإسلامي والشرق الأوسط، وكان ظهور باكستان وإندونيسيا[٢٢]، ومن ثم فقد تمسك «إقبال» بصورة المسلم، القوي الباني للحياة، والإيجابي فيما يفعل وفيما يقول، محققًا الخير للأمة وللدنيا كلها، وهو ما جسده شعره الذي ترجمه له الشيخ أبو الحسن في كتابه «روائع إقبال».

◁◁ أهمية المكان في «روائع إقبال»:

إقبال في المؤتمر الإسلامي في القدس

ثمة عناوين أربعة لأماكن تضمنتها ترجمة الشيخ أبي الحسن الندوي لشعر «إقبال» هي: في «جامع قرطبة»، وفي «أرض فلسطين»، وفي «غزنين»، وفي «مدينة الرسول ﷺ»، وهي أربعة أماكن وطئتها قدم محمد إقبال حقيقة وفعلاً، كما في الثلاثة الأولى، وخيالا كما في الرابع، ويجمعها كونها أماكن للمسلمين، وكانت مثارًا لفيض حديثه عن الإسلام والمسلمين، وتنبيههم إلى ما يجب عليهم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس، مقارنا بين ماضيهم الزاهر وحاضرهم الذي لا يليق بهم، الغارق في ماديات الحياة، البعيد عن الروح والمحبة، والوفاء والقيم الأخلاقية.

حقًا تتباين هذه الأماكن في درجة نقائها وارتباط المسلمين بها، لكنها في الوقت نفسه عزيزة عليهم، وهي مصدر استثارة مشاعر ووجدانات محمد إقبال، كما يكشف اتصاله بهذه الأماكن فيض حبه للإسلام والمسلمين ورسولهم الكريم ﷺ، من ثم فذكر هذه الأماكن قرينة بتدفق مشاعره وارتباطاته الروحية بها، من ثم تستثير لديه آماله في استرداد المسلمين لعزتهم وقوتهم.

◁◁ في فلسطين:

وعندما زار فلسطين للمشاركة في المؤتمر الإسلامي الأول الذي انعقد في القدس سنة ١٩٣١م أعجب بجمال الطبيعة وبهائها، من ثم فقد أسلمه هذا الجمال الرباني في هذا المكان المقدس إلى مناجاة الله، فصاغ شعرًا يأسى فيه على ضعف المسلمين، ويتألم للصراع بين العقل والعاطفة، ويتمنى أن يسود الحب والإيمان الكون والحياة والناس، حتى تسود الاستقامة، وهنا تتجلى عاطفة الشاعر متوهجة في شعره، استثارها استشعاره لصلته القوية بالله، ورغبته القوية في أن يأخذ العالم العربي طريق الإسلام والحب، كما أخذه السلف الصالح من قبل فسادوا وسعدوا.

◁◁ في أسبانيا:

وعندما زار محمد إقبال أسبانيا سنة ١٩٣٢م وكتب قصيدته «في قرطبة»[٢٣]، ووقف في جامع قرطبة العظيم، تدفقت ذكرياته عندما استثارها هذا المكان، فأسبانيا هي الفردوس المفقود، وذلك المسجد الذي بناه عبد الرحمن الداخل،

عندما أخضع هذه الأماكن لعقيدته وعزمه، وقد بهرت «إقبال» عبقرية المكان المعمارية، وعظمة الفن الإسلامي العربي، وأخذ يصوغ مشاعره المتدفقة في شعره، مجلية عظمة المسلمين وسمو عقيدتهم، ورسالتهم المقدسة التي كان يجسدها في هذا المسجد «الأذان» الذي انفردت به هذه الأمة، والذي كان يخشع له الكون، وتتزلزل به أركان الفساد، وقد حرم هذا المسجد ذلك الأذان منذ قرون، كما لم تعرف ساحاته السجود، ولم يعرف منبره الخطبة، منذ أخذت أسبانيا من يد المسلمين، وهكذا تحركت في «إقبال» عاطفة

الحب القوية للمكان، ولكل من كان فيه يوم أنشئ، وما خُلّد هذا المكان إلا بهذا الحب الذي ملأ من أنشأه، حبه لعقيدة الإسلام، ومن مارسوا العبادة فيه، وارتبطوا بمبادئه السمحة، كما أخذ يحدِّث هذا المسجد بعقيدة المؤمن، ودلال الشاعر المحب مؤكدًا ما بينهما من نسب في الحب والحنان، وقد يوازن بين سجود الملائكة الدائم ولذة ولوعة سجود الإنسان المسلم[٢٤].

وهكذا يذكّره هذا المسجد بعظمة الإنسان المسلم وعظمة الأمة المسلمة التي لا تحدها حدود جغرافية ضيقة، لأن المسلمين وسعت عاطفتهم الشرق والغرب، «فليست دجلة في العراق، والدانوب في أوروبا، والنيل في مصر، إلا موجة صغيرة في بحره الواسع»[٢٥].

وهكذا يخاطب أسبانيا – الأندلس المفقود المغتصب – ويتألم لما أصابها، ثم يذكر ما مرَّ على العالم المتمدن من ثورات وتقلبات، ويتطلع إلى ثورة جديدة يكون مقرها الشرق الإسلامي، بعد أن شهد العالم ثورات في أماكن عدة، فهناك ثورة الإصلاح الديني في ألمانيا، وقد رفضت أوروبا المسيحية عصمة رجال الدين، وشهدت فرنسا ثورة كبيرة، كما تحددت بالثورة حياة إيطاليا، وهكذا تنتظر الروح الإسلامية انتفاضة جديدة، علمها عند الله، ويضاعف من إحساسه بما سبق وقوفه على نهر قرطبة (الوادي الكبير) متطلعا إلى مستقبل جديد، وعصر يُرتقب لا يزال في طيات الغيب[٢٦].

ويسلمه هذا الموقف في غمرة مشاعره وتدفقها إلى توقع التجديد في حياة الأمم والشعوب ثورة على الأوضاع الفاسدة في العالم، مؤكدًا على أن الخلود والبقاء للأفكار والآداب؛ لإنتاج قوة الإخلاص وعظمة الحب، واتساع القلب للعالم وطموحاته إخلاصًا وتقديرًا ووفاءً وحياة، وهو بذلك يستحث الأدباء والشعراء على السير في هذا الطريق المنير المخلص.

◁◁ في غزنين:

وعندما سافر إلى غزنين بدعوة الملك «نادر شاه»، ملك الأفغان سنة ١٩٣٣م، وزار قبر الشاعر الحكيم «السنائي الغزنوي»، الذي يعتبره أستاذًا له بعد «جلال الدين الرومي»، وقد طاب له الوقت،

وفاضت شاعريته، وتجلت نظراته في هذا العالم الغارق في ماديته، من ثم يصف نفسه وقد تحررت من العالم المادي، وتجلى له الجمال الإلهي في مرآة هذا الكون، فيقرر أنه لا صراع بين العلم والمعرفة والحب، كما ينتقد الشرق والغرب اللذين عاش فيهما مدة، وخبرهما، فالشرق لديه الاستعداد ولكن يعوزه الموجِّه والقيادة الرشيدة. أما الغرب

فقد أتخمته المادة والقوة لكنه حرم لذة الإيمان وبرد اليقين[٢٧].

ولا يفوته تذكره الدائم للعالم الإسلامي، وافتقاده الرجال الذين كانوا يتحدون الملوك والأباطرة بعزتهم وأنفتهم وزهدهم، كما يتذكر العالم العربي وقد فسدت أوضاعه، واستغرقت المادة أمراءه وزعماءه، وسيطر عليهم الأجانب، كما سيطر التتار من قبل، وهددوا الحرمين الشريفين، من ثم يخلص إلى تقرير المعادلة الإنسانية الخالدة التي تؤكد قمة توهجه الروحي عندما يرى أن الحياة الإنسانية لا تستقيم إلا بالنفي والإثبات، والجحود بالزائف الباطل، وتجلي الإيمان بالحق الثابت[٢٨].

وينعى «إقبال» على الاستعمار وما فعله بالشرق الإسلامي، من ثم يؤكد أن ميزان العالم هي الحرية التي يتمتع بها الأحرار بتفكيرهم الصائب، وفراستهم الصادقة، وبصيرتهم النافذة، وأن المسلم يجب أن يشق بهمته الطريق إلى المستقبل ولا يقتنع بالحاضر، كما يحذر الشباب الإسلامي من تأثير الثقافة الغربية المثبطة لهم، برغم ما حققه الغربيون من تقدم مادي، لكنهم تعوزهم الروح والحب والإيمان.

وهنا يؤكد على أهمية الحب الذي يبعث في الرجل الاعتداد بالنفس، والتمسك بالكرامة، فلا يقف على أبواب الملوك، ولا يخضع للمادة، وقد كان «إقبال» في حياته خير مثال لذلك.

وينتهي «إقبال» في قصيدته التي أبدعها وهو في غزنين إلى تأكيد استمرار حبه للرسول ﷺ، ورسالته الخالدة التي ملكت عليه كل مشاعره، خاصة وهو في حضرة أستاذه الحكيم السنائي الغزنوي الذي يخجل من الاسترسال في الحديث وفيض المشاعر في رحاب قبره هناك[٢٩].

◁◁ في مدينة الرسول ﷺ:

تمثل هذه الزيارة أهم مكان تاقت نفس «إقبال» لزيارته، وذلك لحبه الشديد لرسول الله ﷺ، ولارتباطه به، نبيا ورسولا، حمل الخير والحب للبشرية كلها في نظره، وليس للمسلمين فحسب، من ثم تمثل مجموعة أرمغان حجاز (هدية الحجاز)، وهي هدية حملها معه من الحجاز للمسلمين في كل مكان، وهي الأشعار التي تحمل شوق محمد إقبال الشديد إلى الحج وزيارة مدينة رسول الله ﷺ، وبرغم أنه زارها بخياله وشاعريته، وكان قد تجاوز الستين، وتمكنت العلل والأسقام منه، ونصحه الأطباء بالراحة لكنها استثارته أيما

استثارة ضاعفت من توهجه الروحي في شعره، وكان قد تخيل حاديا يحدو بالعيس التي تحمله، ويدعوه إلى طول الطريق[٣٠]، حتى يسعد بهذا الشوق للحبيب المرتقب، من ثم ينشد أبياتًا لبعض شعراء الفرس المشهورين كالعراقي والجامي وهما ممن لهما قصائد في مديح النبي ﷺ.

إنه ما إن يصل إلى المدينة حتى يدعو صديقه

للبكاء فرحًا وسرورا لحسن حظهما بوصولهما إلى الحبيب ﷺ، وهنا يتذكر أمته وما بها من ضعف، كما يسرد لرسول الله مظاهر هذا الضعف الذي نزل بالأمة لافتقادها الحب، واستغراقها في المادة، ثم يقارن بين ماضيها الزاهر وهذا الحاضر القاسي المتخلف، وبذلك فقد تخلوا عن الرسالة المحمدية، وهم ليسوا جديرين بها[٣١]، فقد رزقوا القلب وحرموا الحب، كما يستشعر ضعفه وصراعه الدائم في استنهاض أمته اليوم، ويذكر تمرده على الغرب وعلومه وفلسفاته، واحتفاظه بعقيدته وإيمانه اللذين يفخر بهما، وكما يشير في كثير من أشعاره إلى أنه عاش في الغرب، ودرس علومه وفلسفته، لكنه نجا بما هو أهم: الحب والإيمان واليقين بالله ورسوله ودين الإسلام، كما يفخر بنزاهته، وأنه لم يبع نفسه لأحد، كما أخلص لأمته وصدقها القول. وهكذا يشكو عصره ومجتمعه لأنهم لم يعملوا بما دعاهم إليه، وهو يقدم كل ذلك في صورٍ شعرية أخَّاذة يفيض بها خياله، ويفعمها توهج روحه الذي تجاوب معه الشيخ أبو الحسن، وضاعف من توهجه هو نفسه.

وقد ختم «إقبال» هذه المجموعة: بنصيحة للمرحوم الملك عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز في ذلك الوقت، وهي نصيحة لكل زعماء المسلمين وملوكهم، محذرًا إياهم من الخضوع للغرب أو الاستعانة بهم، داعيًا لهم إلى الاعتماد على الله[٣٢].

خاتمة

وهكذا يتضح خلال شعر «إقبال» كما ترجمه الشيخ أبو الحسن الندوي شخصية «إقبال» الشاعر المبدع المتصوف الزاهد، المتطلع إلى نهضة المسلمين في كل مكان، المؤمن بأهمية الإسلام والمسلمين في هذه النهضة على مستوى العالم كله. وهي رؤية قائمة على المعرفة القلبية، والإدراك القلبي الذي يعد قرينًا للإدراك الحسي والإدراك العقلي، ويكملهما في الوقت نفسه، بل إن القلب هو الوسيلة المعرفية الثالثة التي قد تفوق الحس والعقل في عالم الرياضة الباطنية، التي هي رياضة روحية خالصة[٣٣]، وهي في الوقت نفسه رياضة دينية، تمثلها الحالة الصوفية عند المريد، وهي لحظة من الاتصال الوثيق بذات أخرى فريدة سامية محيطة، تضيء فيها شخصية المريد موقتًا[٣٤].

وفي كل ما سبق تجاوبت شخصية الشيخ أبي الحسن الندوي مع شخصية «إقبال» حسًا، وقلبًا، وعقلاً، وروحًا، وكان ذلك من أهم العوامل التي

جعلت الشيخ أبا الحسن يقبل على ترجمة شعر «إقبال»، بل يتحمس لهذه المهمة في توهج روحي جمع بينهما في الزمان والمكان.

نتائج:

ويمكن أن نخلص من قراءة ترجمة «روائع إقبال» ببعض ملامح شخصية الشيخ أبي الحسن الندوي منها:

- قوة إيمانه وشدة توهجه الروحي وحبه العميق لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين.
- رغبته القوية في دعم الإسلام وكل ما ينهض بالمسلمين.
- تمكنه من اللغة العربية لفظًا وتركيبًا وصياغة ولغة.
- اتصاله بالتراث العربي، اتصالاً وثيقًا.
- تأثر أسلوبه بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واتضاح أثرهما القوي فيما يكتب وفيما يختار.
- قوة تمثيله للدولة الإسلامية في الهند تاريخًا وحضارة وفكرًا ■

الهوامش

(١) انظر أبو الحسن الندوي «روائع إقبال»، ط ١، دار العلم، دمشق ١٤٢٠هـ - ١٩٨٩م.
(٢) السابق نفسه صـ ٩.
(٣) السابق نفسه صـ ٤٠.
(٤) السابق نفسه صـ ١٧.
(٥) السابق نفسه صـ ٩، ١٩.
(٦) انظر السابق نفسه صـ ٣٨.
(٧) انظر السابق نفسه صـ ٢٩.
(٨) انظر السابق نفسه صـ ٣٢.
(٩) انظر السابق نفسه صـ ٤٠.
(١٠) انظر السابق نفسه صـ ٤٥.
(*) وقد قال عنه الدكتور عبد الوهاب عزام، في مجلة الرسالة، القاهرية، العدد لأول ١٥ يناير ١٩٣٣م: "شاعر الهند العظيم، وأكبر شعراء الإسلام في عصرنا، درس الفلسفة في إنجلترا وألمانيا، وتزود من الفلسفة القديمة والحديثة ما شاء له الذكاء والاجتهاد، وهو اليوم قائد من قادة الأفكار في الهند، وله من الشعر دواوين عدة بلغ فيها الغاية نظم واحدًا منها باللغة الأردية، وسماه بانك درا أي صلصلة الجرس، ونظم خمسة بالفارسية... (بيام مشرق) رسالة المشرق، وقد جعله جوابًا للقصائد المشرقية التي نظمها الشاعر الألماني جوته.
عن دكتور القطب محمد طبلية: رواد الفكر الإسلامي في العصر الحديث، طبعة دار الفكر العربي، مدينة نصر - القاهرة.
(11) Georg Watson. the study of literature Charles scribner S'sons Newyourk. 1969 P.110
(١٢) انظر «روائع إقبال».
(١٣) انظر السابق نفسه، صـ ٤٥.
(١٤) انظر السابق نفسه، صـ ٥٧.
(١٥) السابق نفسه، والصفحة نفسها.
(١٦) انظر السابق نفسه، صـ ٧١.
(١٧) السابق نفسه، صـ ٦١.
(١٨) انظر السابق نفسه، صـ ٦٣، ٦٩.
(١٩) محسن الميلي: روجيه جارودي والمشكلة الدينية، دار قتيبة للطباعة والنشر - بيروت دمشق ١٩٩٣م، صـ ٢٠٠، ٢٠١.
(٢٠) انظر «روائع إقبال» صـ ٧٧.
(٢١) انظر السابق نفسه، صـ ٨٢.
(٢٢) انظر السابق نفسه، صـ ٨٤، وما بعدها.
(٢٣) انظر السابق نفسه صـ، ١١١.
(٢٤) انظر السابق نفسه، صـ ١١٤.
(٢٥) انظر السابق نفسه، صـ ١١٥.
(٢٦) انظر السابق نفسه، صـ ١١٧.
(٢٧) انظر السابق نفسه صـ ١٢٦.
(٢٨) انظر السابق نفسه، صـ ١٢٨.
(٢٩) انظر السابق نفسه، صـ ١٣٠.
(٣٠) السابق نفسه، صـ ١٦٢.
(٣١) السابق نفسه، صـ ١٦٥.
(٣٢) انظر السابق نفسه، صـ ١٦٩.
(٣٣) انظر محمد العربي بوعزيزي: «محمد إقبال فكره الديني والفلسفي»، دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، ودار الفكر: دمشق - سوريا، سنة ١٩٩٩م، صـ ٣٤٥، ٣٤٦.
(٣٤) تجديد الفكر الديني في الإسلام: ترجمه إلى العربية عباس محمود العقاد، وراجع مقدمته والفصل الأول منه عبد العزيز مراغي بك، وراجع بقية الكتاب د.مهدي علام، لجنة التأليف والنشر سنة ١٩٦٨، صـ ٣٤٨.

الحمامة وغصن الزيتون

د.رشيد كهوس- المغرب

أقبلت حمامة السلام ذات طوق جميل كأنه عِقد نَفِيس في جِيدِ حورية سماوية.. تتعثر في خطاها تمشي في دلال كأنها تداعب الخيال.. تتدلى برأسها تبحث هنا وهناك عن غصن الزيتون بين أشواك الغرقد وأحراشه.. تتعجب! تستنكر بحركاتها وكأنها تقول: لم تكن أرض الزيتون يوما للغرقد موطنا..!

وبعد عناء طويل لاح لها من وسط تلك الأكوام والركام غصن يابس تغير لونه وذبل جسمه؛ بسبب النسيان وخذلان الخلان ونفايات الأفعوان.. ذهلت.. تنهدت.. وكأنها عثرت على كنز للجواهر واللآلئ والألماس.. أخذته وطارت به في السماء حتى لا يسرقه اللصوص أو يعبث به القردة والثعالب...

حلقت بجسدها الخفيف عاليا بغصن الزيتون.. تغدو وتروح في الفضاء الواسع.. وكأنها تبحث عن مكان آمن لكنزها.. فترنو ببصرها من بعيد إلى قبة بيت المقدس المسجد الأقصى المبارك.. ذات جلال وجمال.. وهيبة ووقار.. وجهها مستدير يشع براءة ويتقطر حسنا وبهاء.. قطرات الندى تملأ مياسمه.. ورذاذ الغيث يحوم حول حماها.. نَفَسها كأريج الطيب.. كأنها عروس زُينت لعريسها.. تستهوي الغريب والحبيب..

أخذ هذا الحسن والكمال بتلابيب قلبها، وأضفى عليها المكان بقدسيته طمأنينة وسكينة وهدوءا واستقرارا.. نظرت في المسجد الأقصى المبارك وما بورك حوله، تذكرت ذكريات منقوشة في كل مكان.. ومغروسة في التربة وعلى الحيطان..

هنا تمثل جبريل –عليه السلام- لمريم بشرا سويا..

وهنا تساقطت عليها من النخلة رطب جني..

هنا أنطقت القدرة الإلهية المسيح عيسى بن مريم، وألقى على مولده السلام..

هنا محراب مريم الذي كانت تأتيها فيه الملائكة بفاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، بقدرة رب الأنام..

إلى هنا أسري بحبيبنا محمد خير الأنام، عليه أزكى الصلاة وأفضل السلام..

هنا صلى بالأنبياء جميعا إماما، وعرج به إلى السماء، فسدرة المنتهى، فرب السماء في علاه..

هنا حائط البراق.. هنا أرض الإسلام والسلام..

وبعدها نزلت الحمامة بغصن الزيتون إلى فناء المسجد الأقصى المبارك.. حفرت بأظفارها في تربته الطيبة.. وغرست غصن الزيتون في فنائه.. ثم سقته بدموعها.. لم تكن وحدها الساقي.. رذاذ السماء يشاركها..! زقزقات البلابل حاديها.. أشعة الشمس الذهبية أملها!...

وتمضي الأيام والسنون، فيخضر الغصن ويزهر، ويشتد عوده، وتستوي قامته ويكتمل.. شجرة زيتونة مباركة أصلها في القدس وثمارها وفروعها في بلاد الله كلها.. يتفيأ ظلها الناس وتقيهم الحر والبأس..

ستعودين لنا يا قدس.. مهما قصوا جناح الحمام، وجففوا غصن الزيتون.. فذكرياتك لا تنسى.. ونقوشك لا تمحى.. ■

د. خالد بن عبد الله الغازي- السعودية

من المعلوم أن موضوع علاقة النص الأدبي بالصدق والكذب يعد أحد معاقد الخلاف النقدية منذ القدم. وتتضح حدة هذه التخالفات في النقد المعاصر؛ إذ كما سلكت به التباينات الفكرية والفلسفية طرائق قددا فقد زادت حدّةَ الاشتجار فيه حول هذه القضية. ومما يدل على أن هذا الموضوع يحمل في ذاته أسباب إشكاله أن نقدنا العربي القديم – الذي لم يكد يعرف التباينات الفكرية والقيمية الحادة- كان له نصيبه من الاختلاف في الموقف من الكذب في العمل الأدبي. ولعل وقفةً عجلى مع مواقفهم تكشف جانبا مهما من جوانب هذه القضية.

تقاطعات الكذب والتخييل في النقد العربي القديم

يقول الدكتور محمّد غنيمي هلال: «فرأى أكثر النقاد أن الشاعر لا يتقيد بصدق أو كذب، بل إن مقياس براعته هو اقتداره على الصناعة والصياغة»[1]. ثم يقول: «وأصبح مقياس البراعة في الشعر لدى هؤلاء النقاد هو جودة الكلام وحسن الصياغة. وفي الفصل بين العمل الفني والصدق – صدق الواقع والصدق الفني – مساس خطير بأسس الفن الجوهرية، إذ لا يستطيع فنان أداء رسالته إلا بالتزام الصدق الواقعي على حسب ما يراه هو أو يفكر فيه كما يعتقده، أو يشعر به»[2].

وإذا كان من المعلوم بداهة أن البشر قد أطبقوا على حمدِ الصدق، والحث عليه، والإلزام به. وعابوا الكذب، وشنعوا على فاعله، فهل يكون نقدنا القديم مخالفا للفطرة البشرية، بله أوامرَ الإسلام ونواهيه؟

يرى المتتبع لهذا الجانب أنه يتمحور حول الشعر – دون بقية الفنون الأدبية-، كما يَلحظ أن تداخل موضوع الصدق والكذب في الشعر كان مرتكِزا حول الوصف؛ لذا فغالب ما تناوله النقاد القدماء حول الصدق والكذب إنما كان في جانب المبالغة والغلو في الأوصاف والمعاني.

د. محمد غنيمي هلال

يقول المرزوقي: «فمنهم من قال: (أحسنُ الشعر أصدقُه). قال: لأن تجويد قائله فيه -مع كونه في إسار الصدق- يدل على الاقتدار والحذق. ومنهم من اختار الغلو، حتى قيل: (أحسنُ الشعر أكذبُه)؛ لأن قائلَه إذا أسقط عن نفسه تقابلَ الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه إلى أعلى الرتبة، وظهر قوته في الصياغة وتمهُّره في الصناعة، واتسعت مخارجُه وموالجُه، فتصرَّف في الوصف كيف شاء؛ لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل، لا المصادقة والتحقيق. وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له»[٣].

فالمرزوقي يرى أن أكثر النقاد يرون المبالغة والتمثيل في الشعر مقدَّمَين على المصادقة والتَّحقيق.

وربما كان قدامة بن جعفر من أوائل من أشاروا إلى هذه الصفة للشعر. يقول: «رأيتُ الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر، وهما: الغلو في المعنى إذا شرع فيه، والاقتصار على الحد الأوسط فيما يقال منه»[٤]. ثم يرجح فيقول: «إن الغلو عندي أجودُ المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما. وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسنُ الشعر أكذبُه»[٥].

ويذهب أبو هلال العسكري أبعد من ذلك، إذ يرى في الشعر أن «أكثره قد بُني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة، والنعوت الخارجة عن العادات، والألفاظ الكاذبة... وليس يُراد منه إلا حسن اللفظ، وجودة المعنى. هذا هو الذي سوغ استعمال الكذبِ وغيره مما جرى ذكره فيه. وقيل لبعض الفلاسفة: فلان يكذب في شعره، فقال: يراد من الشاعر حسن الكلام، والصدق يراد من الأنبياء»[٦].

ويوافقه على هذا ابن وكيع التنيسي فيقول: «والغلو يُراد به المبالغة في مجيء الشاعر بما يدخل في المعدوم، ويخرج عن الموجود. وقد أبتْ طائفة من العلماء استحسان هذا الجنس لمَّا كان بخلاف الحقائق، ولخروجه عن اللفظ الصادق. قال أبو محمد: وما أتوا بشيء؛ لأن الشعراء لا يُلتمس منهم الصدق، إنما يُلتمس منهم حُسن القول، والصدق يُلتمس من أخيار الصالحين وشُهود المسلمين»[٧].

إلا أنه يفرق بين أنواع المبالغات، فيقول: «وللشعراء مبالغات: ممكنة ومستحيلة. والممكن أحسنُ عند كثير من الأدباء من المستحيل»[٨]. وقد وافقه في هذا ابن سنان الخفاجي إذ يقول: «والذي أذهب إليه المذهب الأول في حمد المبالغة والغلو؛ لأن الشعر مبني على الجواز والتسمُّح. لكن أرى أن يستعمل في ذلك (كاد) وما جرى في معناها ليكون الكلام أقربَ إلى حيِّز الصحة»[٩].

وفي المقابل يرى المبرّد أن «أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبَّه، وأحسن منه ما أصابَ به الحقيقة»[١٠]. ويقاربه في هذا الرأي ابن رشيق فيقول: «ومن الناس من يرى أن فضيلةَ الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو، ولا أرى ذلك إلا محالا؛ لمخالفته الحقيقة، وخروجه عن الواجب والمتعارف. وقد قال الحذاق: خير الكلام الحقائق، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها»[١١]. ثم يقول: «وإذا لم يجد الشاعر بدًّا من الإغراق -لحبه ذلك ونزوع طبعه إليه- فليكن ذلك منه في الندرة، وبيتا في القصيدة إن أفرط، ولا يجعل هِجِّيراه كما يفعل أبو الطيِّب. وأحسنُ الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها، نحو: (كأنَّ) و(لو) و(لولا)، وما أشبه ذلك»[١٢].

وهو مع ما سبق يرى مبدأ المبالغة سمةً لازمة للشعر، وأن منه ما يُقبل دون شك. يقول: «ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه، وعيبت الاستعارة، إلى كثير من محاسن الكلام»[١٣]. وقوله هذا -إذا قُرن بأقوال من سبقوه- يبيِّن لنا عن تصور دقيق لمفهوم الشعر وعلاقته بالصدق والكذب.

ومن الطريف -في سياق هذا الموضوع- قول ابن الأثير: «وأما الإفراطُ فقد ذمَّه قومٌ من أهل هذه الصناعة، وحمدهُ آخرون. والمذهب عندي استعماله؛ فإن أحسنَ الشعر أكذبُه، بل أصدقُه أكذبُه، لكنه تتفاوت درجاته»[١٤]. فأصدقُ الشعر عندَه أكذبُه.

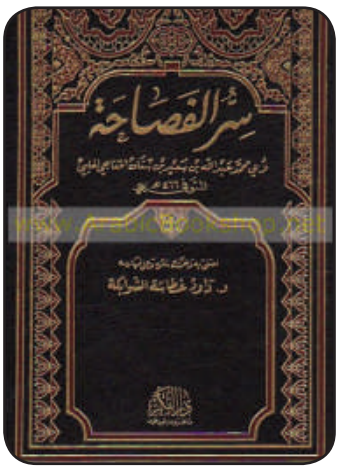

وفي عامة ما سبق إشارة إلى رؤية نسبية لحدود الصدق والكذب في الشعر. يجلِّيها لنا عبد القاهر الجرجاني حين يناقش مدلول عبارتي: «خيرُ الشعر أصدقُه»، و«خيرُ الشعر أكذبُه»، فيقول: «وأما من قال في معارضة هذا القول: (خيرُ الشعر أصدَقه)... فقد يجوز أن يراد به أن خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل، وموعظة تُروِّض جماح الهوى وتبعث على التقوى، وتُبين موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد يُنحَى بها نحو الصدق في مدح الرجال، كما قيل: «كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه»، والأوَّل أولى... ومن قال: (أكذبُه)، ذهب إلى أن الصنعة إنما تَمُدُّ باعها، وتنشُر شُعاعها، ويتسع ميدانها، وتتفرع أفنانها، حيث يُعتمد الاتساع والتخييل، ويُدَّعى الحقيقة فيما أصلُه التقريبُ والتمثيلُ، وحيث يُقصَد التلطف والتأويل،

ويذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذم، والوصف والنعت، والفخر والمباهاة، وسائر المقاصد والأغراض، وهناك يجد الشاعر سبيلا إلى أن يُبدع ويزيد، ويُبدي في اختراع الصور ويعيد»[١٥].

ثم يأتي بخلاصة الأمر في حقيقة الكذب في الشعر فيقول: «وكيف دار الأمرُ فإنهم لم يقولوا: (خير الشعر أكذبه)، وهم يريدون كلاما غُفْلا ساذجا يكذب فيه صاحبه ويُفْرِط، نحو أن يصف الحارسَ بأوصاف الخليفة، ويقولَ للبائس المسكين: (إنّك أميرُ العِراقَين)، ولكن ما فيه صنعةٌ يتعمَّل لها، وتدقيقٌ في المعاني يحتاج معه إلى فطنة لطيفة، وفهم ثاقب، وغوص شديد»[١٦].

فالكذب هنا هو (الصنعة)، ولعل هذا ما أراده النقاد الذين رجحوا المبالغة والغلو في الشعر؛ إذ الخيال حلبته وميدانه. وابن الأثير حين جعل أصدقَ الشعر أكذَبه كأنما أراد: أجودُ الشعر أكثرُه تخييلا.

ومما يدل على ذلك أن هذا الموقف منحصر عندهم –في الغالب– في الشعر، دون بقية الفنون النثرية[١٧]. وقد قال ابن طباطبا: «إلا ما قد احتُمل الكذبُ فيه في حكم الشعر، من الإغراق في الوصف والإفراط في التشبيه»[١٨]. فكأنما للشعر (حُكْم) خاص، يراعي خصوصية طبيعته، وطريقةَ تفاعل المتلقي معه.

ويزيد هذا الأمرَ تأكيدا أنَّه على الرُّغم من أن فلاسفة النقاد كانوا «أقربَ مِن غيرهم من النقاد في ربط الشعر بغايات أخلاقية»[١٩]، فإنهم –في الوقت ذاته– كانوا الأشدَّ تأكيدا على طبيعة الشعر التخييلية. حتى إن القرطاجنّي يلخِّص الخلاف حول هذا الأمر بقوله: «فلذلك كان الرأيُ الصحيح في الشعر أن مقدماته تكون صادقة، وتكون كاذبة، وليس يُعدُّ شعرا من حيث هو صدقٌ، ولا من حيث هو كذبٌ، بل من حيث هو كلامٌ مخيّل»[٢٠].

وهو قد أطال في مناقشة هذه القضية، وتفصيل جوانبها، مستندا إلى آراء فلاسفة اليونان وفلاسفة النقاد العرب[٢١]. لكنه لم يكد يخرج –في مجمل نقاشه– عن الرؤية المُتفهِّمة لطبيعة الشعر التخييلية؛ حيث تتداخل فيها الحدود الفاصلة بين الصدق والكذب. لذا نجده يرفض ربط الشعر بواحد منهما. يقول: «وإنما احتجتُ إلى إثبات وقوع الأقاويل الصادقة في الشعر لأرفعَ الشبهة الداخلة في ذلك على قوم، حيث ظنوا أن الأقاويل الشعرية لا تكون إلا كاذبة. وهذا قول فاسد قد رده أبو علي ابن سينا في غيرِ ما موضع من كتبه؛ لأن الاعتبار في الشعر إنما هو التخييل في أي مادة اتفق، لا يُشترط في ذلك صدق ولا كذب»[٢٢].

ومع هذا فهو يؤكد على أن الأقاويل الشعرية الصادقة خيرٌ من الكاذبة إذا تساويا في التخييل المؤثر. يقول: «وليست تحرك الأقاويلُ الكاذبةُ إلا حيث يكون في الكذبِ بعضُ خفاء، أو حيث يحملُ النفسَ شدةُ ولعها بالكلام لفرط ما أبدع فيه على الانقياد لمقتضاه، وإن كان مما يُكره ولا يُصدَّق الحاض

عليه. ومع هذا فتحريكها دون تحريك الأقاويل الصادقة إذا تساويا في الخيال وما يَعضُدُه مما داخل الكلام وخارجَه. فتحريك الصادقة عامٌّ فيها قوي، وتحريكُ الكاذبة خاصٌّ فيها ضعيف. وما عم التحريك فيه وقويَ كان أخلَقَ بأن يُجعل عمدةً في الاستعمال حيث يتأتى»[٢٣].

كما يعيب على من ربط إجادة الشعر بالأقاويل الكاذبة فيقول: «فقد تبيَّن أن أفضل المواد المعنوية في الشعر ما صَدَق وكان مُشتهرا، وأحسنَ الألفاظِ ما عذبَ ولم يبتذل في الاستعمال... وتبيَّن بهذا أن قول من قال: «إن مقدِّمات الشعر لا تكون إلا كاذبةً؛ كاذب، وأنه بمنزلةِ من يقول: إن الألفاظَ الشعرية لا تكون إلا حوشيَّة، ولا تكون مستعملة، لأن الألفاظَ المستعمَلة والمقدِّمات الصادقةَ أولى ما يُستَعملُ في الشعر حيث يمكنُ ذلك ويكون الوضعُ

والغرضُ لائقا به. وما مَثَلُه في قَصْر الشعرِ على الكذبِ -مع أن الصدق أنجعُ فيه إذا وافقَ الغرضَ- إلا مَثَلُ من مَنَعَ مِن ذي علةٍ ما هو أشدُّ له موافقةً بالنسبة إلى شَكاتِه، واقتَصرَ به على أدنى ما يوافقُه مع التمكن من هذا وذلك. فإن كان هؤلاء الذين رأيُهم هذا نَفَسوا على الشعراء وقوعَ الصدق في كلامهم فلا خلق أشدّ نفاسة من هؤلاء»[٢٤].

ورأي القرطاجنّي مهم؛ لأنه يُعد جِماع رأي فلاسفة النقاد في هذه القضية. وإذا كانوا – مع ما سَبق– أشدَّ طوائف النقاد حرصا على ربط الأدب بالنفع والغايات الأخلاقية؛ دلنا ذلك على أن الغالب على نقدنا العربي القديم التوازنُ في فهم علاقة الأدب بالصدق. وأن الرؤية الجمالية عندهم لم تكن مضادة للخُلُق، ولا متبرمة به، ولا متعثرة بقيوده■

الهوامش

(١) النقد الأدبي الحديث للدكتور محمّد غنيمي هلال: ٢١٤.
(٢) المرجع السابق: ٢١٥.
(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١ / ١١ – ١٢.
(٤) نقد الشّعر لقدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: ٣، د. ت: ٥٨.
(٥) المصدر السابق: ٦٢.
(٦) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلميّة ببيروت، ط: ٢، ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩م): ١٥٤ – ١٥٥.
(٧) المنصف للسارق والمسروق منه لابن وكيع: ٦٨ – ٦٩.
(٨) المصدر السابق: ٧٩.
(٩) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط: ١، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م): ٢٧٢.
(١٠) الكامل للمبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، د. ت: ١ / ٢٩٤.
(١١) العمدة لابن رشيق: ٢ / ٦٠.
(١٢) المصدر السابق: ٢ / ٦٤.
(١٣) المصدر السابق: ٢ / ٥٥.
(١٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير: ٣ / ١٩١.
(١٥) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني: ٢٧١ – ٢٧٢.
(١٦) المصدر السابق: ٢٧٥.
(١٧) يُنظر مثلا: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للحسن بن بشر الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بالقاهرة، ط: ٤، ١٩٩٢م: ١ / ٤٢٨، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري: ١٥٤.
(١٨) عيار الشّعر لابن طباطبا: ١٣.
(١٩) الاتّجاه الأخلاقي في النقد العربي للدكتور محمد مريسي الحارثي: ٩١.
(٢٠) منهاج البلغاء للقرطاجنّي: ٦٣.
(٢١) يُنظر: المصدر السابق: ٧١ – ٨٨.
(٢٢) المصدر السابق: ٨١.
(٢٣) منهاج البلغاء للقرطاجنّي: ٨٢.
(٢٤) المصدر السابق: ٨٢ – ٨٣.

الطريق إليك (*)

من إبراهيم الخليل إلى الفيزياء النووية

فاطمة محمد شنون
سورية

إلـهـي كنـتُ أعــرفُ غـيرَ أني ... عَشِقتُ البحثَ حتى حقَّ ظَنّي
وكـانـت بُغيَتي قلبًا سليمًا ... كـما قـلـبِ الخـلـيـلِ المُطمئنّ
كـأني حـينَ كـان يُجيلُ طَرْفًا ... بـأغـوارِ الـنُـجـومِ أُقِـرَّ شـأني
فـأنت خَلقتَ لي قلبًا جَموحًا ... يَصيرُ إلى الأقاصي دونَ إذني
ويُرهِقُـني صَـعـودًا مثلَ طفلٍ ... يَشِبُّ عُـرامَـه حِرْصي وضَنّي
أَعيشُ غَضارةَ الميثاقِ رُوحًا ... يُسَمّي غايتي، ويقودُ سُفْني
«ألستُ بربِّكم»؟ وتُجيبُ ذاتي: ... بلى ربّي.. وأيَّ العَهْدِ أعنِّي!!!
وشَوقي مثلُ أَسْرِ العهدِ طاغٍ ... إلى الشُكرانِ... والأشواقُ تُضني
أما استخلفتَني في الأرضِ كيما ... أُقيمَ الحقَّ، واستوثَقتَ منّي؟
فـمـالي لا أَدوفُ نَجيعَ حَرفٍ ... ووَقـدةَ خـاطـري في كأسِ لَحني
وكيف أنـا أُسَـكِّنُ وَثْـبَ قلبي ... وقد فُتِحَت له سُبُلُ التمنّي!؟
نَـذَرتُ لك الحُـروفَ مُحَـرَّرات ... فكانت منـكَ في حِـرْزٍ وصَـونِ
وجئتُ بها إلى المحرابِ خَجْلى ... بـنَـزْرٍ بضاعتي، وجَليلِ دَيني
تَـقـبَّـلْـهـا، وكَـفِّـلْـهـا قـلـوبًا ... صَـحـيـحـاتٍ، وأنـبِـتْـهـا بيُمنِ

* * *

وكـنـتُ صـغـيرةً تَـقـتـاتُ حُـبًّا ... وتَـروَى دَهـشـةً مـن كـلِّ حُـسنِ
يَـطـيرُ بقلبِها شَـغَـفًا جَـمـالٌ ... خَـفِـيٌّ، لا يـجـودُ، ولا يُمَـنّـي
ويأسِـرُهـا وراءَ الخَـلقِ سِـحْـرٌ ... تَـتـوقُ لـسِـرِّه في كـلِّ فَـنِّ
تَـزِفُّ حُـروفَـها المَـلأى انبِـهـارًا ... لدفترِها، وتهمِسُ أن أَجِبْني:
تُـرى، مـا لِـلـربيعِ إذا تَـراءى ... تَوشَّـحَ بـالـبراعـمِ كلُ غُـصنِ!؟
ومـا لـلـبحرِ يَسـرِقُـني إذا ما ... تَرقرقَ في الضُّحى عَذْبَ التَثَنّي!؟
وأيّـةُ رَوعـةٍ في الـغـيـمِ يَـبـدو ... عصافيرًا تَطايَرُ مثلَ قُطْنِ!؟
ومـا سِرُ النجومِ؟ وأيـنَ تَمضي ... إذا طلعَ النهارُ؟ وكيف تُسنِي؟!
تـريـدُ الـسِـرَّ.. لا تـدري لِماذا ... يُـراوغُ حـين تسـأَلُـه، ويَكنِـي؟
وتُـغـفـي مـثـلَ دُوريٍّ صـغـيرٍ ... أَواهُ الـعُـشُّ في دَعَـةٍ وأَمْـنِ
تتمتِمُ: لا إلـهَ سـواكَ ربّـي.. ... ولم تَعِ ما الـذي الكلماتُ تَعني!

(*) انظر القصيدة بطولها في العدد ٥١ من المجلة الإلكترونية في موقع الرابطة.

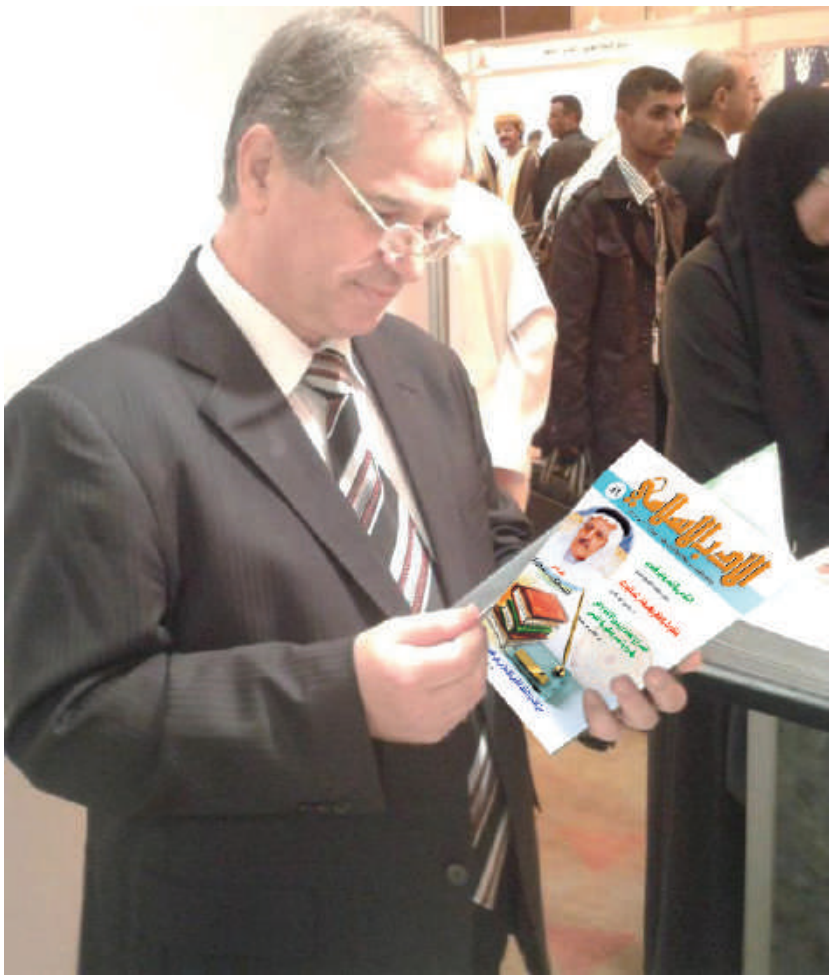

الأديب الدكتور محمد حسان الطيّان لـ (الأدب الإسلامي):

الأدب الإسلامي يحتاج منا إلى المزيد من العناية والاهتمام والإبداع شكلاً ومضموناً

عرفته قبل أكثرَ من عشرين عامًا، واستحكمَت صلتي به، واستمرّت على تطاوُل السنين؛ تلمذةً وإفادة وصُحبة. فعرَفتُ فيه العالمَ العاشق للعربيّة، المحيطَ بعلومها، المتضلِّعَ من فنونها، والأديبَ الألمعيّ صاحبَ القلم السامي، والبيان المعجب، والمعلّمَ البارع المتفانيَ في رسالته، والمتميّزَ في أدائه. وقبل كلّ ذلك الإنسانَ النبيلَ في خَلقه وتواضعه وبرّه.

جلست بين يديه تلميذًا في الجامع قبل الجامعة، وفتح لي قلبَه قبل أن يُشرعَ أبوابَ داره، فحبّب إليّ العربيّة، وأخذ بيدي في دُروبها. قرأت عليه في مصادرها وأمّاتها، وتخرّجت بعلمه وأدبه، وفوائده وتحقيقاته، ولم يبخل عليّ وعلى زملائي بنصائحَ تضيء لنا الطريق، وتختصر مسافات التحصيل، وتبلّغنا الأرَب.

إنه أستاذنا الأديب د. محمد حسان الطيّان، الذي أحمَدُ الله سبحانه على ما حَباني من نِعَم بمعرفته وصُحبته، وإن لساني ليعجزُ عن شكره؛ لما له علي من أيادٍ بيض، كان لها الأثر الجلي في حياتي. ولئن عجزت اليوم عن شكره إن كلّ ذرّة من كِياني لتشكرُ له، وتسأل الله له الجزاءَ الأوفى.

هذا، ويسعدني أن أستضيف أستاذنا المفضال في هذا الحوار الثريّ على صفحات مجلّتنا الأثيرة (مجلة الأدب الإسلامي) فحيّاه الله، وأهلاً وسهلاً به ضيفًا عزيزًا.

حاوره: أيمن ذوالغنى - سورية

من السيرة

■■ **أستاذنا الفاضل، إن المتأمِّل في نتاجكم يلاحظ تجاذبًا واضحًا بين اللغة وعلوم العربيَّة وبين الأدب والبيان، فكيف يرى الطيَّان نفسه؛ أديبًا أو لغويًّا؟**

■ أرى نفسي عاشقًا للعربيَّة أنَّى كانت؛ لغةً، أو نحوًا، أو أدبًا، أو شعرًا.. فبينا أنا غارقٌ في تفاصيل مسألة في النحو أو الصوتيَّات، يستفزُّني بيتُ شعر جميلٌ فيخلِبُني ويأسرني، وتُراني أسعى وراءه ووراء قائله لأقرأ القصيدةَ التي اشتملت عليه، والقريحةَ التي أبدعته، والمناسبةَ التي أوجدته.. ومن ثَم تراني مستغرقًا في عالم الأدب الجميل.

ويقيني أن هذا لا ينفكُّ عن ذاك، وما أحوجَنا إلى خلط اللغة بالأدب، والنحو بالشِّعر والخُطَب والأمثال والأخبار والحِكَم، إن هذا ما يجعل للغة مَذاقًا آخر، ويحبِّب الناسَ بها، ويعيدها سيرتَها الأولى.

■■ **لو رجع بك الزمان القَهقرى، ما الفرعُ الذي تُؤثر دراستَه والتخصُّصَ فيه؟**

■ فرع اللغة العربيَّة. ومن جميل صُنع الله بي أني عندما قرَّرتُ اختيار هذا الفرع، حزمت أمري فلم آبَه لكلِّ من حاول ثنيي عن عزمي؛ من الأهل أو الأساتيذ الذين كانوا يرَون بي قدرةً على دراسة التخصُّصات العلميَّة الأخرى؛ من طبٍّ أو هندسة أو ما إلى ذلك...فمضَيت في السبيل التي أردتُّ و ما ندِمتُ ساعةً من نهار، بل إن لساني ليَلهَجُ دائمًا بحمد الله أن وفَّقَني إلى هذا.

■■ **عملتم في خدمة العربيَّة في ميادينَ شتَّى؛ باحثًا ومحقِّقًا ومدرِّسًا ومحاضرًا، أين وجدتَ نفسَك أكثر؟**

■ كلٌّ له أثر حسنٌ في نفسي، على أن المحاضرة تأتي في المرتبة الأولى؛ فلا أوقعَ في النفس من حَدج الأعيُن وبريقها تلقُّفًا لما تقول، وإعجابًا بما تسمع، وإفادةً من الحضور.

ويأتي في المقام الثاني البحثُ العلمي، وقد سلَختُ فيه نحوًا من عشرين عامًا، أكلَت سني العمُر، في مركز الدراسات والبحوث العلميَّة بدمشق، مع نخبة من الباحثين أحملُ لهم في النفس أجملَ الذكريات.

■■ **امتدَّت مسيرتكم التعليميَّة إلى عقود، في الجامعة والجامع والمعاهد العلميَّة الشرعيَّة، كيف تقوِّم تجربتَك التعليميَّة، وماذا قدَّمَت لك؟**

■ تجربتي هذي صنعَتني؛ لأنها ألزمَتني التحضيرَ والتهييء لكلِّ محاضرة ألقيها، وكان من فضل الله عليَّ أن بدأت التعليم منذ أكثر من أربعين عامًا (عام ١٩٧٣م)، وتدرَّجتُ في مراتبه حتى بلغتُ أقصاها؛ وهي أستاذ

آوزتورك، أبو صالح، الطيان، في المؤتمر الثامن بإستانبول

الدراسات العليا. وكان همِّي في كلِّ مرحلة درَّستُها منصبًّا على أمرين: أولهما تقديمُ المادَّة العلميَّة المطلوبة في أبدع شكل ممكن وأتمِّ مضمون، وثانيهما تحبيبُ الطلبة بالعربيَّة.

■■ ما الفرقُ بين جيلكم متعلِّمًا وجيل طلابكم اليوم، وهلاَّ وجَّهت إليهم كلمات تنفعهم في طلبهم وحياتهم؟

■ لكلِّ زمان دولةٌ ورجال. أذكرُ أني كنت أفتتح دراستي بعد صلاة الفجر في مسجد السَّادات (في دمشق) وقراءة القرآن مع والدي رحمه الله، فأجدُ في ذلك من البرَكة والتوفيق ما لا سبيلَ إلى وصفه. ثم إذا حان وقتُ الجامعة ذهبت إليها مستعدًّا لدروسها، حافظًا لأشعارها، مراجعًا في طريقي إليها بعضَ ما سنُقبل عليه من محاضراتها.

ثم إذا فرَغتُ من الجامعة يمَّمتُ شطر دُكَّان والدي في المِسكيَّة بجوار جامع بني أميَّة الكبير، ومعي دفاتري وكتُبي، أقرأ فيها ما اسطعت، وما يسمح به المقام.

وفي الصيف كنت تجدُني وبعضَ أقراني نتنافس في قراءة ما يُفيدنا ويَرفد دراستَنا، وفي حفظ ما ينهض بنا وبلغتنا. سقى الله تلك الأيام.

الحسن، الشاويش، ذو الغنى، بدر، الطيان، في المؤتمر الثامن بإستانبول

أما اليوم فلا تكاد تجدُ حرصًا على دراسة، أو متابعة حثيثة لمحاضرة، أو عناية بقراءة أو حفظ، إلا من رحم ربُّك، وقليلاً ما هم. وأنا أقول لهم: إن العلم إن لم تُعطه كلَّك لم يُعطك بعضَه، فمَن أراد العلم وسعى له سعيَه فليُعطه حقَّه؛ اهتمامًا وعناية ومتابعة وجهدًا.

على أن مما يُثلج صدري أني رأيت طائفةً من تلامذتي النُّجَباء، لا همَّ لهم إلا التحقيقُ والتدقيق والتتبُّع لمسائل العربيَّة وقضاياها، ولا أبالغ إن قلت لك: إني أُفيد منهم، وأحرِص على فوائدهم، وأدعو لهم دائمًا بالتوفيق والسَّداد، وأنت منهم يا أستاذ أيمن.

اللغة العربية والتمكين لها

■■ كيف ترَون مستقبلَ اللغة العربيَّة في زمن التِّقانة وهيمنة وسائلها العصريَّة؟

■ العربيَّة بلا شكٍّ في خطر، ولكن لا ذنبَ للتِّقانة ووسائلها في ذلك، إنما الذَّنبُ ذنبُنا، نحن الذين قصَّرنا في خِدمتها، ودراستها، وحفظها، ورفع رايتها.. والحقُّ أن التِّقانة والحاسوب يمكن أن يُسهما في كثير من خِدمتها وعلوِّ شأنها ورفعتها، وقد كان لي شرفُ المشاركة في أنظمة حاسوبيَّة تُعنى بصَرف العربيَّة ونحوها، وأصواتها وتعليمها، وما زال هذا الجانبُ بحاجة إلى من ينهض به ويبذُل له.

ولا ريبَ عندي أن من يشرُف بخدمة هذه اللغة الشريفة إنما يحملُ رايةً منصورة؛ لأن العربيَّة باقيةٌ منصورة مادامَ في الأرض قرآنٌ يُتلى، (إِنَّا نَحْنُ

نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر -٩).

■■ **للعربيَّة اليوم من أبنائها أنصارٌ وعاشقون، يحرصون على تعلُّمها وإتقان مهاراتها، ماذا تقول لهم؟**

■ أقول لهم: إني أحبُّكم؛ لأني أحبُّ العربيَّةَ وأحبُّ من يحبُّها. فهنيئًا لكم بما حَباكم المولى من عشق لغة كتابه الكريم، وثقوا بأنكم على الجادَّة، زادكم الله توفيقًا وسَدادًا، وأعزَّكم كما أعززتُم هذه اللغة، (وكَم عَزَّ أقوامٌ بعِزِّ لُغاتِ).

■■ **ومن أبناء العرب أيضًا ويا للأسف عقَقَة، استدبروا جادَّة لغتهم وقدَّموا عليها غيرَها من اللغات الأجنبيَّة، فهل لهؤلاء من نصيحة؟**

■ أقول لهؤلاء: أسأتُم لأنفسكم بإهمال لغتكم، فلغةُ المرء هُويَّته، ومَوطنه، وأصالته.. ورحم الله شوقي إذ يقول: ((وما العربيَّة إلا وطن)). وذُلُّ اللغة ذُلٌّ لهم لو كانوا يعلمون!(وكم ذلَّ أقوامٌ بذلِّ لغاتِ). وليست العنايةُ باللغة العربيَّة بمانعة من إتقان غيرها، ولكنَّ ذلك لا يكون على حسابها.

■■ **كثير من الناشئة من محبِّي العربيَّة وآدابها يتلمَّسون سبُل القبض على ناصية البيان العربيِّ، ولا يفتؤون يفحصون عن أدوات تمكُّنهم منه، وهم بلا ريب يستحقُّون منكم التوجيه؟**

■ أهمُّ هذه الأدوات قراءةُ نصوص العربيَّة وحفظُها بعد التحقُّق من سلامتها وضبطها، فذلك هو السبيلُ الأمثل للتمكُّن منها، وكنت عالجتُ هذه المسألةَ بإسهاب في كتابي «كيف تغدو فصيحًا عفَّ اللسان»، وأشرتُ إلى نظرية ابن خَلدون في اكتساب اللغة، وكلمته الفذَّة في هذا: «اعلم أن مَلَكة اللسان المُضَريِّ لهذا العهد قد ذهبَت وفسدَت، إلا أن اللغات لمَّا كانت مَلَكات كان تعلُّمها مُمكنًا شأنَ سائر المَلَكات، ووجهُ التعليم لمَن يبتغي هذه المَلَكةَ ويرومُ تحصيلَها أن يأخذَ نفسَه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم؛ من القرآن، والحديث، وكلام السَّلَف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولَّدين أيضًا في سائر فنونهم، حتى يتنزَّلَ لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلةَ من نشأ بينهم، ولُقِّن العبارةَ عن المقاصد منهم، ثم يتصرَّفَ بعد ذلك في التعبير عمَّا في ضميره على حسَب عباراتِهم، وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظَه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصُلَ له هذه المَلَكةُ بهذا الحفظ والاستعمال، ويزدادَ بكثرتهما رسوخًا وقوَّة» (مقدِّمة ابن خلدون ٣/١٢٨٥-١٢٨٦).

■■ **نلاحظ أنكم جمعتُم في الطلب بين الأخذ عن**

شيوخ العربيَّة الكبار، وشيوخ الشريعة الجِلَّة، هل من أثر لتحصيل العلوم الشرعيَّة في الرقيِّ اللغوي والأدبي؟

■ كلُّ الأثر، وهو أثرٌ ظاهر بادٍ لا يكاد يخفى على أحد؛ لأن علوم العربيَّة ما نشأت أصلاً إلا في رحاب القرآن الكريم، ولولا القرآنُ ما كانت العربيَّة. ومن ثَم كان المعتني بعلوم العربيَّة معنيًّا بعلوم الشرع، وأنا أقول دائمًا: القرآن مفتاحُ العربيَّة، وما أفلحَ من أفلحَ من أرباب اللغة واللَّسَن والبيان إلا بالقرآن، وسلوا من شئتُم من أدباء النصارى الذين أبدعوا في العربيَّة تجدوا أنهم أتقنوا القرآنَ حفظًا وفهمًا وتذوُّقًا.

رحم الله أشياخي وجزاهم عنِّي وعن لغتي خيرَ الجزاء.

■■ نصيحة تسدونها لمعلِّمي العربيَّة؛ للأخذ بأيدي طلابهم إلى محبَّتها، والغَيرة على كيانها، والتمكُّن من علومها؟

■ ابدؤوا بالحبِّ فهو يصنع المعجزات! أحبُّوا طلابكم، واجعلوهم يحبُّونكم بكلِّ ما يمكن من أدوات الحبِّ، بالكلمة الطيِّبة، والوجه البَشوش، والخُلق الكريم، والتفنُّن في إطرافهم وإطرابهم وتشجيعهم... فإذا أحبُّوكم انتفعوا بعلمكم، ابنوا جسرًا لقلوبهم يعبُرون فيه إلى عقولكم، فالطالبُ الذي يحبُّ أستاذَه ينتفع بعلمه، وينتظر لقاءه، ويسعى لمحاكاته ومجاراته.

◁◁ الأدب الإسلامي وتعزيز أثره

■■ ما رأيك بمسيرة الأدب الإسلاميِّ، وما الدَّور المَنوط به؟

■ مسيرةٌ مجاهدة، تكتنفها الكثيرُ من الصُّعوبات؛ لأنه أدبٌ محارب على عدَّة جبَهات، ويحتاج منَّا إلى المزيد من العناية والاهتمام والإبداع؛ شكلاً ومضمونًا؛ ليكونَ المجلِّيَ في كلِّ مكان يحلُّ به، ولا يُؤتى من ثُغرات قد تعتريه؛ كالمباشرة، والتقليد، والخطابيَّة، والضعف، والتكرار...

أمَّا المهمَّة المَنوطة به فهي عظيمةٌ جليلة، تبدأ من تنمية الذائقة الأدبيَّة، ولا تكاد تنتهي عند حدود؛ لأنه يعبِّر عن تطلُّعات المسلم في إصلاح الفرد والمجتمع، وغَرس المكارم والفضائل، ورفع راية لغة القرآن خفَّاقةً عزيزةً منيعة.

■■ كيف ترَون الأدب الإسلاميَّ في ظلِّ الانفتاح المعرفيِّ المعاصر؛ ضرورةً للحفاظ على الهُويَّة، أو ترَفًا ليس له كبيرُ أثر؟

■ بل له أثرٌ طيِّب، يزداد أهميَّة كلَّما زاد الانفتاح، أو هيمنَت العولمة، أو طغَت المفاهيم الغربيَّة على فكرنا وإرثنا وعقيدتنا، وهو ضرورةٌ ملحَّة لتزويد ناشئتنا بما يحفظُ عليهم دينَهم وأخلاقهم، ويزوِّدهم بزاد يُغنيهم عن التطلُّع إلى فُتات الآخرين.

■■ هل من رؤًى للنهوض بالأدب الإسلاميِّ ليحقِّق رسالتَه السامية؟

■ لا يملك مثلي هذه الرُّؤى، بل يملكها أربابُ الأدب الإسلاميِّ الذين أبلَوا بلاءً حسنًا فيه، وهم بحمد الله كُثُر، فيهم الخيرُ، وعليهم المعوَّل في النهوض به.

■■ كلمة توجِّهونها إلى زملائكم من أدباء الرابطة؟

■ ليكُن همُّكم في تجويد العمل الأدبيِّ، والارتقاء به، وتوفير كلِّ عناصر النجاح له، ولتُكملوا مسيرةَ الكبار من أرباب الأدب الإسلاميِّ؛ كالرافعيِّ ومحمود شاكر ونجيب الكِيلاني وعمر بهاء الدين الأميري...

■■ مجلَّة الأدب الإسلاميِّ أكملت من عمُرها اثنين وعشرين عامًا، ما رأيكم فيها، وما جوانبُ النقص التي يحسُن استكمالها؟

■ أرى أنها تسدُّ ثُغرةً عظيمة في دنيا الثقافة والأدب، وأثني

على كلٍّ من يعمل فيها، ويكتب لها، ويقرؤها. وإن كان لي من عتَب فهو عدمُ نشر ما لا ينتمي إلى الأنواع الأدبيَّة المعروفة، فقد أرسلت مرَّة مقالاً لِيُنشرَ فيها عن أحد الأعلام فرُفض المقال بحجَّة أنه ترجمة! وأنا والله لا أكتبُ الترجمة ولا أُحسنها، فذاك فنٌّ له أهلوه، وإنما أكتبُ خواطرَ وسوانح وذكريات عن رجال عرفتُهم بلغة أحاول فيها أن أرقى إليهم بيانًا وفصاحةً وبلاغة! بل دعني أقولها بملء فمي: إذا لم يكن هذا من الأدب فما الأدب؟!

مع الكتاب

■■ يقول الشاعر: (ما الحبُّ إلا للحبيب الأوَّل) ما أوَّل كتاب اقتنيتَه، وكان نَواةَ مكتبتك؟

■ كتاب «رجال من التاريخ» لأديب الشام وشيخها الأستاذ علي الطنطاوي.

■■ ما أحبُّ الكتُب إليك سوى كتاب الله تعالى، كتاب ترك في وِجدانك أثرًا عميقًا لا يُمحى؟

■ كتاب «أباطيل وأسمار» لشيخ العربيَّة وحارسها الأمين أبي فِهر محمود محمَّد شاكر.

■■ هل من كتاب لك قصَّة خاصَّة معه؟

■ كتاب «القوافي» للأخفش، وكان قد حقَّقه شيخُنا العلامة أحمد راتب النفَّاخ رحمه الله، ووصلَته بعضُ النسخ من بيروت، فعرضَه علينا فرحًا به جذلاً بنشره، وأوصاني والأخَ د.يحيى مير علم ألا نشتريَه؛ لأن نسخَنا محجوزة، وأكَّد ذلك غيرَ مرَّة، ولكنَّ فضولي منعَني من الانتظار، فاقتنَيتُ نسخةً من مكتبة الفتح الأثيرة على قلب شيخنا، وكانت خِيرة؛ إذ إن نُسخَ الكتاب أتت عليها الحربُ في بيروت، وصارت نسختي من النسَخ النادرة التي تناهَبَها الصحبُ استعارةً وتصويرًا.

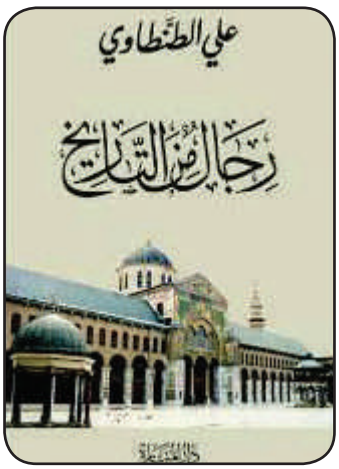

■■ صدر لك عددٌ من الكتب، منها ما هو في تحقيق التراث، ومنها اللغويُّ، ومنها الأدبيُّ، ما أحظى كتُبك عندك؟

■ تحقيقي لكتاب «الدرِّ النثيرْ والعَذب النَّميرْ في شَرح التيسيرْ»، ودراستي له، وقد طُبع في مَجمَع اللغة العربيَّة بدمشق في ثلاثة أجزاء.

ثم كتابي: «كيف تغدو فصيحًا عفَّ اللسان؟»، وكتابي «مِن رجالات دمشق».

■■ لا يخفى عزوفُ شبابنا عامَّة عن القراءة، فما أهميَّة القراءة لهم، وكيف نرغِّبهم بصحبة الكتاب؟

■ القراءة تبني شخصيَّة المرء وتميِّزه، وترفع مكانتَه عند الله وبين الناس، كيف لا وقد نزَل القرآن بـ: (اقرأ)، وهي المَعين الذي يمتَحُ منه القارئ، والرصيد الذي يعتمد عليه، والثقافة التي تكوِّن شخصيَّته؟!

وأنا أنصح طلبَتي دائمًا بأن يبدؤوا بأسهل الكتب وأيسرها عبارة، وأخفِّها وقعًا على النفس، ككتب الشيخ علي الطنطاوي التي يوصَف أسلوبُها بالسهل الممتنع، فلعلَّها تكون البدايةَ للتعلُّق بالقراءة، والاستمتاع بها، والفوز بفوائدها.

■■ كلمة أخيرة تختمون بها الحوار؟

■ الشكر لك وللقائمين على هذه المجلَّة الغرَّاء، جزاك الله خيرًا وإيَّاهم، وسدَّد خُطاك وخُطاهم■

من ماء زمزم

كتبت في أيام موسم الحج في عام ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

د.عودة أبو عودة (*) - الأردن

ماذا وقوفكما في البان والعلم ... والناس من كل فَجٍّ في ذُرى الحرم

يا صاحبيّ، وإني وامق دَنِفٌ ... وأنتما في فؤادي أرفعُ القمم

وَدِدْتُ لو أنتما في السَّفْر في كَنَفي ... يا صاحبيْ أملي، يا صاحبيْ ألمي

نادى المؤذّنُ في الحجّاج فاجتمعوا ... وكعبةُ الله تدعو الخلْقَ من أَمم

يطّوّفون وعينُ الله تَرقبُهُمْ ... «ما بين مستلمٍ منهم وملتزم»

يَدْعون في أمل، يبكون في وَجَلٍ ... واحرّ قلباه بين الوَجْد والندم

أصغيتُ أفهمُ شيئاً لكن التبستْ ... عليّ ألْسِنَةٌ للعُربِ والعجم

كلٌّ يُسَبّحُ: ألوانٌ وأدعيةٌ ... من آيه اختلافُ اللون والكَلِم

(اللهُ) (اللهُ) تعلو كُلَّ دَعْوتِهمْ ... تَرَدَّدَ القولُ فيها مِنْ فمٍ لفم

اللهُ ناداهمُ واللهُ جمّعَهُمْ ... فَوَحْدَهُ (اللهُ) رَبُّ العَرْش والنَّسم

الأولُ (اللهُ)، عهداً غيرَ مبتدأٍ ... والآخِرُ (اللهُ) عهداً غير مُخْتَتم

الله يعلمُ ماذا يهتفون به ... وليس سِرُّهُمُ عنه بمنكتم

لو اطّلعتَ على أسرار أنفسهمْ ... «مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدم»

جاءوا.. وطافوا.. بأفواج تموج بهمْ ... تسيل أَمواجُهمْ كالعارضِ العَرِم

هديرُ أصواتهمْ ذِكْرٌ تفيضُ به ... أرواحُهمْ أملا بالعفو والرَّفم

مَنْ ذا يراجعُ أفعالاً لهم سبقت ... ومَنْ يحاسب كل الخلْق والأُمم

كفى بربك يُحصي كلَّ ما فعلت ... أناسمُ الخلْقِ فاهنأْ ثَمّ والتزم

قل حسبي الله، والْزَمْ دَرْبَ طاعته ... وطُفْ بكعبة رب الخلق واستلم

(*) جامعة العلوم الإسلاميّة العالمية

أُمُّ القُرى مكةٌ، والله حرّمها ... فَكُلُّ أيامها كالأشهر الحُرُمِ

(ما حولها) دَوَرانُ الكون مُنْتظَما ... إذا نَظَرْتَ إليه مِنْ عَلٍ تَهِم

ماذا الطواف؟ وما الأسرارُ كامنةٌ؟ ... عَرَفْتَ قدرك أم ما زلتَ عنه عَمِ؟

الطائفون على مَرّ الدهور وهمْ ... يَسَّمَّعون دُعاءَ الكون والنَّسَم

والسابحون مع الأبراج في فَلَكٍ ... والعاكفون بحب الله في الخِيم

ما سِرُّ كَوْنٍ يطوف الناسُ كعبتَهُ ... هل هاهنا سِرُّ بدء الخلق كُلّهم

هل (طهّرا بيتي) المقصودَ، قد فَصَلَتْ ... بحكمة الله بين النور والظُّلَمِ

وانظرْ إلى (الياء) في بيتي وما حملتْ ... من لَمْسَةِ الحب أو من همسة الرَّحم

خُذْني لبيتكَ طوّافاً ومعتكفا ... واجعلْ بذكرك قلبي ناطقاً وفمي

قِفْ في المقام وصل الركعتين وقُمْ ... مقامَ جَدّك إبراهيمَ مِنْ قِدَمِ

إذ يرفع البيت من أدنى قواعده ... وإبنُهُ مَعَهُ، أكرمْ بِمُسْتَهَمِ

من ماء زَمْزَمَ سَمّ الله مدّكراً ... هَمّ التي فتئتْ تسعى على قَدَمِ

كانتْ تُهرول بين الصخرتين عسى ... تنال قطرة ماءٍ للصّغير ظَمي

حبا ليتبعها إذْ مَلّ غَيْبَتَها ... وصاح في أدمع حرّى من السقم

تَفَحَّصَتْ قدماه الأرض مرتعشاً ... فانشقت الأرضُ عن فيض من السَّجَمِ

عادتْ فإذْ جَرَيان الماء يَغْمُرُه ... يا عَيْنُ زِمّي وزِمّي ثَمَّ وانتظمي

فالناس يَسْعَوْنَ تخليداً لذكرهما ... وَزَمْزَمٌ فيه سِرٌّ غيرُ مُنْحَسِمِ

يَسْعَوْن بين الصفا والمروة، انطلقوا ... بحراً من الخَلْقِ أَمْ سَيْلاً من الدّيم

ثم انثنوْا إلى عَرَفات الله يملؤهم ... فَيْضٌ من الأمل الموعود بالكرم

يوم على عرفات الخير كان لهم ... فَضْلٌ من الله في عفو عن الوَصَم

جاء الحجيج إليه يوم وقفتهمْ ... فاضت دموعهمُ من حَسرة النَّدم

وأخلصوا فيه للرحمن دَعْوتهمْ ... فخصَّهمْ فيه بالغفران والنّعَمِ

يـومٌ تشـابه فيـه النـاسُ كلهم ... فلا تمايز في الأحساب والحَشَمِ

جـاء الملـوك بـلا ركـب ولا حَرَس ... لا الثوبُ خَزٌّ ولا الياقوتُ في العِصَمِ

كُـلٌّ سـواسـيـةٌ في مـوقـف جَـلِلٍ ... والجَمْعُ في حضرة الرحمن في سَدَمِ

قال اشهدوا يا عبادي قد غفرت لهم ... فَهُمْ ضيوفيَ في (بيتي) وفي حرمي

عادتْ صحائفُهمْ بيضاءَ صافيةً ... عهدٌ عليكَ فَوَفّ العهد واعتصم

وفي المساء أفاضوا نحو مزدلِفٍ ... كـأنّمـا ازدلـفـوا للخير مـن أَمَمِ

وفي صباح مِنىً شُدَّت رواحِلُهُمْ ... نحو الجمار لرمي الشرِّ والظُّلَمِ

ضحواوفاضواإلىالبيتالعتيقضُحى ... واستمسكوا بتمام العهد والذِّمم

أيـامُ أكلٍ وشُرب في صعيدِ مِنىً ... عنوانُها نَسَمات الـود والـرُّحَـم

مـاذا عليهم إذا طابت نفوسهُمُ ... وبـان سَعْدُهُمُ في حسن مُبْتَسَمِ

ها هم يموجون في شَتّى جموعِهِمُ ... كأنهمْ صورةٌ مِنْ مَحْشَر الأُمَمِ

منهمْ تعجّل في يومين واختتموا ... ومـنـهـمُ زاد يـومـاً دونمـا أَثَـمِ

وكلهمْ عـاد للبيت الحـرام لكي ... يُودّعوا البيت بين الشوق والألم

يدعونني لـوداع البيت محتسباً ... فالقلب في أَلم والعين في سَجَمِ

كفكفْ دموعك إن الرّكْبَ مُرتحل ... إلى المدينة مَهْدِ السادة القُدُمِ

أنصار دين رسول الله ما فَتئوا ... يُمَسِّكون بعهد الصـادق العَلَمِ

صَلَّيْتُ أتلو (ألم نشرح) بِرَوْضَته ... فاليسر في نورها يَشْفي من السَّقم

وقفتُ أرنـو إلى نـور المقـام وفي ... جوانح القلب تَسْري سورةُ القلم

لـديَّ يـا سـيـدي عـهـد أُبـلّـغـه ... ما زلتُ أحمله مِنْ صاحِبَيْ قلمي

(أقرئه عنّي الجوى) من ذَوْبِ وَجْدِهُمُ ... عشقٌ من القلب لا سطرٌ من الكلم

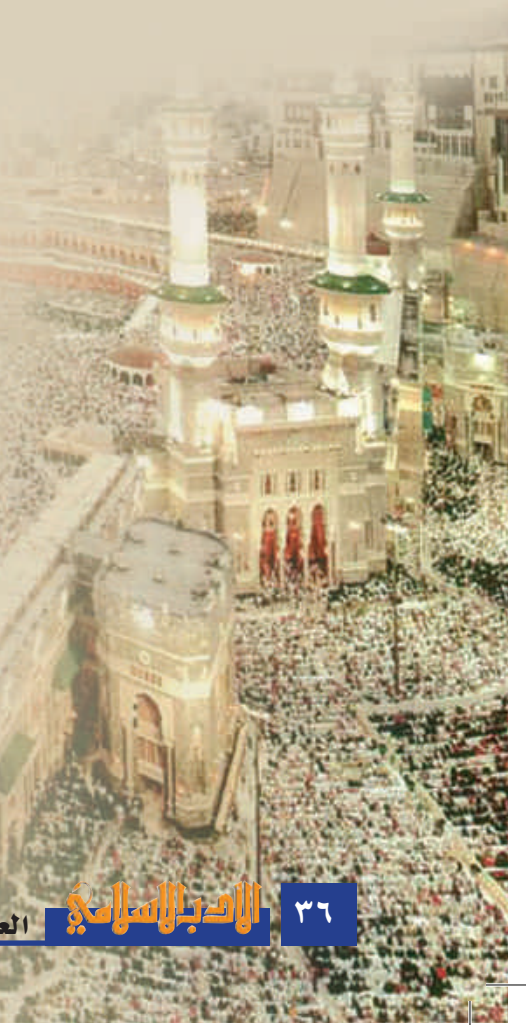

يا سيدي يا رسول الله معذرة ... إنْ كان في قولنا شيءٌ من العَشَم

حادت عن السُّنة الغراء أمتنا ... حتّى غدونا لقىً في آخر الأُمم

يا سيدي ليتنا ندعو بِسُنَّتِكُمْ ... فيحفظُ العهد مأموم بِمؤْتَمَم

تركت فينا هدى في الدين ما فتئت ... أنوارُه تزدهي بالعز والشَّمَم

لكننا لم نكن أهلاً لقامته ... فقد أُصبنا من الآثام بالبَشَم

حادتْ مناهجُنا عن نور سُنَّتنا ... فالقومُ في شُغُلٍ بالباه والغَلَم

استبدلوا الزيف والأوهام في بَكَمٍ ... بالعلم والفكر والتجريب والحِكَم

أُجلُّ قَدْرَكَ أن أُفْضي بِسيرتهمْ ... لولا يقيني بفضل الفتية الحُسُم

إنْ أخطؤوا فَلِعَفْوِ الله قد لجؤوا ... أعْفاهُمُ من كبير الذنب واللمم

لو أنهمْ لزموا منهاج خالقِهمْ ... لَصار واحدُهمْ كالفارس البُهَم

فنحن قومٌ لنا في إرثنا شمم ... فلا نُطيق حياةَ الذل والوَخَم

وسوف يا سيدي نسمو بطاقتنا ... والله يَقْبَل منا توبةَ الندم

عسى يكون لنا في عمرنا أملٌ ... بأن نَشُدَّ رحالَ الخيل واللُّجُم

لكي نُصلّيَ في (الأقصى) فآن لنا ... أن نصنعَ المجدَ مع فتياننا الحُسُم

شُدوا الرّحال لأولى القبلتين فقد ... عانت طويلاً بمكر الأمة القَزَم

ما كان نَصْرُهُمُ لولا تخلُّفُنا ... فالنّصر نَصْنَعُهُ بالعلم والقُدُم

عزُّ العروبة بابٌ ليس يفتحه ... إلا الأماجدُ من أبنائها القُثُم

سلاحُهُمْ نَصْرهُمْ لله أَوَّلُه ... ووحدةُ الأمة الشمّاء بالقَسَم

إن تَنْصُروا الله ينصرْكُمْ فإنَّ به ... عند الجهاد ثباتَ القلب والقدم

فِرّوا إلى الله، إنّي ناصحٌ لكمُ ... فَوَحْدَه اللّهُ ربُّ العَرْش والقلم

تأملات نقدية
في أدب الدكتور وليد قصاب

الدكتور «وليد قصاب» أثرى حياتنا الأدبية بكتاباته النقدية وقصصه وأشعاره وكلها في إطار الأدب الإسلامي. فما هي مفاهيم الأدب الاسلامي التي قام بالتنظير لها في دراساته وأبحاثه النقدية؟ وكيف تجلت هذه المفاهيم تطبيقيا في شعره وقصصه؟

د. صلاح عدس - مصر

إن الأدب الإسلامي هو تعبير فني جمالي عن مضمون إسلامي، أي عن الرؤية والتصور الإسلامي لله.. والكون والإنسان والحياة..[١]، والدفاع عن القيم الإسلامية قيم الحق والعدل والخير والحرية، والانتصار لهذه القيم ضد الباطل والظلم والشر والقهر.. أي أن يكون للأديب رسالة وهدف إلى جانب المتعة الفنية التي يحققها العمل الأدبي من خلال الشكل الفني بقواعده وجمالياته، ولكن لا يكون العمل الأدبي مجرد زخارف، أو هندسة لفظية، أو تركيبات لغوية جمالية تشبه زخارف الأرابيسك، أو الرسوم التجريدية في الفن التشكيلي الحديث، والتي لها جذور في فلسفة الجمال عند «كانت» كما يقول «هربرت ريد» في كتابه «مفهوم الفن»..[٢].

هذا ما يدعو إليه مذهب الفن للفن، والذي يرفضه الأدب الإسلامي لأنه يخلع عن الأدب وظيفته، بينما الأديب الإسلامي صاحب دعوة ورسالة، وقد عبر عن ذلك الدكتور وليد قصاب[٣]...

ونحن نذكر بهذه المناسبة مقولة «ريتشاردز» في كتابه «أسس النقد الأدبي»:(إن الشكل هو الذي يحدد عظمة العمل الأدبي)[٤]... ولذلك فنحن نقوّم الأدب بحسب عقيدتنا الإسلامية، فلماذا يستنكر علينا العلمانيون والماركسيون ذلك، ويرفضون الأدب الإسلامي؟ بينما هم في الواقعية الاشتراكية يقومون العمل الأدبي بحسب انتماء الأديب الطبقي وبحسب أيديولوجيتهم الماركسية...

والدكتور وليد قصاب يرفض بذلك اتجاه الفن للفن؛ ويرفض الرومانسية اليائسة، ويرفض الواقعية المخزية التي تسمى باسم «الطبيعية» في روايات «بلزاك» و «إميل زولا»[٥]..

وهذا الاتجاه للواقعية الطبيعية يقلده نجيب محفوظ في عرض الشخصيات السلبية والمخمورين والعاهرات والبلطجية والشذوذ والمجون، وذلك بعكس نجيب الكيلاني، والدكتور وليد قصاب وغيرهما ممن يتبعون مذهب «الواقعية الإسلامية» التي تصور الشخصيات الإيجابية في الحياة والمجتمع، وتصور الصراع بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، ولكنها تنتصر دائما في النهاية للقيم الإنسانية الإسلامية... وهنا يهاجم الدكتور وليد قصاب دعاة الانحلال والحرية الفوضوية باسم الإبداع وحرية الإبداع[٦]....

وهنا تتضح أهمية الأدب الإسلامي وسيلة للدفاع عن الإسلام في مواجهة من يهاجمون ويتطاولون على الله ورسوله وصحابته ودينه في أعمال يسمونها أدبا أو فنا باسم حرية الإبداع..

والأدب الإسلامي ليس بالضرورة أن يكون مدحا للنبيﷺ، أو تمثيليات من التاريخ الإسلامي، وإنما يمكن أن تكون موضوعاته من الحياة والواقع الاجتماعي، والمهم هو المضمون الإسلامي، أي الرؤية الإسلامية للحياة والواقع، أي أن المهم هو الدعوة لقيم النبل والنخوة والشهامة والصدق والأمانة والتضحية، والدفاع عن الخير والحق، وتأييد الكفاح ضد الظلم والقهر، وتمجيد النضال من أجل حياة أفضل، وكل هذا مهما تعددت الموضوعات.

وهذا ما نجده في إنتاج كاتبنا الدكتور وليد قصاب «الشعري والقصصي... وهو يتميز بالبساطة والوضوح لأنه صاحب دعوة، وصاحب رسالة، فلم يقع فيما وقع فيه غيره من الإلغاز والتعقيد باسم «الحداثة»، وهو أمر ترفضه طبيعة لغتنا العربية وفلسفتها البلاغية التي تعرف الخيال والرمز، ولكنها لا تعرف الخيال المطلق، ولا الرمز المغلق، وإنما لا بد من علاقة منطقية في المجاز، فلابد في التشبيه من وجه الشبه، ولابد في الاستعارة من جامع، أي لابد في التعبير المجازي من قدر من الوضوح، وقدر من المنطق، وهذا ما نجده في قصص الدكتور وليد قصاب وأشعاره، ولذلك نجده

يتميز بتوافقه مع طبيعة لغتنا العربية وفلسفتها البلاغية.

وقد هاجم «الجرجاني» الغموض والتعقيد في شعر أبي تمام[٧]... وهذا يذكرنا بما شهده الشعر الإنجليزي المعاصر من عودة إلى البساطة على يد «كوفمان» و«فيليب لاركن»، والهجوم على غموض وتعقيد الشاعر «ت.س. إليوت»، إذ اعتبروا شعره مجرد حذلقات، واستعراض للعضلات الثقافية تدخل في باب الفلسفة لا في باب الشعر، لأنه يجب أن يكون الشعر نابعا من القلب ليصل إلى القلب[٨]....

وهذا بالضبط ما توصل إليه «الجرجاني» قبل أكثر من ألف عام، وهذا أيضا ما نراه في شعر الدكتور «وليد قصاب» ولنستمع إليه في قصيدة من المحور الإنساني يخاطب طفلته فيقول بشاعريته البسيطة الدافئة الرقيقة:

بنيتي الأخيرة
كأختها وأختها
قصيدتي الأثيرة
وجدول من السنا
يرقرق النميرا
بدورنا ثلاثة
تمحو الأسى
وتغرس الحبورا
يا ريم
يا آخر العنقود في بستاننا
يا زهره النضيرا

ملأت عالمي هنا
وفي المدى من حولنا
وحالها من اسمها
غزالة طيارة
لا تعرف الفتورا
رزقت ريماً في الكبر
والعمر شاخت شمسه
وكاد يأفل القمر
فاخضوضرت حولي الفيافي
وربا فيها الزهر.

أما عن قصص الدكتور وليد قصاب فلعل رائعته هي مجموعته «الصرخة» ومن أجملها قصته «أبو محمد، وهذه الكنية هي كنية وهمية للبطل الذي لم ينجب سوى البنات، وتردد كثيرا في الزواج بأخرى لعلها تلد له ذكرا، ونشأ لديه صراع داخلي لأن مسألة الإنجاب غيب قدري في يد الله ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ﴾ (الشورى -٤٩) ثم من يدري أن الزوجة الجديدة ستلد محمدا، إذ ربما تلد بنتا، ثم من يدري ربما يكون هذا الولد شرا ووبالا عليه بعقوقه له، ثم إن زوجته الحالية لم يحدث منها إساءة له، بل إنها قبلت زواجه بأخرى من أجل سعادته، مما أنهى الصراع لديه، وقبل قضاء الله، وانفرجت الأزمة النفسية لديه، إذ أخجلته ردود زوجته، فقال لها بصدق: البنات عمري. وضحكا، وسارت الحياة بهما رخية.

وهكذا ينتهي الحدث الدرامي بلحظة التنوير التي تكشف عن المعنى الكلي من خلال النسيج الفني الرقراق الجذاب، أي السرد والوصف والحوار، ومن خلال المضمون الإسلامي الذي يتجلى في كل أشعار وقصص الدكتور وليد قصاب ودراساته النقدية..■

الهوامش:

(١) انظر كتاب الأدب الإسلامي - تأليف د. صابر عبد الدايم.

(٢) the meaning of art. by:Herbert Reed. p.30.

(٣) مجلة الأدب الإسلامي - العدد ٧٨ - مقال الدكتور وليد القصاب بعنوان: «مقاربة النص الأدبي».

(٤) principles of literary criticiam. by: A. Richarda. p.53

(٥) History of brench literary. by:Geoffrey Brereton. p.71

(٦) مقال الدكتور وليد القصاب بمجلة الأدبي الإسلامي - العدد ٨٠ -.

(٧) كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه - تأليف القاضي الجرجاني - وفيه يقول الجرجاني عن أبي تمام: (اجتلب المعاني الغامضة، وقصد الأغراض الخفية، فاحتمل فيها كل غث ثقيل، فلم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر).

(٨) History of English literature. by: Ifor Evama. p.33

لقاء

إيمان بدران- فلسطين

طيفُ الأحبَّةِ ما أرقَّ عبيرَهُ ... كالدوحِ يَشفِي من عَقيمِ الداءِ
بَسَماتُهم مثلُ النَّسيمِ عليلةٌ ... أو كالنّجومِ تلألأتْ بِسمَائِي
للهِ درُّ الــوُدِّ لمَّا يَنْجَلِي ... بلسانِ شَهْدٍ في سلاسةِ ماءِ
أَحْبَبْتُهمْ لمَّا عَرفْتُ قُلوبَهُمْ ... بَيضاءَ تَنضَحُ بالسَّنا الوضّاءِ
مَرَّتْ دُهورٌ والمشاعِرُ لمْ تَزَلْ ... كالعُودِ غضَّاً قدْ أُحِيطَ بِماءِ
اللهُ في طبْعِ القُلوبِ وَنبْضِها ... تَـزدادُ شَـوقاً للبَعيدِ النَّائِي
فإذا دنَوا رَقَصَ الفُؤادُ مَحَبّةً ... والـعَـيْنُ تَلمَعُ فَـرْحَـةً بِلِقاءِ
وَترَى الحَياةَ كَأَنها في زُخْرُفٍ ... الحُـبُّ زَيَّـنَ رَوْضَـها بإخاءِ

الهارب

محمد حمادو أحمد- النيجر

بعد ساعات من الهلع والترقب، ولكي لا أقع صيدا سهلا لجأت إلى ساحر كانت لي به صلات قديمة.

تعممت ولبست نظارة سوداء، وأجريت بعض التعديلات في الهيئة والبشرة،

أعطيته كيسا بكل ما فيه مقابل أن يكشف لي عن طالعي، وكانت المفاجأة كبيرة حين نصحني بالهجرة، وقال: إن مستقبلك زمانا ومكانا ليس هنا، بل هناك في أرض الحرية!..

وعبثا حاول أن يقنعني فخرجت من عنده غضبان أسفا، وفي أول خطوة أسمعني كلاما حسنا ارتج له بدني، وجعلني ألتفت إليه من جديد، لأقول:

أنا سأصبح أكبر شخصية يشار إليها بالبنان.. ما هذا الهراء!؟

أخذ بيدي وأسر إلي بكلمات وهمهمات، فقمت متبخترا مودعا إياه.

الوقت قاب قوسين أو أدنى من الليل، كنت مجرما هاربا في نظر السلطات، إذ إنني من سجناء الرأي.. وقد تمكنت من الهرب في مظاهرة الأمس. شعرت بحيرة ثم تبددت عني المخاوف حين خطر ببالي أن أتجه صوب منظمات تعنى بشؤون أهل القارة.

كان الوقوع في قبضة البوليس أخوف ما أخافه، فألقيت بثقلي كله على تيار التغريب، هنا منظمات عدة، ومن بينها من يتكفل بنقل الناس إلى حيث يباعون عبيدا، وساعد على ذلك كون الاستعمار مازال يجثم على صدر الأمة..!

فاتحت رئيس العصابة، فوافق أن يدخلني ضمن الأسرى مقابل أن أدلي له بمعلومات مهمة، ثم أخذ عينة من دمي، وتأكد أني من أدغال أفريقيا، ثم جرت الرياح بما تشتهي السفن.. وكانت تمر علينا أيام عصيبة ينعقد اللسان دون الإفصاح عن عذاباتها.

انطلقت الرحلة بالخليط المتكون من السادة والعبيد للعبور إلى القارة العجوز أولا، ثم إلى العالم الجديد لمن أراد.. القارة البكر كما كانت تسمى أصبحت نهبا، وأهلها الأحرار صاروا يباعون ويشترون كالأنعام.

وممما لفت نظري وجود الجنس الآخر بين تلك الجموع نساء مسلمات تتداولها أيدٍ غريبة عنها.

بعد وصولنا بسلام جعلوني سخرة ، ولكي لا أقطع لقمة عيشي وافقت على شروطهم الجائرة..!

علموني لغة الصليب وجعلوني أجيد العزف على وتر السياسة!..

وكانت الولايات المتحدة على وجه الخصوص ملهمتي الأولى بعد انتقالي إليها.

ومازلت أتدرج في سلم السياسة حتى تمكنت أخيرا من الإيقاع بتلك العصابات، فقد كانت إحداها ليس لها هم إلا امتصاص دماء الأبرياء من أهل تلك الأصقاع بدعوى الكشف عن أمراضهم. ولم أنم إلا وأنا قرير العين باندلاع ثورات التحرر المجيد.■

نموذج المرأة في الحضارتين الإسلامية والتغريبية في الرواية العربية

د. زينب بيره جكلي- سورية

إن الأمة العربية والإسلامية اتصلت بالغرب بوسائل شتى، استعمارية وفكرية واقتصادية، وتأثرت بما قدمه لها من معطيات ثقافية كانت جذور معظمها نابعة من الوثنية اليونانية الإغريقية، وكان من نتائج هذا الاتصال أن تخلى بعض الأدباء عن رسالته النبيلة في بناء الإنسان بناء سليما يربطه بأمته ودينه، وينمي فيه روح العزة والحفاظ على هويته الإسلامية وثوابتها، وعمّق روح الهيمنة الغربية عليه[1]، وعملت الحداثة والفكر التغريبي على هدم الدين والأخلاق، واتخذت من الأدب عامة ومن الروايات خاصة سبيلها إلى ذلك.

وفكّر الأديب والناقد الإسلامي في واقع هذا الأدب، فرأى أن من حق الملايين المسلمة أن تأخذ بمذهب أدبي يعبر عن نظرتها إلى الله والإنسان والحياة، وأن يخطّ لها أدباً يتخذ وسيلة لنشر دعوتها في الآفاق، وإلا فإن النفوس الظامئة إلى الكلمة ستبحث عن بديل، وقد يفسد هذا البديل فطرتها ويقوّض أخلاقها[2].

وهذا البحث[3] واحد من روافد النقد الأدبي المعاصر للرواية التي تحكي واقع المرأة سواء ما اتجه منها اتجاها إسلاميا، أم انحاز إلى التيار التغريبي، وسأوضح فيه أولا موقف المرأة في الحضارة الإسلامية، ثم أعرج إلى الرواية التغريبية، وسأحكي واقعيهما الاجتماعي والسياسي:

أولا: المرأة في الحضارة الإسلامية كما صورتها الرواية الإسلامية:

الرواية سلاح ذو حدين، فقد ترتقي بقارئها نحو الأفضل، وتدافع عن شخصيته ووجوده، وقد تنحدر به فتهدد أمنه وأمته عقائديا واجتماعيا وسياسيا.

وتعد الرواية إسلامية إن عبرت عن الكون والإنسان والحياة من وجهة نظر إسلامية؛ مهما كان موضوعها، إذ ليست العبرة بالموضوع ولكن بطريقة تداوله. وموضوع المرأة في الرواية الإسلامية يكشف عن واقعها في إيجابياته وسلبياته. وقد قدم د.نجيب الكيلاني في رواياته صفحات مشرقة وإن تخللها بعض الغبش أحيانا.

وقد بدت مواقف الروايات الإسلامية من المرأة في حياتها الاجتماعية في التعبير عنها زوجة وعضوا نافعاً في الحياة، أما في حياتها السياسية فقد أوضحت مدى صلاحيتها لإدارة شؤون البلاد وللعمل الجهادي، وبينت ما تتعرض له من أخطار في هذين

المجالين. وسأوضح هذا من خلال ما سطره كتاب الرواية الإسلامية المعاصرة:

◁◁ المرأة في الحياة الاجتماعية:

ورد على ألسنة الشخصيات ومن خلال مواقفها مهمة المرأة ودورها في الحياة من خلال الحديث عنها زوجة أو عضوا في المجتمع:

أ- في الحياة الزوجية:

وبدت هذه المهمات والأدوار من خلال اختيارها زوجة ملتزمة بالإسلام لتكون شريكة العمر ومربية الأولاد، أو بعيدة عن منهج الله فتلقى العذاب الأليم، كما تعرضت للزواج من الأجنبيات.

ففي رواية «حوض الموت» لسليمان القوابعة نراه يقول: إن العلاقة التي تنشأ بين الزوجين تكون أدوم وأبقى، أما خيالات المراهقة فلا تصمد أمام قسوة الحياة[٤].

وفي رواية «العائدة» لسلام أحمد إدريسو نرى الحاج سعداوي يختار زوجتيه الأولى والثانية لجمالهما، وكانت الأولى قد طلقت زوجها أبا حسام لفقره، والثانية مرّضته في مستشفى، وقد انتحرت الأولى إثر اقترانه بالثانية، وجعلته هذه ينغمس في الترف ويتاجر بالمخدرات ليوفي متطلباتها، ثم لم تحتمل أن يسجن بهذه التهمة فشاجرته، فضربها ضربا أدى إلى شللها وطلقها، واعتقلته الشرطة، ولم تبال به نائبا ذا مركز مرموق.

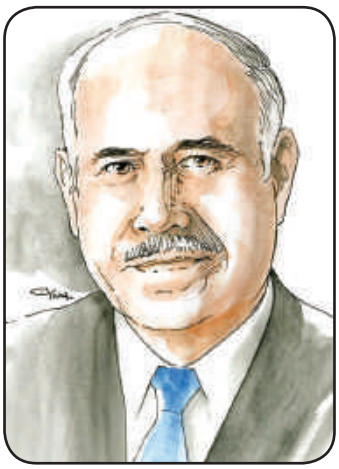

سليمان القوابعة

وعندما ينجب الزوجان يهتمان بتربية أولادهما على الإسلام وحب أهله، ففي رواية لن أموت سدى لجهاد الرجبي تنصح الأم ابنها جاهدة لتصده عن السفر إلى أمريكا، ولما أصر على ذلك ثارت ثائرتها ولم تودعه بل عدته في عداد الأموات، وكان لهذه الكلمة أثرها في نفسه، ولذلك ما إن حطت طائرته على أرض المطار حتى عزم على العودة.

ب- المرأة في المجتمع:

حكى لنا الكتاب آراءهم في عمل المرأة ونشاطها الدعوي من خلال الحديث عن تصرفات الشخصيات وأقوالها:

١- عمل المرأة:

ففي رواية رأس الشيطان يذكر الكيلاني أن صفاء كانت تعمل (سكرتيرة) في مكتب تحرير الجريدة، وقد استغل مدير التحرير منصبه، وصار يأخذها معه إلى سهراته في المقاهي الليلية التي يؤمها علية القوم والإنجليز، ثم عرض عليها الزواج فرفضت، وكان من حولها يتهمها بالخطيئة، وقد كشفت رسالتها إلى ضياء الدين أن أصابع السوء تشير إليها، وهمسات الإثم تطاردها، ثم سكر مرة وراودها فهربت بعد أن طرحته أرضا واستدعت الطبيب، وهذا ما جعل أمها تندم على وظيفتها وتقول: «إن وظيفتها كانت كارثة علينا وعليها، ليتها بقيت مثل بنات الناس في بيتها

حتى خطبها ابن الحلال، نحن نتعذب بين ذل الحاجة وعزة النفس»[٥]. ولما تركت هذا العمل وعملت في شركة أخرى نظر إليها مدير الشركة، ثم سألها: لم لا تتزوجين؟ ثم لامست يده يدها فقالت له في احتقار: «ليس كل الطير يؤكل لحمه»، وخرجت وهي تحتقر الذئب النهم[٦].

والملاحظ من تعريض الكيلاني بعمل المرأة إغفاله للفارق الكبير بين عمل في مكان لا حرج فيه كالتدريس، وآخر في شركة والفتاة لم تلتزم الحجاب الإسلامي، ولو التزمت لنأى بها حجابها عن هذه المعاناة النفسية التي تعرضت لها.

٢-دعوة المرأة في المجتمع والتنديد بانحرافها:

ففي رواية «لن أموت سدى» نرى د.هيلين التي اعتنقت الإسلام عن قناعة تصرح أمام وائل بإعجابها بالحضارة الإسلامية التي رفعت مكانة المرأة، وتبين له ما قدمه الإسلام للمرأة، وأن المساواة التي يُنادي بها هي لصالح الرجل لا المرأة إذ فيها انتقاص لقدرها، وأوضحت له أن المرأة الغربية لم تعُد تُعَدّ في المواطنين.

وفي رواية «العائدة» كانت البطلة ربا قد عبّت الإثم واستلذته، فلما خسر أبوها منصبه، وأمها حركتها، وقتل رئيس العصابة المستر روبرتو على يد جلال عقوبة له لاغتصاب أروى، وانتحر جلال، جعلتها هذه الهزات النفسية تفكر، وكان لنصائح فاطمة وحسام ومعاملتهما الطيبة أثر في كراهيتها للحضارة المزيفة، وفي توبتها وعودتها إلى الله سبحانه[٧].

وهكذا أبانت الرواية الإسلامية واقع المرأة في الحضارة الإسلامية

قديمها وحديثها، في إيجابياتها وسلبياتها.. وفي بعضها استرسال في عرض الغواية، والغاية لا تبرر الوسيلة، لأن القراء قد يتأثرون، وظاهرة العدوى أو الإشعاع معروفة في علم النفس.

٢-المرأة في الحياة السياسية:

لم يحرّم الإسلام على المرأة مشاركتها في المجالات السياسية، إلا أنه أحاط عملها هذا بقيود شديدة[٨]، ولعل أهمها الحفاظ على دينها وثوابته، وقد تطرقت الرواية الإسلامية إلى قضية مشاركة المرأة سياسيا ولكن على استحياء، وظهرت في:

أ-اشتراك المرأة في الحكم:

ففي رأس الشيطان نرى صفاء تتوقف تحت الضغوط المادية عن نشر مقالاتها ضد المستعمر الإنجليزي وأعوانه بعد أن هددها رئيس تحرير المجلة، ولكنها تنساق وراءه في روحاته الليلية، ثم يسند إليها مهمة قتل جندي إنجليزي فتتزين بأبهى زينتها لتنفذ الخطة، وتروح ترمق الجندي بنظرة ناعسة فيها نداء، وتتحدث وتضحك، وبذلك تنحرف الرواية عن الخط الإسلامي، ولكنها لما طلبت منه مالا، ومد يده إلى جيبه أهوت على رأسه بعصا غليظة أردته طريحا.

إن الرواية الإسلامية لا تصور المرأة كالمومس في سلوكياتها، بل تبرز الفكرة الطيبة بوسيلة مشروعة لتكون قدوة تضيء جانبا من الحياة في العقول والقلوب، بلا عوج ولا التواء لأن للقصة أثرها وخطرها.

ب-المشاركة في الجهاد:

وبرز هذا أيضا في شجرة الدر، وفي وا إسلاماه، فالأولى عرضت مشاركة شجرة الدر في الحروب

الصليبية، وأوضحت الثانية مشاركة «جلنار» زوجة قطز في معركة «عين جالوت» إلى جوار زوجها، وقد صدت عنه ضربة قاضية فاستشهدت في المعركة، ولما قال لها زوجها وهي تلفظ أنفاسها «وا حبيبتاه»؛ قالت: بل قل: «وا إسلاماه»[٩].

وفي أرض البطولات للدكتور عبد الرحمن الباشا نرى جهاد أم عبادة الدمشقية ضد الفرنسيين، إذ اتخذت من نسج العباءات وبيعها وسيلة اتصال بالمجاهد الحاج لتنقل منه وإليه الأخبار والأوامر، وقد عرض علينا الكاتب أهمية عملها في معركة الشاغور، ففي الأولى خيّطت أكياسا وملأتها بالقطن وأشعلتها ورمتها على الدبابات الفرنسية التي كانت تحصد المنطقة حصدا، وكان عملها مع جاراتها قد قلب موازين القوى وتحررت المنطقة من العدو[١٠].

هذه هي المواقف المشرفة لجهاد المرأة المسلمة، المحافظة على حجابها وعفتها في مجتمع كان يحافظ على سمات الحضارة الإسلامية. فما مواقف المرأة في الروايات التغريبية؟

ثانيا: المرأة في الرواية التغريبية في حضارة متغربة:

الرواية التغريبية هي نمط من التعبير يلجأ إليه كل أديب اتجه في تأليفه وجهة غربية دعا من خلالها للتنكّر للقيم والمُثُل التي تعارفت عليها الأديان، وإلى التغيير بنشر مُثُل وأخلاق تتنكر للماضي وقيمه[١١].

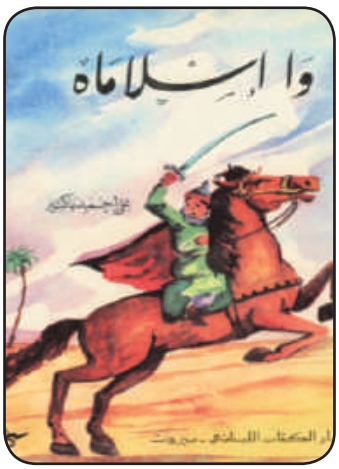

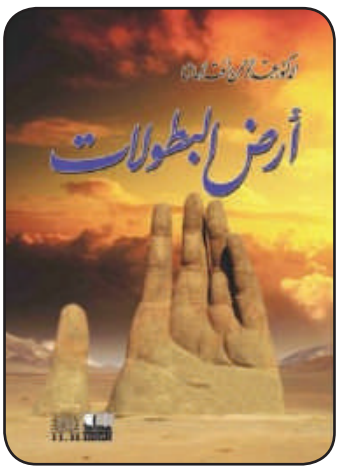

وقد انثالت الروايات التغريبية على الأسواق، وتأثرت الأجيال بقصص إحسان عبد القدوس وعبد الحليم عبد الله، ويوسف السباعي، ومن كان على شاكلتهم ممن زينوا المنكر، فحطموا البيوت، وخانوا الأزواج، ونددوا بالشرع سرا وجهرا، فكانت هذه الروايات بوقا لصالح العدو، وقد بدت آثارها الخطرة في مجالين اثنين: اجتماعي وسياسي:

١- في المجال الاجتماعي:

ظهر التنديد بالقيم الإسلامية وثوابتها، وهان أمر الرذيلة واستسهلت، وبدا القلق والضياع والمعاناة النفسية، واستغلت المرأة للجرائم وظهرت الروايات وكأنها تحكي عالما غير عالمنا، ومجتمعا غير مجتمعنا، وقد بان هذا من خلال الحديث عن:

أ- الحياة الزوجية:

١- القلق النفسي وتدمير البيوت:

ففي رواية عائد إلى القدس لعيسى بُلّاطة تنتسب الزوجة وداد هنداوي إلى زوجها أكرم هنداوي كما تنتسب المرأة الأجنبية، وهما يعيشان في لندن حياة متغربة: سهرات عائلية فيها رقص وخمر واختلاط، ولكن المرأة على الرغم من مظاهر الترف التي تعيشها تبدو قلقة ضائعة بعد أن أهملها زوجها وشغل عنها بـ(سكرتيرة) أمريكية، وقد شكت إلى فؤاد سرحان وكانت تحبه قبل أن تتزوج، وألمحت إليه برغبتها في العيش في مهجره واشنطن

فقال لها: «أيتها الحبيبة المعذبة! لقد آن لك أن تستريحي من آلامك، تعالي إلي لأمنحك حبي وذاتي، ولأهبك حياتي بأسرها»، فلما طلقها زوجها انتقلت إلى واشنطن، وهناك خطبها فؤاد، وفي ليلة زفافها جاءتها رصاصة مجهولة المرمى أودت بحياتها، فهجر فؤاد أمريكا وعاد إلى القدس، لا ليشارك في الجهاد ولكن لينسى الحبيبة!!..

ويصور لنا الكاتب علي أبو الريش في روايته «ثنائية الروح والحجر التمثال» بطله أبا ناصر يرى على شط البحر امرأة بدوية فيتوق إليها، ويروح يراوغها ويناورها وقد تصابت نزعاته، ثم يشتِم زوجته ويلعنها لأنها لم تك في جمال الأخرى، ويعيش بعدُ في شقاء وهو يذكر البدوية المقنعة[١٢].

٢-الخيانة الزوجية:

إن المرأة غدت في القصص المتغربة غرضا لإشباع الشهوات دونما مبالاة بدين أو بزوج أو أهل، فـ «شاهندة» في الرواية المسماة باسمها لراشد عبد الله رفضت أن تنصاع لرغبة سيدها بتزويجها، وقالت له: «أنا حرة أمري ومصيري، وسأسير في طريقي، وأنا أعرف كيف أحمي نفسي»، وكان طريقها الذي اختارته هو إشباع متعة الجسد مع محمود سالم في الأماكن المهجورة، ولما ضاق سيدها من تصرفاتها، وانتقاد أهالي القرية لسلوكياتها باعها بعد أن رفض محمود أن يتخذها زوجة، وقال لها: «أنت لا تصلحين زوجة، أنت لا تصلحين إلا لهذا المكان».

لقد امتلأت الرواية بالمنكرات،

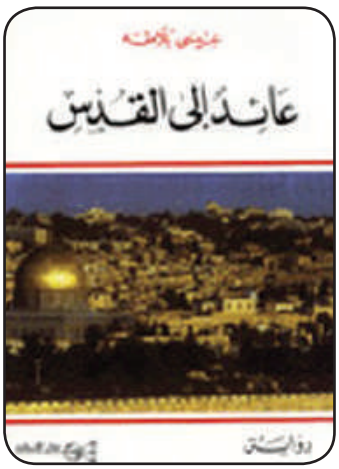

ولم يكتف مؤلفها بذلك، بل جعل شاهندة تتسنم في آخر مطافها ذروة المُلك، وبذلك شجع على الفحش والفساد بطريق غير مباشرة، فضلا عن إيحاءاته المدافعة عن بغيها، المسهلة للخيانة الزوجية، المستهينة بالقيم والشرائع السماوية، بدلا من أن يجعل القصة وسيلة يرشد بها الطريق، ويشيد بالقيم الزوجية وبالعفة والطهارة.

ب-تحرير المرأة ونتائجه:

الدعوة إلى تحرير المرأة بدأت مع نزع هدى الشعراوي حجابها، وثورتها عليه باسم التقاليد البالية، وقد تابعت الروايات التغريبية خطواتها فنددت بالقيم الإسلامية كالحجاب وتعدد الزوجات والزواج من الكبار وتسلط الرجل.

وقد ورد في الروايات المتغربة ترداد لهذه المعاني، ففي «عائد إلى القدس» يصور الكاتب شابا خليجيا -واختياره هذا فيه ما فيه أيضا- يولم للمسؤولين الأمريكيين وليمة من أجل شراء الأسلحة -بزعمه- ويدعو إليها ممثلات هوليود، ويتعاون مع الصهاينة، وترقص زوجته الخليجية معه... ثم تركب الحصان وعلى رأسها قبعة، ويقودها سائسها.. وقد بدت مظاهر التحرر بزعمه في احتساء المخدرات عند الرجال والنساء، كما جعل المرأة الخليجية تقول لزوجها: «لماذا يحق لي أن أرافقك هنا في نزهة على الخيل ولا يسمح لي في بلادنا!؟ فيجيبها بأن التقاليد لا تسمح بذلك، ثم يطمئنها ويقول لها: إن البلاد تسير في طريق التغير[١٣]».

والـــزواج مـن الـكبـار يلقى هـجـومـا مـن دعـاة الـتـغـريـب في روايـاتـهـم، ولاسـيـمـا إن اقـتـرن بالتسلط، والكتاب الحداثيون يصورون نتائجه تصويرا ينفر منه الآخرين، ففي رواية «مزون» لمحمد عبيد غباش نرى سلمى تتزوج من مطر ابن خالتها العربيد ليقترن أبـوهـا بـأخـتـه مــزون. ويـعـرض الـكـاتـب خـلال الـروايـة مـا ينم على مـعـانـاة الـزوجـتـين، ويـنـدد بالنظام الاجتماعي القائم ويعده استعبادا وأمـرا كريها، ثم يقول على لسان شخصية محبة لمزون: «أي حضارة هـذه تزعم لنفسها الحـق في الـوجـود وهــي تحـرم البشر أبسط حقوقهم[١٤]»، وقد أعمى الجهل قلب الكاتب فاتخذ مـن القصة وسيلة للطعن لأن القصة تتغلغل في القلوب والعقول، وتستقر في ثنايا التفكير كما ذكر عبد الرزاق ديار بكرلي[١٥].

ج- تهوين أمر الرذيلة والإشادة بها رمزا أو حقيقة:

ثار الكتاب المتغربون على المجتمع الإسـلامـي المـحـافـظ، عـلـى قيمه وعفته، واتـخـذوا من المـرأة وسيلة لإرضاء شهوات النفس، وقد يُرمز بها إلى فكرة الاحتجاج على القيم والدعوة إلى القضاء عليها، ولهذا بتنا نرى في الروايات مجوناً لاحدّ له، وإعـلاء لشأن الرذيلة، بل تقديسها أحياناً!!.. فضلا عن التنديد بالعفة والطهارة، وكأن الموازين قد قلبت فصـار المـعـروف مـنـكـرا، والمـنـكـر

عودة الله القيسي

عبدالرزاق ديار بكرلي

معروفا كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن حال آخر الزمان.

هاهو كريم معتوق في «حدَث في إسـتـانـبـول» نـراه يتحلل من الخـلـق، ويـرتـكـب المـوبـقـات في حمامات تركيا وفنادقها، وراشد عبـد الله في «شـاهـنـدة» يسمي البغية مـعـبـودة!!.. ويشيد بما كـان بينها وبين خليلها، ويسمي الساعات التي قضياها معا رائعة جميلة، ويستنكر أن يطلق عليها اسم بغية، ويجعل الحب تكريما لأي فتاة[١٦].

ويـبـالـغ عـلـي أبـو الـريـش في قصته تل الصنم في تهوين شأن الـرذيـلـة والإشــادة بـهـا والحـث عليها، فيجعل الأم «ترتدي العباءة وتختبئ تحتها كالخنفساء» ثم يـقـول: «ألم يكن لـهـذا السلوك من مغزى؟ أجل، لابد أنها كانت تحمل أدرانا تريد أن تخبئها عن الآخرين[١٧]»، وهذه العبارة بتنا نسمعها من الحداثيين والمتغربين اتـهـامـا مـنـهـم لـذوات الحـجـاب لرميهن بالنقص أو بالفُجْر!!..

وفي روايته عصر الحب جعل «عــزت» يـنـحـرف مـع «سـيـدة» ويجبر على الاقتران بها، ثم يفتح مسرحا ليليا، وكـان يحب فتاة تدعى «بدرية» فرت مع زميله في الحارة، ثم صارت بطلة مسرحه، ثم صاحبة ملهى، ويعلق د.عودة الله القيسي على هذه السلوكيات فيقول: «إن هذه الأعمال الأخيرة لنجيب محفوظ تمثل رثاء للحياة،

ورثاء لهؤلاء الناس الذين تمضي الأيام تتلعب بهم[١٨]».

إنه لا يمكن أن نقبل تصوير المجتمعات الإسلامية والعربية، وفيها من الخير ما فيها، على هذه الشاكلة باسم الواقع ومفاسده، فعرض الواقع المتردي لا يكون بتهوين الرذيلة، والاسترسال في وصف مواقف اللهو والبغاء، وإنما يكون بالحفاظ على الكرامة والتنديد بأسلوب فني غير مشين.

د- شقاء المرأة في القصة التغريبية:

إن المرأة التي تعيش على القلق والشك وتجري وراء المتع والملذات لابد أن تحس بالشقاء نتيجة تناوش الأيدي لها والألسن، ثم رميها كما ترمى المخلفات، وقد صورت لنا بثينة خضر مكي في روايتها أغنية النار معاناة امرأة تعرفت على عادل الشاب السوداني الذي زار شركتها في أديس أبابا، وراح يتأمل مفاتنها التي تكشفت عنها ثيابها، ثم خرجا إلى النزهة معا، وعادت معه إلى الفندق وشربا الخمرة، ثم ارتدت ثياب النوم.. ثم لازمته وأغرقته باتصالاتها.[١٩].

هـ- استغلال المرأة للجريمة:

وهذا يمثل قمة امتهان المرأة أيضا، فهي لم تعد متاعا وملذة فحسب! بل غدت أيضا وسيلة لجلب المال، ففي اللص والكلاب لنجيب محفوظ نرى البطل المجرم سعيد مهران يستخدم زوجته شَرَكا، إذ يتعرف من خلال زياراتها للبيوت على أماكن أمتعتهم ليسرقها، كما اتخذ نورا خليلته مصيدة للأغنياء بعد إغوائهم دون أن يردعه عن ذلك دين أو عرف أو قانون حتى غدا ارتكاب الجرائم والموبقات مقرونا بهدر الدماء.

٢- المرأة في المجال السياسي:

يبدو واقع المرأة السياسي في الرواية التغريبية من خلال الحديث عن:

أ- معاناة المرأة واستغلالها لأغراض سياسية:

تحت ستار السياسة وحب الوطن يراود المعارض السوداني محمود كمال الدين في رواية أغنية النار رجاء زوجة الطبيب الضابط في لندن، ويطلب منها أن تطلق زوجها، وكانت رجاء قد تعرفت عليه في السودان قبل زواجها، ثم التقت به في لندن فأعطته رقم هاتفها لتتسلى معه في غياب زوجها، ثم صارت تخرج معه!!.. وكان يوهمها أن لقاءه معها ينفّس عنه كربه في ظروفه السياسية الحرجة، وأنها بزعمه تخدم وطنها حينما تسلي بطل المعارضة، ولذلك راح يقول لها: «ما أسعدني بوطنيتك هذه!.. أنا لا أطالبك بالكثير، اعتبريها حسنة لله، وتحملي مهاجرا محبطا يقتله الحنين إلى بلاده التي لا يريد فراقها، امنحيني نصف ساعة من الزمان، فقالت له: سأحتملك ساعة كاملة، هذه ضريبة وطنية لابد منها...[٢٠]».

فهل هذه وطنية أم فجر وفساد؟!!..

وأخيراً..

وبعد هذه المسيرة مع الروايات الإسلامية والتغريبية أرى أن الرواية الإسلامية صورت واقع المرأة المسلمة في حياتها الزوجية والدعوية، ونددت

بالمتغربة وانحرافها، وعرضت شقاءها في سلوكياتها ومخاطر عملها غير المشروع.

وقد استغل دعاة التغريب الرواية لنشر أفكارهم، وعرضوها بأسلوب نكير، وكأنهم لم يجدوا إلا العلاقات المشبوهة وتصويرها تصويرا مهينا موضوعا لرواياتهم الاجتماعية، وشجعهم على ذلك مغرضون حتى أنالوا نجيب محفوظ جائزة على رواياته المليئة بالفحشاء والمنكر، ووصف المجتمع المصري وصفا مشينا، وهذا سلمان رشدي مؤلف رواية آيات شيطانية ينال أيضا جائزة وزارة الثقافة النمساوية للأديب الأوربي على الرغم مما فيها من تشويه للإسلام ورجالاته العظام ونسائه الفضليات■

الهوامش

(١) الحداثة في الشعر العربي المعاصر، حقيقتها وقضاياها، رؤية فكرية ونقدية: د.وليد قصاب، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، دبي. ص٧٧.

(٢) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: د.عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة ط٤ ١٩٩٨م. ص ١٠٣ -١٠٩.

(٣) بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الثاني للأدبيات الإسلاميات وعنوانه: (أنموذج المرأة في الحضارتين الإسلامية والتغريبية في الرواية العربية).

(٤)مجلة الأدب الإسلامي م٥، ع١٧ بعنوان: دراسة نقدية لرواية حوض الموت لسليمان القوابعة، ص ٦٨. بقلم حيدر قفة.

(٥) رأس الشيطان: رواية د.نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢ س١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.ص ٢٠٦.

(٦) السابق نفسه، ص ٢٥١.

(٧) العائدة: رواية، سلام أحمد إدريسو، رابطة الأدب الإسلامي، دار البشير، عمان، الأردن، ط ١٩٩٥م، ص ١٠٢ -١٦٢.

(٨) ينظر بحث: حكم اشتراك المرأة في الأعمال السياسية والمجالات العسكرية، للكاتبة، في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، ع٣، س١٤١١هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٣١.

(٩) وا إسلاماه: رواية أحمد علي باكثير، ط وزارة التربية والتعليم في الإمارات، دار مصر للطباعة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م. ص٢٤٠.

(١٠) أرض البطولات، رواية،« د.عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأديب الإسلامي: ليماسول –قبرص، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط٣ س ١٩٩٤. ص ١١٩ -١٢٠.

(١١) حركة الحداثة (١٩٨٠-١٩٣٠) مالكولم برادبري وجيمس مكفارلين، ترجمة عيسى سمعان، منشورات وزارة الثقافة في سوريا، دمشق ط٢، س١٩٩٨م. ص ١/ ١٣.

(١٢) ثنائية مجبل بن شهوان (الحب – الغضب)، رواية، علي أبو الريش، مطابع مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط ١٩٩٧م. ص ٣٨ – ٤٧.

(١٣) عائد إلى القدس، رواية، عيسى بُلّاطة، دار الاتحاد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٩٩٨م. ص٦٩ – ٨٠.

(١٤) مزون: رواية، محمد عبيد غباش ط الإمارات العربية المتحدة (د. ت)، ص ٤٢.

(١٥) مجلة الأدب الإسلامي م٨ ع ٣٠ س١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م: القصة الإسلامية: عدد خاص بعنوان: القصة والتربية والأبواب الخلفية، عبد الرزاق ديار بكرلي ص ١١٢.

(١٦) شاهندة: رواية راشد عبد الله، الإمارات العربية المتحدة. ص ٦١، ٧٧، ٨٤.

(١٧) تل الصنم، رواية، علي أبو الريش، مطابع مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط ١٩٩٥م. ص ١٠٩.

(١٨) مقالات في النقد الأدبي التطبيقي: د.عودة الله منيع القيسي، دار البشير، عمان، الأردن، ط١٩٨٥م. ص ١٦٤.

(١٩) مر في هذا البحث حديث عن شقاء المرأة رجاء في غربتها من خلال قصة صهيل النهر، ينظر في هذا البحث ص ١٣. كما مر شقاء وداد هنداوي في قصة عائد إلى القدس، ينظر البحث ص ١٠

(٢٠) أغنية النار، رواية، بثينة خضر مكي، دار سدرة للطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، والشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط ١٩٩٨م. ص ٤٦ -٤٨.

إن من البيان لسحراً (*)

أبو المظفر الأبيوردي

قال بريدة بن الخصيب الأسلمي رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ [1] «إن من السحر بياناً، وإن من الشعر لحكماً، وإن من العلم جهلاً، وإن من القول عَيالاً». وقد فسره بعض أهل العلم و أخطأ المحز، ولم يصب المفصل، فقال: هو عرضك الكلام على ما ليس من شأنه. وإنما قيل: منطق عيال لما صدف به عن جهته، فلا يكون له ضحى ولا نجم.

وقد روي هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى، وهو قوله ﷺ لعمرو بن الأهتم: أخبرني عن الزبرقان. فقال: إنه مطاع في أدْنيه، شديد العارضة[2]، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: يا رسول الله، حسدني ولم يقل الحق، وإنه ليعلم مني أكثر من ذلك. فقال عمرو: والله يا رسول الله إنه لَزَمِر المروّة[3] ضيق العطن[4]، حديث الغنى، أحمق الوالد، لئيم الخال. وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى؛ رضيت فقلت بأحسن ما علمت، وسخطت فقلت بأسوأ ما علمت. فقال ﷺ: «إن من البيان لسحراً».

فذكر علماؤنا أن السحر تمويه، ومن البيان ما يموه الباطل فيبرزه في معرض الحق. وأرفع درجات البلاغة أن يجلى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل. وسمى رسول الله ﷺ بعض البيان سحرا تعجبا منه، كما يتعجب من السحر.

ومن زعم أنه ﷺ ذم البيان فقد سقط بينَ بين[5]، واقتفى الأثر وترك العين. وكيف يذم البيان وقد وصف به القرآن. ولم يزل البلغاء في علياء، والبيان يوطئهم الرتبة الشماء. وقال أبو بحر[6]:

أنا ابن الباهلية أرضعتني
بثدي لا أجدُّ ولا وخيمِ[7]
أتمتني فلم تنقص عظامي
ولا صوتي إذا اصطكت خصومي
أغض على القذى أجفان عيني
إذا طاش السفيه إلى الحليمِ

وكان يونس يقول: لله أبوه[8]! يقول أتمتني فلم تنقص عظامي. وهو أحنف الرجلين[9]، مصطك الفخذين[10] ناتئ الجبهة، غائر العينين، مشرف الحاجبين، أصلع الرأس، متراكب الأسنان. إنما أراد -والله- كلامه، وحسن ألفاظه، وما يتبعق منه من الكلام المصيب■

الهوامش

(*) من كتاب: زاد الرفاق، تأليف: أبي المظفر محمد بن أحمد ابن إسحاق الأبيوردي، (ت:٥٠٧هـ)، ج١، ص٣٣٩-٣٤١، تحقيق: د. عمر الأسعد، إصدار مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي.

(١) صحيح البخاري ٥:١٩٧٦ رقم ٤٨٥١، والنهاية ١:١٢٨، ٣١٥.

(٢) العارضة: البيان واللسن والبديهة.

(٣) زمر المروة: قليلها.

(٤) ضيق العطن: قليل الصبر والحيلة عند الشدائد.

(٥) أي بين الجيد والرديء، اسمان جعلا واحدا وبنيا على الفتح.

(٦) هو الأحنف بن قيس.

(٧) في اللسان(جدد): يقال جد ثدي أمه، ذلك إذا دعي عليه بالقطيعة. وطعام وخيم: غير موافق.

(٨) يقال لمن يحسن موقعه ويحمد: لله أبوه، في معرض المدح والتعجب، أي أبوك لله خالصا حيث أنجب بك وأتى بمثلك.

(٩) الحنف: الاعوجاج في الرجل.

(١٠) اصطك الفخذان: صك(ضرب) أحدهما الآخر.

(١١) تبعق في الكلام: اندفع.

أنت الإله

د. شهاب غانم - الإمارات

أنت الإلـهُ وأنـت النـورُ والهادي ... ونحن بعضُ عبيدٍ.. بعضُ عبّاد

يا من بكفيكَ كلُّ النورِ هبْ قبساً ... هب قَطرةً من ضياء للفم الصادي

آمـنـتُ رغـمَ ذنـوبٍ لا تـعـدّ ولا ... تحصى ومالي سوى الإيمانِ من زادِ

آمنتُ.. آمنتُ يا رب الوجود ويا ... رب الـزمـان.. بـآزالٍ.. وآبـادِ

فأنت أنشأت هذا الكون من عدم ... وأنـت ألهمتني شعري وإنشادي

في كل واد يهيم الشاعرون ولي ... بقرب «إلا» مدىً أحلى من الوادي

يـا رب أنـزلـت بـالـقـرآن معجزة ... لا تنتهي أبداً يشدو بها الشادي

وأنـت أهديتنا بالمصطفى مثلاً ... أعلى هو القدوة المختار والهادي

وأنت في صفحات الكون قلت لنا ... تـأمـلـوا فـهـنـا نـبـع لـلـورّاد

وأنـت نـور عـلـى نـور تـخـر له ... في سجدة الحب أغواري وآمادي

ياخالق الكون جد بالعفو.. قد جثمت ... على الصدور ذنوب مثل أطواد

وأنـت تغفرُ كلَّ الـذنـبِ أجمعه ... لمن تشاءُ سوى شركٍ وإلحـادِ

فاغفر، فذلك وعدٌ لستَ تخلفه ... وكـلُّـنـا أبـداً يمـضـي لميـعـادِ

في حديقة حي السلام

عمر فتال - المغرب

عرف بين أصدقائه بالشجاعة، فكثيرا ما نال إعجابهم، وهو يتسلق واحدة من الأشجار الباسقة، أو يصعد إلى قمة سور من الأسوار، أو يجتاز مكانا ضيقا يهاب زملاؤه اجتيازه. يكفي أن يقولوا له: هل بمقدورك يا سعيد أن تفعل هذا!؟ حتى تراه مندفعا غير مبال بما يمكن أن يكون وراء اندفاعه من أخطار.

ذات مساء نادوه مبتهجين، فأسرع نحوهم عارفا سلفا أن أمرا جديدا يستدعي تحديه وإظهار شجاعته. ومن جهتهم فقد كانوا على يقين بأنهم عثروا على المكان الذي سيظهر فيه عجزه الكامل.

في أثناء وصوله صاح أحدهم: هل بإمكانك أن تحضر لنا وردة صفراء، وأخرى حمراء، وثالثة بيضاء من حديقة حي السلام؟

رفع رأسه إلى الأعلى، قبل أن يرد ساخرا: هل تريدون ثلاث وريدات فقط؟

ثلاثا لا غير؛ وإذا خشيت أن يكتشف أمرك العم شعيب بستاني الحديقة، فيكفيك واحدة بشرط أن تكون بيضاء.

يكتشف أمري العم شعيب!؟

بهذه العبارة رد قبل أن ينطلق يسابق ظله صوب الحديقة، وضحكات أصدقائه ترن في أذنيه، فتزيده إصرارا على تحقيق المراد..

عند الباب الرئيس توقف لحظات يفكر في طريقة يتخلص بها من العم شعيب الذي يراقب حركات وسكنات الأطفال بالخصوص، وكلما شاهد أحدهم يقترب من الأزهار، أو يهم بالجلوس على العشب، أو يدنو من إحدى الأشجار، أطلق صافرته أو انطلق نحوه غاضبا.

وهو مستغرق في التفكير، مر بجانبه شيخان، في يد كل واحد منهما عكاز. تردد قليلا قبل أن يشرع في السير إلى القرب منهما، فبدا وكأنه قدم في صحبتهما. وكم كانت فرحته كبيرة حينما اختارا كرسيا خشبيا عريضا، أمامه تفتحت باقات متنوعة من الورود.

جلس إلى جانبهما هادئا، في حين كانت عيناه تتنقلان بين هاتيك الورود الجميلة: سأقطف هذه، وبعد ذلك هاته، ثم تلك، وهذه، وهاته، وتلك، ووو.. أتريدون ثلاثا فقط؟ سآتيكم بباقة كاملة، رغم مراقبة العم شعيب؛ هذا البستاني الذي تفزعون

أثناء سماع صوت صفارته، وترتعدون كلما علا نداؤه الصارخ.

أوشك أن ينزل من على الكرسي، بعد أن رأى الفرصة المناسبة لقطف الورود التي أدام النظر إليها، غير أن حوار الشيخين شد انتباهه:

- أنا آتي باستمرار إلى هذه الحديقة الجميلة منذ سبع سنوات.

- أما أنا فزرتها أول مرة قبل أربع سنوات، من يومها أعجبت كل الإعجاب بهدوئها، وجمال ورودها..

- أحسن الله إلى السيد شعيب، فهو يعتني بها في كل وقت وحين.

- جزاه الله عنا كل خير! لقد وفر لنا هذا المكان الرائع نقضي فيه بعض ساعات النهار، ونحن نشم رائحة الورود الزكية، ونمتع أعيننا بمنظرها الجميل.

لحظتها اقترب سعيد منهما أكثر فأكثر، وراح يستمع باهتمام إلى ما يقولان؛ فبدت تصل إلى أنفه أول مرة رائحة طيبة، وطفقت عيناه تطوفان بين الورود الجميلة، دون أن تحدثه نفسه بمجرد مسها.

حينما شرعت الشمس تجمع أشعتها عن كل الأشياء، وهي تسعى إلى المغيب، ودع الشيخين في أدب، وانطلق يسير بهدوء، حتى إذا اقترب من البستاني، قال بصوت وقور: أحسن الله إليك يا عم شعيب، وجزاك عنا كل خير!. ■

قصة جديدة

عمر الكريمي أبو سعد- المغرب

تُرى، أتسعفه ملكته الإبداعية هذه اللحظة؟ فتجعل نهر الحبر، يندلق دونما خَفر، على خد ورقة رقيقة، غير أنها تضج بياضا؟ أم تُراه، ينسج ظلال خيبته هذه المرة أيضا؟

أحس بهواء بارد يُداعب جفنيه، ثم ينحدر على صفحة وجهه، في لطف محبب. التفت جهة النافذة المُشرعة، يسار مكتبه، فلمح أكوام الظلام تتراقص أمام ناظريه. ارتد ببصره سريعا، نحو أحضان الغرفة الدافئة.. أخذ نفسا عميقا.. نفسا آخر.. ثم استرخى على مقعده الجلدي، مُغمضا عينيه.

في هذه الأثناء، وهو يسبح بخياله، نحو الضفاف البعيدة، متفلتا من إسار الزمان والمكان، ومتحررا من جسده الطيني.. هنالك، وفي خشوع وارف، تناهى إلى سمعه، صوت يقطر نداوة.. فتبللت أعماقه برذاذ من السكينة الحانية.. مثلما جرى في عروقه حُبور، أبهج كيانه.

في نشوة آسرة..اندفع كنيزك.. توضأ.. ثم صلى..

أيُعقل هذا؟ إنه لا يكاد يُصدق حاله الجديدة!

ما هذه الخفة التي تحمله على جناح رشيق، وتحلق به بين أزهار الياسمين والنرجس والأقحوان.. كما لو كان فراشة.. ذات ألوان زاهية..؟

وما هذه الحماسة الخضراء، التي بدأت تتأجج في دواخله، رويدا رويدا، حتى استوى جذوة.. يتطاير منها اللهب..؟

وما هي إلا لحظات، حتى التمع في أدغاله سرب من أفكار، تلاه سرب آخر.. وتوالت الأسراب.. وكل سرب سبيكة من ذهب.. تسطع بكل الأنوار..

لم تعد العبارة عصية إذن.. ولم تظل الكلمة في نُفور..

ها هي ذي الحروف.. تعدو صوب الورقة، كما تعدو الأحصنة الجامحة، في ميدان السباق.. إنها تلتئم الآن، مع بعضها، في يسر، فتنشئ كلمات.. وهذه تصير جملا..

لم تسعه سعادته.. وهو يخط بيمينه، آخر كلمة.. طفرت من وجدانه.. وهي تُعلن ميلاد قصة جديدة..! ■

من أدب الشعوب الإسلامية:

القضايا الإنسانية في شعر عيسى ألبي أبوبكر من خلال الحس الإسلامي

إعداد:
د. يعقوب عبد الله(*) - نيجيريا
د. لطيف أونيريتي إبراهيم(**) - نيجيريا

إن النظرة المتأنية في شعر عيسى ألبي أبوبكر تكشف أنه شاعر موهوب ومجيد، مالك زمام الشعر، ومتفنن في قرضه وأغراضه، يأتيه الشعر طوعًا وعفوًا، بعيداً عن التكلف والتعسف، وهو شاعر تتجلى الثقافة الإسلامية في فنه الشعري، وفي مكوّناته الفكرية. وإذا قيل قديمًا: إن الشاعر ابن بيئته وذائد عنها، فالشاعر عيسى ألبي ابن بيئته، يتجاوب مع الوقائع المستجدات فيها، ويتناول القضايا الإنسانية الواقعة في عصره، يتغنى بأمجاد البيئة وأحلامها، ويرثي بؤسها ونكباتها، ويكتوي بنار الحوادث الحساسة المضنية في بيئته وعصره، يعالج شعره القضايا الإنسانية العالمية منها والمحلية.

وفي الصفحات الآتية نقف مع الشاعر لنجلو أطرافا عدة من القضايا الإنسانية في شعره.

◁◁ ترجمة الشاعر:

ولد الدكتور عيسى ألبي أبوبكر في خمسينيات القرن الماضي بمدينة كماشي الواقعة في غانا، أخذ مبادئ الدراسات العربية والإسلامية على أيدي مشايخ إلورن. التحق بمركز التعليم العربي والإسلامي، أغيغي، نيجيريا، وتخرج فيها بالشهادتين الإعدادية والتوجيهية، وواصل دراسته بالحماسة والتفرغ في جامعات نيجيريا حتى حصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة إلورن.

عمل الشاعر مدرسًا بدار العلوم لجبهة العلماء والأئمة بمدينة إلورن بعد تخرجه من مركز التعليم العربي والإسلامي، واشتغل محاضرا في قسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فوديو بصكتو من عام ١٩٨٤م إلى ١٩٩٤م، ثم انتقل إلى جامعة إلورن في عام ١٩٩٤م حيث ظل يعمل محاضرا في قسم اللغة العربية. زار جامعة غانا، ليغن خلال عام ٢٠٠٣ و٢٠٠٤م.[١]

◁◁ الشاعر وقضية الإرهاب العالمية:

صارت قضية الإرهاب قضية عالمية حساسة انتابت الساحة العالمية منذ أواخر القرن الماضي، وهي عملية عدوانية أرهقت أرواح الغفير من مختلف الأجناس والأقطار والأديان. تناول الشاعر عيسى ألبي هذه القضية في قصيدته «الإرهابيون» إذ قبّح صنيعهم المتمثل في قذف الرعب في قلوب العباد الأبرياء، وإراقة الدماء في أنحاء البلاد، فتركوا الناس حيارى ومتشتتين، لا أمان لهم ولا استقرار في الأرض. ويتساءل الشاعر عما يريد الإرهابيون تحقيقه حيث يقول:

قذفوا الرعب في قلوب العباد
وأسالوا الدماء في كل واد
كيف تحقيق ما يرومون بالإ
رهاب أو هدم سور أمن البلاد؟
إن ما لا ينال بالسلم قد
يصعب إحرازه بغارات عاد[٢]

ويظهر الشاعر حسه الإسلامي معلنًا براءة الإسلام من العملية الإرهابية التي تسفك دماء الأبرياء بالقتل والتمثيل والتشريد والإجلاء، فيقول:

أي دين دعا إلى العنف والتمـ
ـثيل بالأبرياء لنيل المراد؟

إن الأسلوب السائد لدى الشاعر في هذه القصيدة هو الأسلوب الاستفهامي الإنكاري لما يقوم به الإرهابيون من قذف الرعب في قلوب الناس وسفك الدماء، وهدم سور الأمن والسلامة.

ويستمد الشاعر أفكاره من معين الإسلام، فنراه يقوي معانيه بألفاظ القرآن الكريم وعباراته، فقوله: «قذفوا الرعب في قلوب العباد» يذكرنا بالآية القائلة: «سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب...» (الأنفال:١٢)، وقوله: «وأسالوا الدماء» يقترب من قول الملائكة: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء...» (البقرة: ٣٠)

◁◁ الشاعر ومشكلات القارة الأفريقية

وفي قصيدة شكوى أفريقيا، يظهر الشاعر ما تعانيه قارة أفريقيا من أنواع البلايا والفواجع، وتشكوه من الأمراض والفقر والقهر، حيث صارت أراضيها مطمع المستعمرين الأشرار، فثرواتها منهوبة، وخيراتها مسلوبة، وعزها مدنس، فعاش أهلها في الخوف والخزي والحرب، يقتل بعضهم

عيسى ألبي أبوبكر

بعضا، وكأنّ أرض أفريقيا بهذه الدماء المنهمرة تحكي المجازر التي تشرب الدماء يوميًّا ولا تشبع، استمع إليه:

ما بال أفريقيا تمنى بأضرار
كأنّها مرجل يغلي على النار
السلب والنهب والتقتيل قد ملئت
بها لكي ترتضي أطماع أشرار
تقصّ عينك في أنحاء ساحتها
تر المصالح ترعى تحت أفكار

وانظر إلى كل شبر في مرابعها
تر المجازر تنهي عمر ديّار[٣]

ويقرر بأسلوب بلاغي رائع، حيث صير المصالح غنما يرعى تحت أفكار، بأن الأفريقيين لا يتنافسون في سبل الرقي بالبلاد وتنويرها، ولا يسعون لإعلاء شأنها وإنقاذها من الطمس والتدهور، بل حب الرئاسة هو غايتهم، متنافسين في طلبها بكل الوسائل، كما يدل قوله:

حب الرئاسة قد أعمى أبصارهم
وجرهم نحو باب المقت والعار

فهذه هي بعض شكاوى أفريقيا على لسان الشاعر، وتلك ما تعانيه من البلايا والفجائع والتدهور والتشتت، فهل من آذان صاغية ونفوس ناهضة وقلوب ذائبة لموقفها ونصرتها؟ يقول:

بث الشكاوى لأذن غير صاغية
يضيف حتما إلى آلام أضرار

ويتوج الشاعر هذه الشكوى بحسه الإسلامي في بث الشكوى والرجوع إلى الله بالدعاء لإيجاد الحل والأمن والصلاح في قارة أفريقيا، حيث يقول:

يا رب أفريقيا تشكو لتنقذها
من البلايا التي تودي بأعمار

الشاعر والقضية الفلسطينية

إن قضية فلسطين من قضايا الإنسانية العالمية تصدى لها كثير من المفكرين والأدباء على مختلف الأقطار وتباين الأجناس، وهي قضية الظلم والاضطهاد والاستبداد، فجاءت قصيدة الشاعر «فلسطين تناديكم» تضامنا مع الشعب الفلسطيني المضطهد، الذي كان معجبًا بصموده، ودفاعه عن الحرمات والمقدسات الإسلامية، يقول الشاعر:

فلسطين ما أصل هذا الخطر
يهزّ البلاد ويردي البشر؟
أشعب يمزّق في أرضه
ويحيا شريدا أمام النظر؟
يذاق من الضر ألوانه
ويلقى من الذل كل الصور
فلسطين ما سر هذا الصمو
د رغم العذاب ورغم الضرر؟
فلسطين ما سر هذا الثبا
ت حتى نفضت غبار الحذر؟
هو الحق يعلو ويقوى على
جحافل شرّ بكل العصر[٤]

ويبلغ الشاعر نداءً مؤثرًا من فلسطين إلى المسلمين في كل مكان، لاستثارة العواطف وحفز المشاعر وإلهاب الانفعالات لنجدته وتحريره من براثن إسرائيل العاتية الطاغية، إذ يقول:

فلسطين دوما تناديكم
فلبّوا بما يفعل المقتدر
وإني أرى شعبها بالأسى
يشارف يا قوم حرف الحفر
لماذا تجبر أعداؤنا
لديهم مشيئتنا تحتقر

أكـــرتـــنـــا كـغـثـاء الـسـيـو
ل مـــثـل كـــلام الـنـبـي الأبـــر؟
أنـزعـم أنـا ضـعـاف الـورى
وأنـا سـنسحق مـثل الحشـر؟[٥]

ونرى الشاعر مساندًا الشعب الفلسطيني في المعركة ضد اليهود لتحرير القدس والمسجد الأقصى قائلا:

إلى القدس سيروا هي الملتقى
ومـسـجـدهـا رغـم سـقـم وضـرّ
لتطهـيـرها مـن فساد اليهو
د أهـل الخنـا والجنـاة الفجر
لـقـد بـارك الله فـي أرضـهـا
فـكان إلـيـهـا الـسـرى والسـفـر
وقـد سـلـمـوهـا (لـفـاروقـنـا)
فـلـملـم مـا انـفـك فـيـهـا عـمـر
فـمـا هـــي تـصـلـح إلا لـنـا
لـــهـــا نـــسـتـمـيـت ولا نـعـتـذر
ومـهـمـا تـعـنـت فـيـهـا الـدخـيـل
فـــإن الـتـعـنـت لا يـسـتـمـر[٦]

لقد لجأ الشاعر في هذه المرة، بعاطفة صادقة حارة، إلى الثورة، والدعوة إلى الخوض في المعركة، وإعمال القوة وشحذ الأسلحة ضد العدو الإسرائيلي والصهيوني، خلافًا، لما اشتهر من دأبه وديدنه في كثير من الأمور من الأخذ بالسلم والصلح واجتناب الفوضى والضجر، وذلك لعلمه وخبرته في الوقائع والحقائق بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وأن الحديد لا يفل إلا بالحديد.

وتكتسي القصيدة بأنواع من الصور البيانية التي أضفت على الأفكار والمعاني جمالًا ورونقًا، وهي مما تثبت ملكة الشاعر وذوقه في تطويع المعاني في الصور الخيالية والبيانية، من ذلك تشبيهه هدر الدماء الذي تزاوله أيدي الإسرائيليين بجريان النهر، إذ قال:

نشـهـد بـالحـزن هـدر الـدمـاء
بـكـل الـشـــوارع مـثـل الـنـهـر

ولا شك أن هذا التشبيه يهتز ويشمئز له كل من كان يكنّ للإنسانية قيمة.

وفي بيت آخر يؤكد الشاعر هذا التشبيه بصورة رائعة، وهي أن هذا النهر من الدماء سيعمل عمل الماء في التراب فتنبت به نباتًا طيّبًا، هم الشجعان حماة البلد والمدافعون عنه:

دمـاؤكـم سـوف تـروي الـترا
ب فـيـنـبـت مـنـه حـمـاة الـوكـر

◁◁ الشاعر والمد البحري في إندونيسيا:

أصابت إندونيسيا داهية كبرى، هي المد البحري العاتي، وذلك في ديسمبر عام ٢٠٠٤م، نكبة أودت بنفوس مئات الآلاف من السكان وبيوتهم، فجاءت قصيدة الشاعر استجابة لهذه الواقعة الفظيعة وإظهارا للمشاعر الإنسانية، ومشاركة للمصابين في

الانفعال والإحساس، إذ يقف الإنسان عاجزًا ضعيفًا يوم طغيان البحر، فلا عاصم منه يومئذ إلا من رحم الله. فما أشبهه بطوفان نوح عليه الصلاة والسلام!، ويا لها من داهية! يقول:

هدر البحر هائجا وغضوبا
وعتا المد كاسحا ومهيبا
أين منه طوفان نوح فقد أر
بك رغم البيان حقا أديبا؟
وأباد الزلزال من دون إنذا
ر نفوسا فكان يوما عصيبا[٧]

إنها كارثة تذوب لها القلوب، وتنكسر منها الأرواح، يفقد الإنسان لأجلها رشده وصوابه، لكن ثقافة الشاعر الإسلامية وإيمانه بالحكمة الإلهية في تدبير الأمور جعلته ينتظر الأمان بعد الداهية، فجعل يبث الرجاء والأمل في شعب آسيا، وأن بعد العسر يسرا، وبعد الخوف الأمان، قائلا:

قد رأينا مشاهد البؤس والتشـ
ريد فوق التي تذيب القلوبا
نكبات تدق (آسيا) كثيرا
فعسى أن ترى الأمان قريبا

إن الظاهرة الجمالية في أسلوب الشاعر في القصيدة تتبلور في جمعه بين الضدين عند وصف البحر بأنه يقدم متاعًا حسنًا حينًا، ويعرض أمرًا مرهوبًا وقتًا آخرًا، حيث يقول:

إن في البحر في الهدوء متاعا
ويرى في عتوه مرهوبا

◁◁ الشاعر والقضايا المحلية:

ناقشت قصيدة الشاعر المعنونة بأزمة البترول قضية محلية حساسة تعاني منها هذه البلاد، نيجيريا، المنتجة للبترول. إذ الحقيقة المعروفة والمعترفة بها عالميًا هي أن أي دولة تنتج البترول تعد من أثرياء الدول، يعيش أهلها في رغد من العيش والرفاهية، ويرى عليها أثر التقدم والتمدن، لما يترتب من الدخل الضخم والأموال الكثيرة، بل ترغب كل دولة في كشف معدن البترول لرفع مستواها الاقتصادي، ولتحسين حياة سكانها المادية، لكن نيجيريا على طرف النقيض من هذه الحقيقة في اكتشاف البترول، لأنها ما زالت تعد من الدول المتأخرة، يعاني أهلها من الفقر المدقع، والحياة القاسية بسبب سياسة الرؤساء السيئة في سرقة ثروة الدولة وإخراجها إلى الخارج فسادًا واعتداءً.

ويتساءل الشاعر: أين الحظ والسعد في اكتشاف البترول إذا كان يجلب النحس وعدم الأمان إلى البلد؟ فيقول:

أزمة البترول قد خارت قوانا
كيف نصلى بالأسى الحرب العوانا
نعمة البترول قد بدّلها
نقمة قومي فلاقينا الهوانا
إننا نشقى وفي جناتنا
كل ما يسعد أو يرضي العيانا
أي حظ حظنا هذا الذي

يجلب النحس ولا يعطي الأمانا؟

استعمال الشاعر الطباق والتضاد في هذا السياق يعطي موسيقى داخلية للقصيدة تساعد على تعميق التأثير «نعمة ونقمة»، و«نشقى ويسعد»، و«حظ ونحس»، وما أبلغ التشبيه في تصوير أهله عند الأزمة بالذين يشقون وهم في الجنات حيث توجد الخصب والنعم بأنواعها ويستغني أصحابها!.

وتسجل قصيدة «مسمار الغنى» وهي من عيون قصائد الشاعر قصة مأساة إنسانية بشعة، حدثت في أحد بلدان نيجيريا في عام ١٩٩٥م، وهي أن طفلة صغيرة غرز في يافوخها مسمار ثم طرحت بجنب الشارع. صور لنا الشاعر هذه الحادثة ونقلها إلينا محفوفة بالمشاعر الإنسانية، ومهيّجة للانفعال والعواطف. ويتميز التصوير بالحس الإنساني الإسلامي، يقول: هي طفلة مظلومة قد سئمت من نفسها، ويتساءل: أي ذنب اقترفته حتى تستحق هذه النكبة، لولا أن الله أنقذها من الهلاك بتسخير من يتكفل بالنفقة عليها، وتحمل تكاليف المستشفى للقيت حتفها جراء الجريمة، إذ يقول:

لو دروا ما غرزوا في رأسها
لتمنوا جرعة من بؤسها
طفلة المجهول في أوساطنا
سئمت مظلومة من نفسها
أي ذنب قد جنته يا ترى
فأرادوا رميها في رمسها
هجروها وتمنوا موتها
فوجدنا سعدها في نحسها
ويد غادرة خافية
صنعت خيرا لها في تعسها
نعمت (بوسي) بمسمار الغنى
ثم أنساها مخازي أمسها
هذه الدنيا عجيب أمرها

لنعيم كامن في بؤسها[٨]

وقصيدة الشاعر المعنونة «يوم الطفولة» تذكرنا بيوم ٢٧ من مايو الذي اختص بالأطفال، ويتميز بالذكرى العالمية للإشادة بحياتهم ومستقبلهم، يثبت الشاعر في القصيدة أن الاحتفال بهذا اليوم إذا كان له معنى معقول، ومضمون محمود لدى قوم؛ فإن هذا اليوم لا يعود إلينا في هذا البلد (نيجيريا) إلا بحزن عميق وحلم كاذب، لما يتجسد فيها من آثار البؤس والفقر، ومعالم اليأس والإهمال على الأولاد، في جميع المجالات الحيوية، حيث يقول:

أيا طفل هذا يوم عيدك عائد
فأهلا به إن رافقته المحامد
أرى جل أعياد البلاد كئيبة
تعود وفيها لا تنال المقاصد[٩]

يوضح الشاعر معنى اليأس والحرمان في حق الطفل في البلد إلى حد أن تطرده المدارس لعجزه عن تسديد رسوم المدرسة، فيظل شاردًا في الشارع، وأن ما نسمعه من الناس في مخاطبة الطفل: «أنت زعيمنا غدا» زعم، لا يحمل إلا معنى الغرور، إذ

الظروف الحالية والأوضاع الراهنة تنبئ بفساد هذا الغد المجهول، يقول:

لقد فاته حق الطفولة زاحفا
وتلفظه بعد الدبيب المعاهد
ويسمع عند الناس: أنت زعيمنا
غداً والغد المجهول لا شك فاسد

تتدفق مشاعر الشاعر قوةً وغيظًا، وتتميز عواطفه بالصدق والجدية في التعبير عن حاضر الطفل ومستقبله في البلاد، وتتلخص إنسانيته وانفعاله تجاه الموقف في هذين البيتين:

ويؤلم قلبي أن أرى الطفل بائسا
وتملأ دنيا المترفين الرغائد
يطارده الحرمان من كل وجهة
فليس له في أمره من يساعد

يترك البيتان في قلب القارئ ألمًا وغيظًا، لا يقل عن ألم الشاعر وغيظه لما يلاقيه الطفل من البؤس والحرمان، وبهما يجيش شعوره ويغلي انفعاله مشاركا للشاعر في حسه وحنانه على الطفل البائس.

◁◁ الشاعر والقضايا الدينية:

تعد قضية المسجد الأقصى من مأساة المسلمين عامة ومأساة الفلسطينيين خاصة، لما آل إليه شأن المسجد وحاضره، فهي أمر محزن ومبك، مسجد هو القبلة الأولى للمسلمين، ثم تحول يوما إلى أيدي اليهود غصبًا وعدوانًا.

نظم الشاعر قصيدة المسجد الأقصى حين رأى صورة المسجد فاستجاب له بكيانه وشعوره، يقول: إن الصورة نقلت إليه من مآذنه صدى ينادي ذلك القائد المغوار صلاح الدين الأيوبي وهو يحفز المسلمين على تحريره من أيدي المفسدين، ثم يترك الشاعر المسجد الأقصى يتحدث عن نفسه ويشتكي الأذى والضياع الملحق به، فيقول:

رأيت المسجد الأقصى أمامي
فزاد جمال صورته هيامي
سمعت صدى مآذنه ينادي
(صلاح الدين) في قعر الرجام
ألا توحي إلى الأحفاد أمرا
فيدفعهم إلى أمر جسام
تدنس ساحتي دوما كلاب
فتجزى بعد ذلك بالسلام
يهدد أس أبنيتي انهيار
كأن لم يأتني خير الأنام
أضاعوني لضعفهم فضاعوا
وما شموا رياحين احترام
لماذا ينبذون تراث دين
توارثه كرام من كرام(١٠)

◁◁ الشاعر وحجاب المرأة المسلمة:

وتعد قضية منع حجاب المرأة المسلمة من القضايا الدينية التي تناولها الشاعر في شعره، وهي

قضية إنسانية تمس شرف المرأة المسلمة وكرامتها، وتتعرض لعفتها وأنوثتها، وتعرضها للخزي والفضيحة في المجتمع، قال الشاعر قصيدة «نزعوا الحجاب» في عام ٢٠٠٤م حين منعت الحكومة الفرنسية المرأة المسلمة من لبس الحجاب ثائرًا على ذلك القرار، فاستهل قصيدته بالتعجب مما أصدرته الحكومة الفرنسية من منع الحجاب قائلا: لماذا يمنعون المرأة المسلمة من لبس الحجاب؟ ولم يمنعوا المرأة من الفساد والمجون؟! أليس لبس الحجاب للمرأة المسلمة خيراً وأفضل من خلع غوانيهم الثياب؟ وأين وجه تبرير الخوف والاضطراب من شرع الله الذي سن لحفظ الأمن وإبقاء السلامة؟ ويعلن للحكام الفرنسيين بأن تعاليم المسيح عيسى عليه السلام التي يزعمون اتباعها، لم تمنع المرأة يوما من لبس الحجاب، وإنما تركهم دين المسيح جرهم إلى الخطأ والضلال في التفكير. يقول:

سمعنا أنهم نزعوا الحجابا
وما نزعوا الخلاعة والمعابا
وتلبسه الحرائر للتحلي
كما خلعت غوانيهم ثيابا
لماذا هاجس الإسلام يبقى
حديث القوم خوفا واضطرابا
تعاليم المسيح مفصلات
وما منعت وقد علموا الحجابا
وعلمانيّة قد صيّروها
سبيلهم تجنبهم صوابا

الشاعر والقضايا الأخلاقية:

من القضايا الأخلاقية التي نفّر عنها الشاعر وحذّر قضية **تناول الخمر بين الشبان**، فقرض في ذلك عدة قصائد مؤثرة، منها قصيدة «تحريم الخمر» افتتحها ببيان أن الخمر حرام في الإسلام ،ويأنف من تناولها كل من ينتمي إلى الأصل الكريم، وجعل يذكر آفاتها، وما يترتب على شاربها من المخازي والأمراض، وأنها تذهب بعقل الشارب، وقد تسبب له الهلاك، إذ يقول:

شذت عقولك عند شرب الخمر آسفة
وناب عنها غبي القوم ترنيم
فصرت تعثر عند المشي في طرب
فلو هويت فمعدوم ومهدوم[١١]

ويشير الشاعر إلى الإثم الذي وصفه القرآن، وأن الخمر رجس وأم الخبائث، لكن يخف ألم الشاعر ويسكن تأسفه حين يرى نهوض العلماء الأجلاء من القوم بمنع شربها وتخريب البيوت المختصة لبيعها، فتطهرت الأرض بعملهم هذا، ونالوا بذلك رضوان الله وشكره، يقول الشاعر في ذلك:

الخمر مفرطة الإفشاء في بلدي
وفيه علم وإيمان وتكريم
الخمر رجس وعصيان ومنقصة
وكل شرّ أخي في الخمر مكتوم
لولا قيام رجال من أجلتنا
أولي النهى لغدا للدين تسليم
وخربوا كل بيت فيه مسكرة
وطهّروا الأرض حتى سرّ قيّوم[١٢]

كما عرض الشاعر أفكاره ومعانيه عن أضرار **التدخين** وآفاته في تشبيهات فياضة مشرقة، تسمو بالمعاني، وتعمق الأفكار في قوله:

وسعال دويّه يحدث الرعـ
ـب كرعد بدون ماء هتون
ودموع مريرة تملأ العيـ
ـن كأن الجروح تحت الجفون
تتعالى أنفاسه كالذي يصـ
ـعد طودا بقلبه الموهون

نظم الشاعر هذه القصيدة وهو في الرياض يواصل برنامج الدبلوم العالي في إعداد المعلمين، فكلمة «بلدي» تشير، عن طريق المجاز، إلى المملكة العربية السعودية، لذلك يتعجب الشاعر في انتشار التدخين بشكل كبير في مثل ذلك المجتمع الذي يتمتع بعلماء أجلاء.

ومن القضايا الأخلاقية التي تناولها الشاعر في شعره قضية **التناقض بين أقوال الناس وأفعالهم**، فنظم قصيدة بعنوان «قول بلا عمل»، يعيب فيها هذه العادة، موضحًا أضرارها ونقائصها، وما يترتب على المتصف بها بين المجتمع من المخازي والرذائل قائلا:

صار إطلاق القول بلا فعل نقيصة وداءً منتشرًا في هذا العصر، وقد صدر من الله وعيد شديد عليه، وفيه يقول:

قول بلا فعل نقيصة عصرنا
داء يعيّرنا فهل من آس
في يوم روع لا ترى من بأسهم
والناس قد ملؤوا الفلاة بباس
ظنوا بأن القول يطرد ذلهم
ويفيدهم ظن بغير قياس
ماذا يعد أولو الكلام لدى الوغى
في الحرب هم جسد بغير حواس
تبا لقولهم إذا لم يجدهم
نفعا وصاروا في يمين القاسي
والله عاتبهم عتابا لاذعا
إلا إذا عادوا من الوسواس[١٣]

ويسدي الشاعر النصيحة لمن يفعل ذلك بأن يرتدع عما هو فيه من مخالفة العهود، ويأتي بأفعاله مطابقة لأقواله، ليكسب بذلك رفعة ودرجة عند الناس حتى يصير كالفاعل المتسم بالضم الظاهر عند النحاة، راجيًا أن يكون لنصحه آذان صاغية، وقلوب واعية حتى تتغير الأوضاع إلى ما هو أحسن، فيقول:

كن فاعلا ترفع بضم ظاهر
عند النحاة وعند باقي الناس
من كان ثرثارا يمل كلامه
ويعض بالأنياب والأضراس
من كان فعالا قليلا قوله
هو في الحياة موزر ومؤاس
لا تيأسوا يوم الوقيعة ركعا
فهزيمة الأبطال عند اليأس

وتأتي قضية **الاعتدال** من القضايا الأخلاقية التي دعا إليه الشاعر وحبّبه إلى القراء لما فيه من فضائل ومحامد ونجاة، فنظم قصيدته المعنونة

«الاعتدال»، مفتتحاً القصيدة بالدعوة إلى الاتصاف بالاعتدال في جميع التصرفات والعلائق والنفقات والمتطلبات وفي كل شيء، ثم عقب ذلك بالحذر من الغلو وتجاوز الحد في الأعمال، قائلا:

يـا قـــوم ارعـــوا مـا يـقـال
وتـــصـــــرفـــوا بـــالاعـــتـــدال
الانـــهـــمـــاك إذا تـفـا
قـــم فـاتـكـم ثـــوب الجـمـال
كـالـشَّـــرْه يـسـلـب روعـــة الـ
إنـســـان ســلـبـا والجـــلال
ويـــوســـع الإنـــســـان لـو
مـــاً فـائـقـا حـد المـقـال[14]

ويؤكد أنه إذا كان الغلو مذمومًا لدى الناس فمثله القصور والخمول في أداء الواجبات، فهو أيضا معيب وفضيحة، كما يثبت أن المبالغة في الزهد والتقشف بتعذيب النفس وترك الطيّبات والحلال من الرزق مخالفة للاعتدال. فيقول في هذا المعنى:

وكـــذا الخـمـول عـن الميـو
ل مـســبـب كـــل اخـــتـــلال
لا تـعـمـر الـدنـيـا بـزهـ
ـــد إن فـيـه الانـــحـــلال
يـا مـن يـبـالـغ فـي الـتـقـ
شـــف والـــزهـــادة لـلـمـآل
وغـــــدا يـعـــذب نـفـسـه
كـــذبـا ومـيـنـا وانـتـحـال
مـــن قـــال إن الـطـيـبـا
ت محـرّمـات لـلـرجـال؟[15]

الخاتمة

وقفنا خلال هذه الجولة على بعض القضايا الإنسانية والدينية والاجتماعية المتعددة في شعر عيسى ألبي أبوبكر، وتعرفنا على إنسانيته المتمثلة في شخصيته المستجيبة لقضايا بيئته وعصره، عالميًا ومحليًا، يظهر فيها الشاعر شخصية ذا ثقافة إسلامية، مصبوغة بدروس القرآن واتجاهاته. وقد لمحنا جنوحه في تناول كثير من القضايا إلى السلم والصلح والاكتفاء بالإنكار والسخط والإعراض إلا في النادر من المواقف التي لم يجد فيها بدا إلا الخوض في الكفاح واللجوء إلى القوة والدعوة إلى الثورة، مثل قضية فلسطين.

ويتسم أسلوب الشاعر بالعاطفة الجيّاشة المتميّزة بالصدق والحرارة مما تذكي مشاعر القراء وأحاسيسهم، ويحرك انفعالاتهم وعواطفهم، ويبعث في النفوس روح الإمتاع والإقناع، فجاءت أفكاره ومعانيه في وعاء فني، وصور بيانية أضفت على القصائد جمالاً ورونقًا، ووفّرت متعة فنية عالية■

الهوامش

(*) كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، إلورن، نيجيريا.
(**) قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.
(١) عيسى ألبي أبوبكر، الرياض، مطبعة ألبي، إلورن، ٢٠٠٥م، ص ٢٣٣
(٢) عيسى ألبي أبوبكر، السباعيات، النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٦٥
(٣) عيسى ألبي أبوبكر، المرجع، نفسه، ص ١٣١
(٤) عيسى ألبي أبوبكر، الرياض، ص ١٧١
(٥) عيسى ألبي أبوبكر، المرجع نفسه، ص ١٧٣
(٦) عيسى ألبي أبوبكر، المرجع نفسه، ص ١٧٤
(٧) عيسى ألبي أبوبكر، السباعيات، ص ١٩١
(٨) عيسى ألبي أبوبكر، المرجع نفسه، ص ٥٣
(٩) عيسى ألبي أبوبكر، المرجع نفسه، ص ٦٩
(١٠) عيسى ألبي أبوبكر، المرجع نفسه، ص ١٨٦
(١١) عيسى ألبي أبوبكر، الرياض، ص ١٠١
(١٢) عيسى ألبي أبوبكر، المرجع نفسه، ص ١٠١
(١٣) عيسى ألبي أبوبكر، الرياض، ص ١٠٨
(١٤) عيسى ألبي أبوبكر، المرجع نفسه، ص ١٠٣
(١٥) عيسى ألبي أبوبكر، المرجع نفسه، ص ١٠٤

المصباح الذي لم ينطفئ

خليل الصمادي- فلسطين

في عصر يوم الخميس الأخير من شهر شعبان تواعد ثلة من فتيان حي شعفاط الجميل، الذي يقع في الشمال الشرقي من مدينة القدس المحتلة على الاجتماع بالمسجد الأقصى، بعضهم صلى العصر هناك، وبعضهم أداها في المسجد القريب من منزله، وانطلق صوب أولى القبلتين، وبعضهم جاء على الموعد بعد الانتهاء من دوراته التعليمية. جاؤوا من أماكن شتى يجمعهم حب الأقصى والجيرة في شعفاط.

قال خالد: أيها الشباب! أهلا وسهلا بكم، سبب اجتماعنا هو تزيين حي شعفاط ببعض المصابيح احتفالا بقدوم شهر رمضان الذي أصبح على الأبواب، ولا ندري أهو بعد يومين أم ثلاثة؟

قال عمر: فكرة رائعة، فشهر رمضان يستحق ذلك.

قال خالد: ما رأيكم بشراء حبل من المصابيح الصغيرة؟.

رد عليه سعيد: ولكن لا نملك ثمن الحبل فهو غال، وليس في قدرتنا شراؤه!!

أجاب عاهد: عندي ربطة من الأسلاك الكهربائية لا نحتاجها أتبرع بها للمشروع.

قال أحمد: فكرة جيدة، وما علينا إلا أن نحضر المصابيح.

رد عبد الله: فكرة رائعة، وكل واحد مني يشتري مصباحا، فثمنه أقل من مصروفنا اليومي.

قال سعيد: ومن سيجهز هذا الشريط ويزينه بالمصابيح الجميلة؟

ردّ عليه أحمد: أنسيتم صديقنا محمد أبو خضيرا؟ فقد أصبح معلم كهرباء، فهو يدرس في مدرسة اللوثري الثانوية الصناعية، وقد شاهدته عدة مرات يساعد والده في تمديد الكهرباء للبيوت والمحلات، ولا ندري لمَ تأخر عن الاجتماع! ألم تخبروه!؟

تذكر عاهد وصاح: أرجو المعذرة لقد نسيت أن أخبره.

وكان رد محمد: العفو يا صديقي! فكلنا معرضون للنسيان والسهو.

لم ينتظر غسان كثيرا، فسرعان ما حمل جواله: السلام عليكم أبو خضير، أين أنت؟.. طيب، اسمع نحن جالسون في ساحة المسجد الأقصى قرب باب الأسباط، نعقد اجتماعا مهما، لا تتأخر نحن بانتظارك.

في أقل من نصف ساعة كان محمد مع أصدقائه هناك، فشعفاط ليست بعيدة كثيرا عن المسجد الأقصى.

كم كان محمد أبو خضير مسرورا من فكرة أصدقائه! فرغم تبرعه بتجهيز الشريط إلا أنه أصر على شراء مصباح كغيره من الأصدقاء، لكنه اقترح ألا تتشابه ألوان المصابيح، فطلب من كل واحد أن يختار لون مصباحه الذي سيشتريه!.

اختار أحمد اللون الأحمر، وغسان اللون الأزرق، وسعيد اللون البنفسجي، وعمر.. الوردي، وعبد الله.. الأصفر، و... وأما محمد أبو خضير فقال: سأشتري مصباحا أخضر، فأنا أحب اللون الأخضر! ولما أراد عاهد شراء مصباحه منعه الأصدقاء قائلين له: يكفي أنك ستحضر الأسلاك.

أحب غسان أن يمازحه فقال له: طبعا لأنّ اسمك أبو خضير اخترت اللون الأخضر! فلو كان اسمك أبو زريق لأخذت اللون الذي أحبه!.

ضحك الجميع، واتفقوا على البدء في العمل فورا، ليتم تعليق الشريط غدا بعد صلاة الجمعة مباشرة.

وخلال رجوعهم لشعفاط مروا على محل لبيع الأدوات الكهربائية، واشترى كل واحد منهم مصباحه الذي اختار لونه، ولما وصلوا بيت أبي خضير جلسوا في ساحة البيت يساعدون محمدا في صنع الشريط، فقد أحضر بعض الأدوات اللازمة، وصار الجميع يعمل بهمة ونشاط، ولم ينس خالد إحضار بعض الأعلام الفلسطينية، وبعض اللوحات الصغيرة التي تحمل عبارات التهنئة بقوم الشهر المبارك، مثل: أهلا أهلا يا رمضان، شهر مبارك، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، شهر رمضان شهر الانتصار على الأعداء، وقام بتعليقها بين المصابيح.

وخلال ساعتين من العمل المتواصل كان الحبل جاهزا بطول عشرين مترا يحمل عشرة مصابيح ألوانها مختلفة تتخللها عبارات جميلة. واتفق الأصدقاء جميعا أن يعلقوا الشريط بعد عودتهم من صلاة الجمعة في المسجد الأقصى.

استمتع الأهل والجيران في حي شعفاط وهم يشاهدون الفتيان الصغار يقومون بعملهم بجد ونشاط، إنهم خيرة شباب الحي، بعضهم يدرس في المرحلة الثانوية، وبعضهم في السنة الأولى من المعاهد التعليمية، وبعضهم التحق بالعمل ليساعد أهله على أعباء الحياة ولاسيما أن الصهاينة يرهقون أهل القدس العرب بالضرائب الباهظة.

بعض الجيران أحبوا أن يشاركوا الفتيان بالعمل، فمنهم من أحضر السلالم، ومنهم من أحضر الماء

البارد، وبعضهم صار يدعو لهم بالخير والتوفيق، وخلال ساعة.. وقبل أذان العصر كان الشريط يصل بين طرفي الشارع الرئيس قرب المسجد، وعند أذان المغرب كانت الأنوار الخضراء والحمراء والصفراء والزرقاء تزيد حي شعفاط جمالا وبهاء، ففرح الأهالي بهذا العمل الجميل، لكن فرحتهم كانت أكبر لعلو همة شباب الحي وفتيانه.

في ليلة الرابع من رمضان تناول محمد أبو خضير صاحب المصباح الأخضر سحوره مع والديه وإخوته، وقبل موعد الإمساك كعادته ودع أهله للذهاب إلى

مسجد شعفاط الكبير؛ إلا أن أمه حاولت أن تؤخره قليلا بقولها: ما زال الوقت مبكرا يا محمد! انتظر أباك وأخاك لتذهب معهما.

قال محمد: كل يوم يا أمي أخرج في مثل هذا الموعد، أنسيت أن (شلتنا) تتواعد على زاوية الشارع، وبعدها نذهب للمسجد لنقرأ القرآن قبل موعد الصلاة؟

قالت الأم: والله يا بني أعرف، ولكنّ شعورا غريبا انتابني!.

قال محمد: اتكلي على الله يا أمي، فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

كغير عادتها وقفت الأم وعانقت محمدا وهي تقول: سلمتك لرب العالمين!.

وصل محمد إلى زاوية الشارع التي تبعد عن منزله أقل من خمسين مترا، لم يجد أحدًا من شباب الشلة، يبدو أنه وصل أولهم، وبعد أقل من دقيقتين كان عدد من أصدقاء الشلة باتجاه محمد، ولكنهم ذهلوا مما رأوا.. ماذا رأوا!؟

قال عاهد: نحن في حلم أم علم؟

صرخ سعيد: انظروا نزل من هذه السيارة أربعة رجال، واختطفوا أبو خضير، صاروا يركضون نحو السيارة وهم يصرخون: يا الله.. يا الله.. ماذا حصل!؟ الله أكبر! لقد استطاع بعضهم أن يلامس مؤخرة السيارة التي انطلقت بسرعة البرق بعد أن تجاوزت الإشارة المرورية الحمراء باتجاه مستوطنة راموت الصهيونية.

اختفى محمد أبو خضير، واختفت السيارة، وأصر عبد الله أنه لمح حاخاماً ذا لحية كثة يجلس بجوار السائق!! سرعان ما انطلق الأصدقاء إلى بيت محمد ليخبروا أهله بما حصل، شاهدوا والده وأخاه رائدا وهم يهمون بالخروج للمسجد.. قال أحدهم: عمي أبو رائد! قبل قليل توقفت سيارة واختطفت محمدا!

قال أبو محمد: ماذا تقولون!؟ لا حول ولا قوة إلا بالله؟ أين؟ متى؟ من؟ ما لونها!؟ أين ذهبت؟ هل كنتم معه؟ من أي طريق انطلقت؟ وغيرها من الأسئلة وجهها رائد ووالده وهم في حالة من الصبر والثبات.

بعد أن أدى الجميع صلاة الفجر خرج جميع المصلين للبحث عن محمد، بعضهم انطلق إلى

البساتين المجاورة، وبعضهم إلى الحواري والشوارع العديدة، وفي ساعات الصباح الأولى من يوم الأربعاء من الرابع من رمضان انتشر خبر اختطاف محمد انتشار النار في الهشيم، حتى إن والده ذهب إلى مقر الشرطة الصهيونية وقدم بلاغا بذلك، وبالرغم من عدم اهتمام الشرطة إلا أنهم وعدوه خيرا..!

مرت الساعات والساعات ولم يعثر على أي خبر، حان موعد الإفطار ولم تذق أم محمد الطعام حزنا على ابنها، بالرغم من تشجيع الأقارب والجيران لها على تناول الإفطار. اقترب موعد صلاة العشاء والتراويح، خرج الأصدقاء إلى المسجد، وفي طريقهم نظروا إلى حبل الزينة وإلى المصابيح التي شعر أصدقاء محمد أن نورها أصبح خافتا.

صرخ عبد الله: انظروا..! المصباح الأخضر مطفأ! يا إلهي إنه مصباح محمد..! إنه الوحيد الذي انطفأ!! توجس الأصدقاء خيفة، وتعاهدوا ألا يخبروا أهله بذلك. وبعد أن أدوا الصلاة تابعوا مهمتهم في استقصاء أخبار محمد الصديق الوفي الذي يعرفه كل أهالي شعفاط بأخلاقه الحميدة ومساعدته للكبير والصغير. وفي المساء بعد أن يئس الفتيان من الحصول على أي خبر، وخلال سمرهم الحزين والقلق ببيت عاهد، ومن على شاشات التلفزة أعلن عن الخبر العاجل المفجع: قبل ساعات عُثر على جثة الفتى الفلسطيني محمد أبو خضير ابن الستة عشر عاما محروقا في أحراش قرية دير ياسين!.

ذهل الأصدقاء مما سمعوه، ولم يدروا ماذا يفعلون أو يقولون! إلا أنهم أكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، حسبنا الله ونعم الوكيل، يرحمك الله يا محمد، لقد فعلها الأنجاس العنصريون أعداء الإنسانية!.

وفي صباح اليوم التالي جاء الخبر مفصلا: قام خمسة من مستوطني مستعمرة «راموت»: رجل متدين مع اثنين من أبنائه، واثنين من جيرانه باختطاف الفتى محمد أبو خضير، وبعد أن أوسعوه ضربا قاموا بإرغامه على شرب البنزين، وبعدها أشعلوا النار فيه، فقضى نحبه، ثم قاموا بإلقاء جثته في أحراش دير ياسين القريبة من المستعمرة. هذا؛ وقد اعترف المستوطنون بجريمتهم، وأفادوا أنهم قاموا بهذا العمل ردًّا على اختطاف ثلاثة مستوطنين يهود في مدينة الخليل.

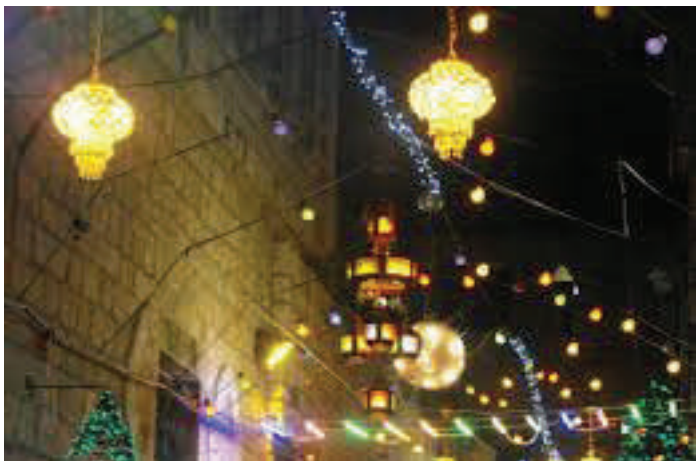

بعد صلاة يوم الجمعة الأولى من رمضان كان رجال شعفاط وشبابها وأطفالها على موعد للصلاة على جثمان الشهيد البطل، فخرجت الجموع تودع الشهيد البريء إلى مقبرة شعفاط.

وفي المساء وبعد صلاة التراويح تواعد أصدقاء محمد للذهاب إلى بيت العم أبي رائد لتقديم واجب العزاء، وأثناء مرورهم بالقرب من حبل الزينة صرخ عبد الله: يا إلهي!! انظروا إلى حبل المصابيح..! مصباح محمد الأخضر عاد أكثر إشعاعاً!! إنه لم ينطفئ، لم ينطفئ! ■

اللاأدب.. وصناعة الوهم الإبداعي

أحمد عبد العظيم رومية(*) - مصر

«ما الأدب؟!» تساؤل لافت أطلقه «جان بول سارتر» في النصف الأول من القرن العشرين ليثير الانتباه حول ماهية هذا السلوك الإنساني المألوف إلى درجة أفقدته المعيارية «الأدب»، وهو التساؤل الذي جعله عنوانا لجزء من أحد كتبه يناقش المصطلح الأهم في مجال الأدب والإبداع، مثيرا بذلك الشكوك والتساؤلات المعيارية حول مقومات الأدب، وما إذا كان هناك معيار يمكننا الاحتكام إليه في تصنيف نص ما تحت هذا اللون من الإنشاء اللغوي «أدب» أو في نفي الأدبية عنه[1].

وفي ردة فعل تتكامل مع صنيع سارتر طالعنا الدكتور محمود ذهني في آخر ستينيات القرن نفسه بكتابه «اللاأدب»، الذي يرى أن التخطيط السليم للأدب يجب أن يسير على النهج الذي يؤمن بما آمن به الطب، وهو أن «الوقاية خير من العلاج، وما آمنت به الصناعة، وهو البحث عن «معوقات الإنتاج» قبل البحث في وسائل زيادة الإنتاج، وما آمن به الجميع من أن دراسة «الآفات الزراعية» يجب أن تسبق التوسع الرأسي والأفقي فيها»[2].

لعل الدراسة الموضوعية الجادة تلزم الباحث في مفهوم اللاأدب أن يبدأ، من حيث ينبغي له أن يبدأ، بتحديد ماهية الأدب؛ حتى يمكننا أن نحدد هذا المصطلح المنبثق عنه؛ فيلزمنا هنا التعريف بالأدب، من ناحية: المعنى المعجمي، والمعنى الاصطلاحي؛ وصولا إلى المعنى الوظيفي له.

أولا: المعنى المعجمي للأدب:

يقول الأزهري في تهذيبه: «والأدب الذي يتأدب به الأديبُ من الناس، سمي أدباً لأنه يأدب الناس الذين يتعلمونه إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح. يأدبهم أي يدعوهم، وأصل الأدب الدّعاء. وقيل للصنيع يُدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة، ويقال للبعير إذا رِيض وذُلِّلَ: أديبٌ مؤدب». ثم استشهد الأزهري بحديث ابن مسعود: «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته» [٣].

أما الزبيدي فقد زاد في معجمه: «الأَدَبُ مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قامت به عمَّا يَشِينُه، وفي المصباح: هو تَعَلُّم رِيَاضَةِ النَّفْسِ ومَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ. وقال أبو زيد الأنصاريّ: الأَدبُ يَقَع على كل رِيَاضَةٍ مَحْمُودَةٍ يَتَخَرَّجُ بها الإنسانُ في فَضِيلَةٍ من الفَضَائِلِ... وفي التوشيح: هو استعمالُ ما يُحْمَدُ قَوْلاً وفِعْلاً، أَو الأَخْذُ أَو الوُقُوفُ مع المُسْتَحْسَنَات أَو تَعْظِيمُ مَنْ فوقك والرِّفْق بمَنْ دُونَكَ، ونَقَل الخَفَاجِيُّ في العِنَايَة عن الجَوَالِيقي في شرح أَدَبِ الكَاتِبِ: الأَدَبُ في اللغة: حُسْنُ الأَخلاق وفِعْلُ المَكَارِم، وإطلاقُه على عُلُوم العَرَبِيَّة مُوَلَّدٌ حَدَثَ في الإسلام. والأَدَبُ: الظَرْفُ بالْفَتْح، وحسْنُ التَّنَاوُلِ، وهذا القَوْلُ شَامِلٌ لغَالِبِ الأَقْوَالِ المذكورة، ولذا اقْتَصَرَ عليه المُصَنِّف، وقال أَبو زيد: أَدُب الرَّجُلُ كَحسُنَ يَأْدُبُ أَدَباً فهو أَديبٌ، ج أُدباءُ... » [٤].

ويتحصل لقارئ هذه المعاني اللغوية لكلمة«أدب» عدة مسارات دلالية من أهمها:

- الأدب أداة تعليم وتقويم وتوجيه إلى محامد الأخلاق والصفات في الأقوال والأفعال.

- الأدب دعوة للمشاركة في خير من طعام ونحوه كما في حديث ابن مسعود، فهو اجتماع على أمر فيه منفعة ومصلحة متحصلة.

في مصطلح«أدب» ما يشير إلى العلاقة بين غذاء الروح وغذاء الجسد، فهو «مشتق من مادة أدب التي منها المأدبة وهي الاجتماع للطعام، وهذا الاجتماع يدعّم المشاركة الاجتماعية في التعامل مع معطيات الحياة، ويؤدي بالناس إلى التزام السلوك الأخلاقي النبيل الذي يضيف إلى جلسة الطعام بعدا جماليا، بالتالي فالثقافة هي المأدبة الشعورية التي تتجمع حولها الإنسانية، ويمثلها الأدب لأنه الأخذ من كل شيء بطرف، كما يأخذ المدعو على الطعام من الألوان المتعددة التي توضع أمامه على المأدبة بشكل جميل مشاركا من حوله في الطعام والحديث أيضا»[٥]؛ فإذا كان في المأدبة إشارة إلى غذاء الجسد، فإن من عبقرية العربية أن تشتق من المادة نفسها مصطلح«أدب» للدلالة على غذاء الروح ممثلا في الكلمة البليغة المؤثرة في الوعي والعقل والوجدان.

سارتر

الأدب ترويض للنفس وسياسة لها بما يحسن به حالها قولا وفعلا، كمثل البعير الذي يقال له إذا ريض وذُلِّل: «أديب مؤدب».

الأدب مشتمل معنى الظَّرف وجمال الهيئة والصياغة في الشكل، والدلالة والمعنى في الجوهر.

إنها دلالات إيجابية تصب جميعا في مسار واحد هو الفعل الهادف إلى تحقيق المنفعة في عملية

تواصلية قائمة على وجود: مؤدِّب يروِّض ويذلِّل ويبث رسالته (مأدبته) الشهية، ومؤدَّب يسعى إلى تحصيل مكارم الأخلاق والأفعال بمطالعة ما به ترتقي النفوس وتسمو الهمم، و«أدب» و«مأدبة» تمثل مادة طيبة متسمة بالجمال وحسن التناول من ناحية، والفائدة والعود بالنفع وتحقيق المصلحة من ناحية ثانية. وكلها معانٍ تمثل معينا ورافدا للمعنى الاصطلاحي لهذا الدال الثري«الأدب».

ثانيا: المعنى الاصطلاحي للأدب:

انطلاقا من معين هذه الدلالات تبلورت الدلالة الاصطلاحية للكلمة، بعدما مرت –كما أفادنا المعجم ودلتنا كتب التراث– بعدة تطورات دلالية؛ بدءا من الدلالة المرتبطة بالمأدبة وكرم الضيافة في العصر الجاهلي، انتقالا إلى المعنى الأخلاقي التهذيبي في العصر الإسلامي كما في قول كلثوم المشهر:

ومن كَمِيٍّ تُخافُ سوْرَتُه

ومن غلامٍ يزينُه الأدبُ

أو كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، ثم مرورا بالمعنى التعليمي في العصر الأموي؛ حيث وجدت طائفة من المعلمين تسمى المؤدبين، ووصولا إلى دلالة المصطلح في القرنين الثاني والثالث للهجرة وما تلاهما من قرون فصارت الكلمة تدل على السنن التي ينبغي أن تراعى عند طبقات خاصة من الكتَّاب.

وحديثًا أخذ المصطلح يتبلور في معنيين اثنين: معنى عام يطلق على كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه وأسلوبه، وكل ما ينتجه العقل البشري من علم وفلسفة وأدب، ومعنى خاص يراد به «التعبير الجميل المؤثر في العواطف». و«الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين». وهو في الغرب «مجموع الآثار النثرية والشعرية

التي تتميز بسمو الأسلوب وخلود الفكرة الخاصة بلغة ما أو بشعب معين» [٦].

وهذه المعاني الأخيرة الخاصة بمصطلح«أدب» بعدما تبلور في صورته النهائية في كل من الثقافتين العربية والغربية تدور حول القيمة التأثيرية للأدب في عواطف جمهور المتلقين له، وبالتبعية ما يقوم عليه هذا الأدب من توظيف اللغة الإنشائية المتوسلة بجمال الأسلوب، متضافرا مع عمق الفكرة وسموها وخلودها.

يكشف ما يتحصل لدينا من مجمل المعنيين اللغوي والاصطلاحي عن بعد تداولي للأدب، بحيث نجده سلوكا لغويا قائما على شبكة تواصل طرفاها المرسل/الأديب، والمستقبل/قارئ الأدب ومتعاطيه، بحيث يصير الأدب بمثابة «تفاعل وجداني بين الفنان والمتلقي، يسبقه تفاعل بين الفنان والمجتمع، وينتج عنه تفاعل بين المتلقي والمجتمع. وهو بهذا الوضع ضرورة من ضروريات الحياة»[٧]. إنه إذن سلوك

إنتاجي يهدف إلى تحقيق جملة قيم وظيفية ترتبط بأطراف إنتاجه وتعاطيه: (الكاتب – القارئ – المجتمع)، ويمكننا تحديد أهم هذه القيم الوظيفية فيما يأتي[٨]:

- نقل التجارب الوجدانية عبر الأجيال: وهو ما يحقق توفيرا للجهد والوقت في إكساب الإنسان الوعي بأنماط التجارب الوجدانية المحتملة.
- التعبير عن مشاعر اللذة والألم: بهدف الاستزادة من الأولى، والتخفف من الثانية ومقاومتها، وهو معنى قريب مما أسماه أرسطو بـ«التطهير».
- تحفيز الروح الإنسانية: وإكسابها القدرة على تحدي الصعاب وتحقيق الأهداف، بإذكاء روح التوثب والتقدم ومحاولة الوصول إلى الأفضل على المستويين المعنوي والمادي على السواء.
- استعادة الماضي بانفعالاته ومشاعره: مما يوفر ذخيرة خبراتية تقدم له العبرة والعظة.
- الارتفاع بالغرائز الإنسانية وترقيتها والتسامي بها: بحيث تصبح عوامل سمو وتحضر، لا انحطاط وتدنٍّ.
- ربط أواصر الجماعة الإنسانية: بتصوير المشاعر الجمعية المتعلقة بأهداف جماعية وقومية وإنسانية موحدة، وبذلك يقوي الأدب الروابط التي تجمع الإنسان بالإنسان.
- فتح مجالات حضارية جديدة أمام البشرية: وتعميق فهمنا للحياة، من خلال إذكاء روح التخيل الأدبي، ولعل «أدب الخيال العلمي» يمثل النموذج الأبرز لتحقيق هذه الوظيفة، من خلال إطلاق العنان للفكر ليحلق في فضاء الخيال الذي يفارق الواقع ممهدا للإنسانية سبلا جديدة من الأفكار والرؤى والاختراعات، التي نشأ الكثير منها عن خيال الأديب وتطلعاته، قبل أن تنتجها في الواقع عقول العلماء وأفكارهم.
- التسلية والترفيه: وهذه وظيفة يعطيها أصحاب بعض المذاهب الأدبية الحديثة –مذهب «الفن للفن» مثلا– موقع الصدارة، في حين لا تعدو هذه الوظيفة كونها وظيفة واحدة من وظائف الإبداع الأدبي والفني.

وهكذا يُسلمنا هذا الاستعراض لوظائف الأدب الممكنة إلى سؤال مفاده: متى يكون الأدب أدبا؟! وكيف لنا أن نُحكم صياغة معيار كمي/وظيفي لقيمة الأدب؟

وهو سؤال يجد جوابه في الوقوف على مقدار ما يتحقق للعمل من وظائف الأدب؛ «فالعمل الذي يحقق جميع أهداف الفن –أو معظمها– لا بد أن يكون أرقى وأرفع وأوقع من الذي يحقق بعضا قليلا منها. أما ذلك الذي لا يحقق شيئا منها فإنه يعتبر عملا غير فني»[٩].

وإذا كان هذا هو مفهوم الأدب، وتلك وظائفه التي بمقدار ما يتوافر منها في عمل من الأعمال يرتفع قدره وتسمو أدبيته، فإنه –بمنظور الضد– إذا خلا عمل من تلك الوظائف جميعها، أو لم يكن له منها نصيب كاف ينهض به وبقدره، فإنه يكون –والحال كذلك– عملاً يفتقد معنى الأدبية، فإذا انضاف إلى هذا الفقر الوظيفي اشتغال بوظائف عكسية تنافي الأدبية هنا تحقق ما يمكن أن نطلق عليه لفظ

«الـلاأدب»، وهنا «تأتي الخطورة والضرر من تلك الأعمال التي تلبس مسوح الفن والأدب بينما هي تحقق أهدافا عكسية منافية لوظيفة الأدب في الحياة، وضارة بالصحة الروحية والوجدانية للمجتمع»(١٠).

إن ما قصدت إليه في هذه الورقة البحثية لا يعدو كونه مجرد تساؤلات.. تساؤلات نحاول من خلالها إثارة الماء الراكد عبر إعادة طرح بعض القضايا التي قد تبدو كلاسيكية الطابع حول طبيعة الأدب وحدوده ومقاييسه ومقوماته الشكلية والموضوعية عبر مساءلة ما يمكن أن نطلق عليه -تجاوزا- مصطلح «اللاأدب■

الهوامش

• أستاذ الأدب والنقد بكلية الألسن - جامعة عين شمس.

(١) جان بول سارتر، ما الأدب؟، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد غنيمي هلال، نهضة مصر – القاهرة

(٢) محمود ذهني، الـلاأدب، الطبعة الأولى – ١٩٦٧م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٢، ٣.

(٣) الأزهـري، تهذيب اللغة، مادة (أدب)، ضمن الموسوعة الشعرية. الشعر ديوان العرب، المجمع الثقافي، أبو ظبي: ١٩٩٧–٢٠٠٣م، الموقع الإلكتروني: http://www.cultural.org.ae -

(٤) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ضمن الموسوعة الشعرية، مادة (أدب).

(٥) سيد قطب، من مقال له بعنوان «المقال السردي من منظور القراءة الثقافية»، ضمن كتاب: حكايات القلم مطالعات في فن المقال السردي، تحرير: أحمد يحيى علي، طبع مكتبة أوزيريس ٢٠١٥، إيداع: ٢٠١٥ / ٥٥٣٣، ص١٧.

(٦) انظر في هذا التتبع لتطور المصطلح: فارس سلامة العطار، ماهية الأدب، مقال منشور بمجلة ديوان العرب، ١٨ نيسان (أبريل) ٢٠٠٩م، لمراجعة المقال على الموقع الإلكتروني: HYPERLINK "http://www.diwanalarab.com" http://www.diwanalarab.com

وانظر كذلك: مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، مكتبة لبنان، مادة (أدب).

(٧) محمود ذهني، اللاأدب، ص٤.

(٨) انظر: السابق، ص٤ – ٩.

(٩) السابق، ص٩.

(١٠) سابق، ص٩.

ذرني أعيش مسبّحاً بعلاه

حنان ربيع أحمد- مصر

ذَرني أعيش مسبّحاً بعلاهُ ... ما العيشُ إلا حينما نلقاهُ
قلبي وحيدٌ تائه في بُعدهِ ... لا ما عرفتُ ولا عشقتُ سواهُ
أتت المفاتنُ كي تعيد مواجعي ... فيصدّها أنّ العظيم اللهُ
هامَ الفؤاد معبراً عن شوقهِ ... فمتى يحينُ الوقت كي ألقاهُ؟
رب الخلائق من سواهُ يهمني ... ذرني بصيراً لا أرى إلاهُ
وأتوق يوماً علّه يختارني ... فتذوب تلك الروحُ في ذكراهُ
كيف الوصول إلى مدارٍ للهوى؟ ... أمشي به فأظلّ قيدَ هداهُ
من غيره أرجوهُ أو أهفو لهُ؟ ... من غيره؟ فسعادتي برضاهُ
يا عاذلي ذرني لهُ ودعِ الأسى ... فأنا خُلقتُ لكي أموتَ فداهُ

عطر الشعر إذ مدحت النذيرا

عبد السلام كامل عبد السلام- السودان

عطر الشعر إذ مدحت النذيرا ... فليفض مدحك الصدوق بحُورا

يفرح الشعر حين تزجى القوافي ... ثم تنساب في جمالٍ سُطورا

إنه المرتجَى ربيع زماني ... والقُرونِ التي تجمَّلن نورا

خيرة الخَلقِ من سُلالة خيرٍ ... لم تلد في الزَّمان إلا الطَّهُورا

ذكره في صحيح توراة موسَى ... ظاهرٌ واسمُه ينيرُ الزَّبُورا

بشَّرَ المرسلُون قبْلُ بطَلَهَ ... وبِذا نبَّأ المسيحُ الحُضُورا

(بنتُ وهْبٍ)رأت أمورا عظامًا ... غمرت قلبهَا الصغير سُرورا

شعَّ من بطنِها ضياءٌ أراها ... كُلَّ ذا الكونِ يَستفيضُ حبُورا

وأتى المصطفى، بشارةُ عيسَى ... شدَّ ما كان يرتجيه ظُهُورا

برَّأ الطِّفل أن يكونَ زنيمًا ... مثلَما يدَّعي اليهُودُ فجُورا

كلِمَة اللهِ.. من يكُون سواه ... جاءَ بالكوْنِ للسَّلام أميرا؟

إنَّما المُصْطفى وعِيسَى شقيقا ... نِ أضاءَا بما أتونا العُصورا

أقبلا رحمَةً على زمانٍ قميءٍ ... ضجَّ بالبُغضِ واسْتحال شرورا

يُقتَلُ المرءُ ليْس يدري لماذا ... مثلَما الطفلُ يذبحُ العُصْفورا

(والذي حارتِ البَرِيّةُ فيه) ... أنْ يُرى البعض يأكل الخنزيرا

ربِّ ما أقبح الخنازير مهما ... حاول الكاذبون مكرا وزورا!

حرمته التوراة من عهد موسى ... كيف يغدو إذاً مباحا طهورا؟

زعموا للإله زوجاً! تعالى ... ضاهؤوا قول من أراد كفورا

جئت يا سيدي الحبيبَ لتهدي ... عالما قد غدا لجهل أسيرا

فالعمايات لا تغادر شعبا ... دون شعب وأصبحت دستورا

هبل قائم رئيسا عليهم ... ضل من جسد الإله ظهورا

أإله يرى عيانا بيانا ... وله يرقص العبيد حبورا؟

صنعوا ربهم وقالوا اعبدوه ... ثم ألقوا به وساء مصيرا

ضل من يجعل الطواغيت ربا ... ساء من عابدٍ وساء مصيرا

إن مع العسر يسرا

ربيع زعيمية- الجزائر

إنهم قادمون..

كانت الصيحات تتعالى من كل صوب، انتفضت من مكاني، صِحت بزوجتي:

- أين هم الأطفال؟

- أجابتني بصوت مُختنق وقد شحب وجهها: إنهم في الباحة يلعبون؟

لملمت شتات نفسي، وطفقت من فوري أذرع في طول الرواق وعرضه، بدفعة واحدة شرّعت الباب على مصراعيه، غمرني نور الشمس الساطع بقوة، انغلق جفناي لبرهة، وأطلقت صوتي مدويا:

- تيّم.. هديل.. إلى الداخل فورا!.

كان بصري لا يزال ضبابيا من شدة وهج الشمس، لكنني لما أحسست بجسدين صغيرين يحتكان بي في اندفاعهما للداخل، سارعت لإحكام إغلاق الباب، حملت هديل، وأمسكت بيد تيم، وانطلقت نحو الطابق الأرضي وأنا أنادي زوجتي أن تتبعنا بسرعة.

كان الجو مشحونا بركام مخيف، وقد اختفت عين السماء الجميلة، الأجساد مندسة، والقلوب ترتجف!..

في المنزل هدوء رهيب، وفي الشارع المقابل دوي انفجارات عنيفة، وصرخات وداع لأرواح فارقت أجسادها عنوة، وفي المنزل المجاور صرخة ميلاد طفل جميل، وقد ابتسمت له أمه الحنون! بينما ذرف أبوه دمعة حين أدار وجهه للحائط، ثم أطفأها بضحكة ارتسمت على شفتيه.

في الغد خرج من بقي من الأحياء من البيوت والأجداث، وغبار الموت الثقيل قد غطى ملامح الحياة في وجوه قد غزاها كل لون من ألوان الحزن والخوف، فما عاد لها لون يشبه لون البشر.

الجميع يبحث عن الجميع، وقد سارت النظرات تتبع خطى النجيع في جنازة مهيبة نحو قبور الحزن الأبدي.. لقد فقد كل واحد في هذه المدينة شيئا عزيزا عليه.

خبأت الأولاد في حضن أمهم بعدما كانوا جميعا في حضني، وكنا في حضن تلك الزاوية من البيت التي تستند إلى شجرة المشمش اللذيذ الذي كانت أمي تعد لنا منه ألذّ مربى في الدنيا.. كم اشتقت لحضن أمي، ولمسة أبي الحانية المطمئنة حين يقول بنبرته الواثقة: لا تخف يا بني، كل شيء سيتحسن، وغدا سيكون أجمل، إنّ بعد العُسر يُسرا.

سارعت لفتح النوافذ.. كانت شمس الصباح على غير عادتها، توجهت للخارج.. للشارع المقابل كان الدمار رهيباً، والجو كئيباً.

جلست بالقرب من بقايا خراب يباب كان بالأمس منزلا تسكنه أرواح جميلة، واليوم تجوس فيه الغربان الناعقة، وتتوارى بين ضلوعه خفافيش الليل القبيحة.

لفت انتباهي صوت انتحاب عجوز ثكلى على زوجها الذي كان سندها ورفيقها، واليوم هو بقايا ظل لمن ساروا مع قافلة الموت البارحة.

خلف جدار قريب كان هناك فُتات خبز، بقايا طعام مما فاضت به مائدة المترفين.

إلى اليسار منه أربعة من الناس يتحدثون بصخب كبير..

قال أولهم (بغضب شديد): آن لنا أن نشدّ الرحال صوب أرض أكثر أمنا، نجد فيها لقمة العيش، ومكانا للنوم الهادئ بدون كوابيس منتصف الليل، بدون القيام مرات كثيرات فزعا لتفقد أجساد أطفالنا!..

الثاني (مقاطعا): لكن إلى أين؟

الثالث (بتذمر): إلى أي مكان آخر نحلم فيه بالغد، نتلمس فيه خيوط الأمل.

الرابع (رافضا): أنا لن أترك أرض أجدادي، لن أتشرد في الأرض، لن أستدرّ عطف المحسنين، لن أضيع في فوضى نظام طوابير الطعام للمنظمات الدولية، لن أتخلى عن شجرة الزيتون.. من سيسقي في غيابي ورود الفل والياسمين!؟ من سيستمع لتغريد الحسُّون!؟ من سيطهو الطعام المعبّق برائحة الأرض للبطون الجائعة!؟ من سيمسح عرق الجباه الناصعة!؟ الأرض هويتنا فإذا رحلنا صرنا أناسا بلا وجوه، بلا أسماء، مجرد أرقام في سجلات الإحصاء.

(تنهدت بعمق) قلت: صدقت، ومشيت إلى أن توسطت ساحة المدينة، لقد أصبحت على غير ما عهدتها عليه. بالأمس كانت عامرة، تضجّ بالطاولات المتزاحمة، تعرض مختلف أصناف البضائع الطازجة، يتباهى الباعة في ذكر محاسنها، فالطماطم متورّدة، والخوخ ممتلئ رياني، وحلاوة التفاح لا يختلف فيها اثنان!..

واليوم؛ هي مستشفى ميداني، لا ترى فيه غير لون الدم الصارخ الذي تغلب بسطوته على باقي الألوان.. وطاولات للجراحة تحمل بقايا أجساد منهارة، فما من بائع اليوم إلا الموت، وما من بضاعة تشترى سوى كومة من الأكفان.

فجأة دوى صوت انفجار مفزع في المكان. تناثرت على إثره بقايا أجساد، لعب أطفال، صفحات رواية حب، بقايا كيس أرز، وبتلات باقة ورد كانت مزروعة تحت نافذة منزل شاعر لم يسمعنا قصائده منذ دهر طويل..

في الغد؛ أفقت متوجعا، تلمست جسدي.. أفلتت من شفاهي ابتسامة فرح هزيل.. توكأت على عصا بالقرب مني، وقفلت راجعاً للبيت.. كنت أعاني من عدة جروح، ولكن لا يهم.. كل ما كان في رأسي هو بلوغ منزلي والاطمئنان على زوجتي وأطفالي.

في طريقي كانت الأفكار تتزاحم في رأسي، حاولت الإسراع أكثر فأكثر، خانتني قدماي لما تعثرت بحجر على الطريق، وهويت كمنارة مسجدنا العتيق الذي قصف البارحة بنيران عمياء، سقطت سقطة مؤلمة لم أستطع بعدها النهوض، ولم أفق إلا على يد تهزّني وصوت يناديني: أحمد.. أحمد!.. أنا جارك فراس، تعال معي سأساعدك، سآخذك لبيتي كي تستريح.

بعد مدة من الزمن أحسست بجسدين إلى جواري، ويد تمسك يدي، فتحت عيني ببطء، انشرح صدري، وطمأنت نفسي، تجولت ببصري يمنة ويسرة، وقعت عيني على ملاك صغير نائم في حضن أمه، لا يبالي بشيء من الدنيا سوى ذلك الحضن الذي يحويه ويكفيه.

أحسست بدفء يتغلغل لأعماق قلبي، وبصوت أبي المتفائل يتردد في داخلي: صبرا، صبرا.. إنّ مع العُسر يُسرا.. إنّ مع العُسر يُسرا ■

محمد عاكف أرصوي شاعراً تركياً(*)

د.محمد موسى الشريف- السعودية

قد بينت في ترجمة شيخ الإسلام مصطفى صبري التوقادي حالة تركيا في أواخر الخلافة العثمانية، وكيف تمالأ عليها الأعداء والشامتون والمتربصون، وكيف توالى عليها الماسونيون من جمعية الاتحاد والترقي، ثم خلفهم الكماليون. وكان لليهود يد طولى في كل ذلك، ثم ألغيت السلطنة سنة ١٩٢٢م، فالخلافة سنة ١٩٢٤م، وأعلنت تركيا جمهورية علمانية ملحدة، وقطعت صلتها بالإسلام وسائر المسلمين تماماً، فصار المسلمون في تركيا وخارجها كالشياه بلا راع في الليلة المطيرة المظلمة، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولم يكن في العالم الإسلامي آنذاك قوة تستطيع قيادة الجموع المسلمة ولا إرشادها. وفي الوقت نفسه حورب علماء الإسلام ودعاته والمخلصون في تركيا حرباً شعواء لا تبقي ولا تذر، وعُلِق الآلاف على أعواد المشانق، وكلح وجه تركيا، وأدارت ظهرها تماماً للإسلام والمسلمين، وفي ذلك الوقت فر جماعة من هذا البطش الكافر والهجوم السافر، فروا إلى مصر، كان بينهم علماء مثل شيخ الإسلام مصطفى صبري التوقادي، ووكيل المشيخة الإسلامية محمد زاهد الكوثري، وفر فيمن فر الأديب الشاعر محمد عاكف أرصوي، فوجدوا في مصر ملاذاً وملجأً آمناً.

ولد الشاعر محمد عاكف في إسطنبول سنة ١٨٧٣م، من أب تركي يسمى محمد طاهر وأم بخارية تدعى أمينة هانم، وتعلم العربية على يد والده الذي كان مدرساً في مدرسة الفاتح، ودرس الابتدائية والمتوسطة، ثم لما مات والده درس في مدرسة البيطرة، وتخرج فيها سنة ١٨٩٣م، ليعمل مفتشاً في وزارة الزراعة، ولم ينس أن يغترف من مصادر الإسلام، فحفظ القرآن وهو ما زال بعد في التاسعة من عمره، على يد إمام جامع الفاتح، ودرس الحديث، واللغة العربية، ودرس أيضاً الفارسية والفرنسية. وبعد تخرجه في مدرسة البيطرة دار في الأناضول والبلقان وسوريا والجزيرة العربية، واقترب من الناس فعرف أحوالهم، وسير شؤونهم، ثم

(*) مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٨٢٥، ٣-٩ ذي القعدة ١٤٢٩هـ، الموافق ١-٧ نوفمبر ٢٠٠٨م.

صار مدرساً في إسطنبول سنة ١٩٠٦- ١٩٠٧، وبعد إعلان الحكم الدستوري سنة ١٩٠٨ شارك في إصدار مجلة «الصراط المستقيم»، ونشر فيها أكثر أعماله الأدبية والفكرية. وفي السنة نفسها عُين مدرساً للأدب في دار الفنون «جامعة إسطنبول»، وأسند إليه تدريس الأدب العربي وأصول الترجمة بين العربية والتركية.

انتسب إلى جمعية الاتحاد والترقي التي خدعته بشعاراتها، فلما وقف على حقيقتها فترت علاقته بها فتوراً بيناً، وعارض أفكار ضياء آلب الذي كان بمثابة الأب الروحي لتلك الجمعية المشبوهة.

وفي سنة ١٩١٥م، زار ألمانيا في مهمة من قبل الدولة فبقي في برلين ثلاثة أشهر، ورأى هنالك أسرى للمسلمين تابعين للدولة الروسية والإنجليزية فتفقد شؤونهم، ثم عاد إلى بلاده.

ولما هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، ودخل الحلفاء تركيا شارك في تحرير بلاده بقصائد شعرية ملهبة، وانتخب بعد ذلك في مجلس النواب في دورته ١٩٢٠-١٩٢٣م، ممثلاً عن محافظته، وفي تلك السنوات كتب نشيد الاستقلال الذي أقره البرلمان التركي ليكون نشيداً رسمياً لتركيا في ١٢ مارس سنة ١٩٢١م، وكان هناك سبع مئة متسابق قدموا أناشيدهم قبله فلم يفز أي منهم، ومما جاء في هذا النشيد:

«أنت ابن شهيد حذار من أن تؤذي أباك.

لا تتخل عن هذا الوطن الجنة وإن امتلكت العوالم.

أيها الهلال الجميل لن تُمزَّق سأفديك بنفسي...».

إلى آخر ما جاء في النشيد الذي ردده ويردده مئات الملايين من الأتراك منذ قرابة تسعين سنة إلى يومنا هذا.

ثم لما انتهت مدته في مجلس النواب عاد إلى إسطنبول من أنقرة، ولم يُدع من الحزب الحاكم لخوض الانتخابات مرة أخرى؛ ويبدو أن هذا كان بسبب اتجاهه الإسلامي الظاهر.

ولما ألغى مصطفى كمال السلطنة فالخلافة، ونكّل بالشعب التركي كل التنكيل صُدم عاكف صدمة بالغة، وذلك لأنه كان يدعو إلى الوحدة الإسلامية في أشعاره وكتاباته، فرأى ذلك قد ذهب أدراج الرياح، ورأى أن التركي المسكين كان يُعدَم من أجل إصراره على الطربوش ورفضه القبعة، ورأى الإسلام يحارب حرباً شعواء، فلما وقف على ذلك كله آثر الخروج من تركيا، فيمّم وجهه شطر مصر، التي زارها من قبل مرتين مدعواً من قبل صديقه الأمير عباس حليم باشا، سنتي ١٩١٤م، ١٩٢٤م، ووصلها في المرة الثالثة سنة ١٩٢٥م.

وتوطدت صلته فيها بالأديب المصري عبد الوهاب عزام الذي مهد له الطريق إلى تدريس اللغة التركية في جامعة فؤاد: «القاهرة»، وهيأ له الصلة بمثقفي مصر، لكنه عانى في مصر من زوجه التي أصبحت حادة المزاج، وعانى من الفقر والوحدة، وعانى كثيراً من غربته، وفي سنة ١٩٣٥م - بعد عشر سنوات من إقامته بمصر - غادرها إلى لبنان للاستجمام، ومن ثم إلى إسطنبول ليموت بها في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٦م.

وكان محرر مجلة «يدي كون» التركية الأستاذ

محمد عاكف آرصوي مع ابنه محمد أمين

قندمير قد اجتمع بالأستاذ في المستشفى، وإليكم أهم ما دار بينهما من الحديث الذي ترجمه إلى العربية الأستاذ محمد يلماز مدرس اللغة العربية بكلية الإلهيات بجامعة أولوداغ التركية:

■ استغرق السفر من مصر إلى هنا ثلاث ليال غير أنها كانت بالنسبة لي ثلاثين قرناً، أمضيت هناك أحد عشر عاماً إلا أني شعرت في لحظة من اللحظات أني لو بقيت هناك أحد عشر يوماً أخرى لجُنّ جنوني.

■■ الشوق؟

■ مؤلم جداً.

■■ طيب، ماذا عن فرحة اللقاء؟

■ لا تسألني عن ذلك يا بني! فأنا لا أجرؤ على طرح السؤال حتى على نفسي، لكني مع الأسف الشديد وجدت نفسي على هذا السرير بمجرد ما خرجت من الباخرة، فلم أتمكن من مشاهدة أي شيء.

ثم تحدث عن أيام الجهاد ضد الكفار الذين وطئوا أرض تركيا في الحرب العالمية الأولى فقال:

■ غادرت إسطنبول حيث أقلتنا سيارة من أُسكدار إلى قرية لا أتذكر اسمها في الوقت الحالي... كنا نستقل في رحلتنا تارة عربة تجرها الثيران، وأخرى تجرها الأحصنة حتى وصلنا إلى أنقرة... كانت تلك الأيام ما أشد هياجها خصوصاً يوم سقطت بورصة!... لكننا لم نفقد ثقتنا ولو يوماً واحداً، ولم نسمح لليأس أن يتسرب إلى قلوبنا أبداً، فهل كان هناك مناص أمامنا غير الجد!؟

لم نكن نمتلك مدافع ولا بنادق، لكننا كنا نمتلك إيماننا الراسخ في قلوبنا، والحمد لله.

■■ كيف قمتم بكتابة نشيد الاستقلال؟

■ حقاً إنما يكتب هذا الكلام بالإيمان والأمة المؤمنة فقط، فكروا معي قليلاً: هل كان بإمكاني أن أكتب كل هذا لو لم أمتلك الإيمان الراسخ وقتذاك!؟... ولا بد لي أن ألفت الانتباه إلى أنه لا قيمة لنشيد الاستقلال على اعتبار أنه مجرد شعر، وإنما تكمن قيمته في كونه أنه يعكس صفحة من صفحات تاريخنا بما فيها من آلام.

■■ وماذا عن النصر العظيم؟

■ كنا في فرحة غامرة.

■■ ألم تقوموا بكتابة شيء ما عند ذلك؟

■ نفدت كل طاقاتي في تلك اللحظات، فلم أعد

أقدر على التفكير في أي شيء، ولا على سماع أيّ شيء، ولا كتابة أي شيء...

■■ كيف قضيتم الوقت في مصر؟

■ هناك مدينة اسمها حلوان، تقع على بعد خمسة وعشرين كيلاً من القاهرة، وهي مدينة هادئة كنت أقطنها، فأنا بطبعي إنسان هادئ لا أحب الضجيج، وكذلك في إسطنبول كنت على الحال نفسها من قبل، ففضلت العيش في مدينة حلوان لغاية ما كلفت بمهمة في دار الفنون، وفي الأيام الأخيرة حللت بالقاهرة.

■■ فهل أحببتم مصر؟

■ نعم، فهناك جوانب جميلة بمصر خصوصاً في فصل الشتاء، وكذلك في فصل الصيف لم أكن أتضايق من الطقس الحار... والبيوت بنيت على طراز يتناسب مع الطقس هناك، فلا تتعدى الحرارة داخل الغرف في أشد الأيام حرارة ثماني وعشرين أو ثلاثين درجة ..

■■ هل تسهل عليك الكتابة؟

■ لا، أبذل مجهوداً كبيراً، وأُعمل ذهني حيث أدرس الموضوع بكل تفاصيله في ذهني، وأخيراً عندما أنقله على الورق أتعب كثيراً.

من أعماله:

قد كتب عاكف كثيراً من المقالات السياسية والأدبية في مجلته «الصراط المستقيم» والتي صار اسمها بعد ذلك «سبيل الرشاد»، ومما كتبه:

«لم يكن أمام مسلمي الأناضول التركي بعد أن رأوا حجم مصيبة الاعتداء على حرمة أراضيهم غير العودة مجدداً لحمل السلاح والعمل على صد حملات أهل الصليب في حضارة القرن العشرين».

وكتب منتقداً القومية التي شاعت في تركيا آنذاك:

«يا جماعة المسلمين: أنتم لستم بعرب، ولا ترك، ولا بلقانيين، ولا أكراد، ولا قوقازيين، ولا شركس، أنتم فقط عبارة عن أفراد في أمة واحدة هي الأمة الإسلامية، وكلما حافظتم على الإسلامية لم تفقدوا قومياتكم».

وقد شغف في صدر شبابه بالشاعر الفارسي سعدي الشيرازي، وترجم أكثر شعره إلى التركية، وأعجب بالشاعر المصري ابن الفارض؛ ولعله لم يتنبه لما في بعض شعره من ضلالات، وذلك لأنه - أي عاكفاً- لم يكن متضلعاً من العلوم الشرعية، والله أعلم.

وأما شعره فمجموع في دواوين سبعة ما زالت تروج بين الأتراك، وقد أبصر ديوانه الأول النور سنة ١٩١١م، وسماه بـ«صفحات»، وفي سنة ١٩١٢م؛ صدر ديوانه الثاني بعنوان «في منبر السليمانية»، جمع فيه مقطوعات من شعره الديني والأخلاقي، وفي سنة ١٩١٣م، صدر ديوانه الثالث «أصوات الحق» الذي حوى إشارات في تفسير القرآن العظيم وبيان بعض الأحاديث الشريفة، وفي سنة ١٩١٤ صدر ديوانه الرابع «في منبر الفاتح» الذي أورد فيه شعره عن ثورات البلقان ضد الأتراك ونتائجها السيئة، وفي سنة ١٩١٧م، صدر ديوانه الخامس: «الخواطر» الذي حوى شعره عن رحلته إلى

مصر وألمانيا، ثم صدر ديوانه السادس: «عاصم» سنة ١٩١٩م، الذي حوى شعره عن حرب الاستقلال، ثم صدر ديوانه السابع: «الظلال» الذي حوى أعماله من سنة ١٩١٨-١٩٣٣م.

كتب قصيدة بعنوان «من صحراء نجد إلى المدينة المنورة»، تحدث فيها عن زيارته للمدينة المنورة سنة ١٩١٤م. ومن شعره الذي ترجمه صديقه الدكتور عبد الوهاب عزام رحمهما الله تعالى:

«ما كنت لأقف معقود اللسان أقلب الطرف فيما حولي، ولم يكن لي بد أن أنوح لأوقظ الإسلام، إنما أريد أن تفور القلوب المرهفة الحس، الراسخة الإيمان... إني أنوح ولكن لمن؟ أين أهل الدار؟ أقلب طرفي فلا أظفر إلا بأمم نائمة.

جامعة محمد عاكف آرصوي في مدينة بوردر

ومن شعره لما زار الأقصر فوجد فيه سياحاً أجانب فرنسيين وإنجليزيين وألمانيين يحتسون الخمر، ورأى أمامه آثار الفراعنة فقال:

«رأيت أمامي نحو ثلاثة عشر نفراً من السائحين ما بين فرنسيين وإنجليز وألمان، مجتمعين زرافات ووحداناً، وللكؤوس بينهم رنين، فالفرنسيون يضحكون لأن كيسهم المملوء يهز الدنيا المدينة لهم هزاً عنيفاً، وليس في الدنيا ما يحزنهم إلا هزيمة «سيدان»، ومع ذلك فإن الرغد والرفاهية ينسيان الإنسان أنكى الجروح. والإنجليز يضحكون، وما أجدرهم بالضحك! لأن الدنيا كلها رهن إشارتهم... يؤلبون شعوب الأرض بعضها على بعض، وينظرون عن بُعد فرحين.. والألمان يضحكون لأن قوة عضدهم كفيلة بأن يصدق العالم جميع ما يقولون، وما دام البشر لا يعطي الحق إلا للقوة، فما الحيلة في الوصول إلى الحق بغير القوة!؟ أضعيف أنت إذن؟ فالنحيب أولى بك، نعم في هذه الساحة من الصخب: صخب الحبور، وجلبة السرور، أنا وحدي اليأس الذي لا يبتسم، قد أخذت أبكي، وما أجدرني بالبكاء! فأنا كالغريب من ديار ديني... هذه السهول لا ترجع حديثي، أيها الشرق العظيم، أيها العالم المترامي الأطراف: ليت شعري في أي بقعة من بقاعك نجد أبناءك السعداء!؟ إن رأسك ترزح تحت الشدائد، وعضدك واه، وذراعيك مغلولتان، ولما يهبَّ نسيم الاستقلال على قلبك بعد، قد طفت في أرجائك كلها لأرى أمامي داراً للإسلام فكلّت قدماي. وكلما تناهت إلي من سبيلي أصوات الأجانب لم تفض روحي الباكية إلا بخيبة الأمل، فهل كان نصيبي أن أكون غريباً في قلب الإسلام!؟ إن هذه العاقبة لأقصى انتقام للأيام، والآن.. وقد تقدمت بي السنون، ووهت قدماي، فعلى بنيّ أن يجاهدوا ويأخذوا بثأري.»

وفي كلامه تشاؤم، لكن أنى لمثله أن يتفاءل وهو يرى الأكثرية الساحقة من ديار الإسلام آنذاك محتلة ومسحوقة، وهو يرى أكثر المسلمين آنذاك في صدٍّ عن الإسلام، وهجران لشريعته وشعائره.

ومن أعماله ترجمة معاني القرآن إلى التركية، صنع ذلك في مصر أيام منفاه فيها، لكنه – على حذره

في الترجمة واهتمامه بها - لم يرض عن عمله هذا، فطواه ولم ينشره حتى ذهب أدراج الرياح.

أشخاص تأثر بهم:

وكان قد تأثر كثيراً بالأستاذ جمال الدين الأفغاني - رحمه الله تعالى- ودعوته لنبذ الاستبداد، ونيل الحريات ولو بالقوة، وكان يردد آراءه وآراء تلميذه الأستاذ محمد عبده - رحمه الله تعالى، وترجم كثيراً من تلك الآراء إلى اللغة التركية، وأفرد لمقالات الأستاذ محمد فريد وجدي رحمه الله تعالى، حيزاً كبيراً من جريدته، وترجم كتاب الأستاذ فريد «المرأة المسلمة.» وتأثر بالشاعر الكبير محمد إقبال وصيحاته الثائرة، وقد أخبر عنه صديقه الأديب الدكتور عبد الوهاب عزام:

«كم تحدثنا وقرأنا في سيرنا وجلوسنا في الآداب الثلاثة: العربية والفارسية والتركية، وكنت أحب أن أقرأ عليه شعره، وكان يسره أن يستمع إليه، وكانت كل أحاديثنا وقراءاتنا متعة نجتمع فيها على الفكر والذوق والأمل والألم، وكان أطيب المجالس مجلساً نفرغ فيه إلى شعر محمد إقبال، فقد عرفني رحمه الله بإقبال يوم أعارني ديوانه «بيام مشرق»، فإذا صفا الوقت عمدت إلى أحد كتب إقبال فقرأت، واستمع مقبلاً مستغرقاً، يقطع إنشادي في الحين بعد الحين بالاستعادة أو الاستحسان أو التعجب أو التأوه! وأذكر أننا بدأنا كتاب إقبال «أسرار خودي»، فوالينا الجلسات حتى أنهيناه إنشاداً، ثم أتبعنا به أخاه «رموز بي خودي» فختمناه على شوق إلى الإعادة.»

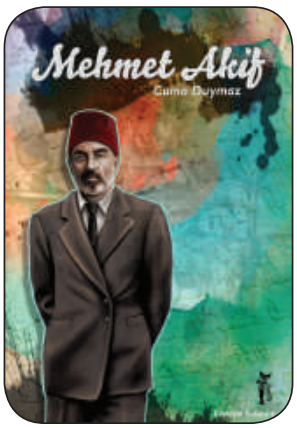

قال عنه: الأستاذ الألماني ريتشارد هرتمان:

«هو مع إحاطته -على العموم- بالحياة الثقافية والسياسية يتعمق من الوجهة الإصلاحية في الدين، وما يعنيه من الرجوع إلى الإسلام يعني به الرجوع إلى الإسلام القديم لا بإبعاد الأمور التي غيرت منه أثناء تطوره التاريخي فحسب، بل أيضاً وقبل كل شيء يريد الوقوف ضد هؤلاء العصريين المندفعين في تيار الغرب، وضد دعاة المذهب القومي، فهي حركة دينية تريد أن يكون الدين قوة تخضع لها كل الحياة المدنية في غير إضرار بحركة الفرد».

ولم يكن له كبير ذكر في بلاده إلى أن قرر مجلس الأمة التركي في ٤ مايو ٢٠٠٧م قراراً باعتبار يوم ١٢ مارس من كل عام يوماً وطنياً للاحتفال رسمياً بذكرى قبول النشيد الوطني التركي، والاحتفاء بشاعره، ولعل في هذا شيئاً من التكريم والوفاء له.

تلك كانت سيرة محمد عاكف الشاعر التركي الكبير بإيجاز، وقد عاش في مدة صعبة جداً، ولم يكن فيها للإسلام رجال يعملون له إلا القليل، فلذلك غلب على شعره التشاؤم والبكائيات، لكن حسبه أنه حاول أن ينصر الإسلام، ويوقظ المسلمين من باب الشعر والأدب، ولعل ذلك كان أقصى ما يستطيع عمله وهو غريب نائي الدار عن وطنه وأهله، ولنسأل الله له الرحمة والغفران■

ذكرى بذوق الدم!

سعيدة بشار- الجزائر

لكلّ ذكرى لون، ورائحة، وذوق، وصوتٌ يتردّد في الأعماق.. تداعبها أرواحنا ما حيينا؛ وتظل تستفز فينا الفرح أحيانًا، والوجع أحايين كثيرة.

تعالت أصوات الأطفال بالبكاء والصراخ، وأصوات النساء بالزغاريد، وعلت أصوات الرجال بالتكبير.. كانت القرية تكتم رعبها، وتواجه الموت بكرامة.. في هذه القرية المتعالية لا يُستقبل مثل ذاك الموت إلا بالزغاريد.. وبالتكبيرات!.. هناك لا يجوز الانحناء!.. في هذه القرية الشامخة لهم مثلٌ يتداولونه بلغتهم الأمازيغية البسيطة: «نُكسر ولكن لا ننحني!».. وقد كُسر ولم ينحن.

في وسط الساحة قرب المسجد ارتمى جسده على الأرض ليُقبّلها لآخر مرّة؛ زفّ قُبلاته لها بالكثير من دمه؛ تفجّر من قلبه بعد رصاصة غادرة!.. تدفق دمه ليسقي الأرض التي طالما لعب فوقها مع أصدقائه.. كم جرى فوقها! وكم سار عليها حينما كان يذهب لرعي الأغنام، أو لجلب الماء!.. كانت أرضه، وكان قاتله خائنًا!..

تطايرت الأصوات في الهواء:

- استشهد ابن الشريفة...استشهد ابن الشريفة!!

كان «ابن الشريفة» فتًى في الواحد والعشرين من عمره، وكان الابن الوحيد لأمه ومُعيلها.. كان له أيضًا أربع من الأخوات الصغيرات.. وكان أبوه قد توفي منذ سنوات!.. كان الرجل الوحيد الذي كان من المفروض أن يستمر به اسم أبيه، وكان من المفروض أيضًا أن يكون المسؤول على أمه وأخواته!.

تحمل المسؤولية مُبكرًا؛ أو ربما كانت المسؤولية هي من ارتبطت به مُبكرًا؛ فقبل ودّها.. فما كان ليردها وقد جاءت إليه محملة بحقائبها الثقيلة.

لا نختار دائمًا ما نحب؛ فحينما نشعر أن هناك رغبة فوق رغبتنا قد اختارت لنا.. نسايرها وننقاد لها!!

لا أملك له إلا صورةً وحيدة، هي كل ما أملك من ملامحه؛ لم ألتق به يومًا.. ولكني من عمق القلب أحبه.. وكيف لي أن لا أحبه؟!

بقي ممددًا في الساحة فوق دمه وأرضه؛ كان ممنوعًا لمسه، أو الاقتراب منه؛ فبقيت الجموع حوله تنظر إليه.. كانت بعض العجائز يبكين.. لم يكن يبكين عليه؛ بل على أمّه!!

استدعاها القائد لتأخذ جثته.. ليس قائد الكتيبة هو من قتله.. بل الخائن الذي يعمل لصالحه!.. كان يريد أن يُثبت أنه قادرٌ على القتل، كما كان قادرًا على الخيانة؛ أراد أن ينتقم من احتقار أهل القرية له؛ أراد

أن يُثبت لهم أنه يتحكم في رقابهم، وأنه أقوى منهم؛ فرفع بندقيته، وصوبها نحو قلبه.. ليُثبت رجولته المزعومة.

انحنت الأم على صغيرها تُقبله...لم تبكِ؛ عارٌ على «الشريفة» أن تبكي أمام قتلتها.. لا أحد سيرى دموعها!.. أنا لم أر دموعها يومًا.

حركته لتُقابل وجهه؛ وضعت رأسه في حجرها كما كانت تفعل حينما كان صغيراً؛ نفضت الغبار العالق به بحنان؛ قبلت رأسه ووجهه ويديه.. زغردت بصوتٍ عال؛ فهنا لا يُقابل مثل ذاك الموت إلا بالزغاريد والتكبيرات؛ ساندتها النسوة بالزغاريد، والرجال بالتكبيرات!.. هكذا يُقدّم العزاء في هذه القرية الشامخة.

كان الجنود واقفين على مقربةٍ منها، وكان الخائن إلى جانبهم.. أرهبتهم الزغاريد والتكبيرات؛ فتبعثرت نظراتهم المرعوبة بين الجموع، وبين الأم والشهيد..

ربما كان يشعر بقرب أجله؛ فاختار كيف يموت.. هل يمكننا أن نختار كيف نموت؟؟...

قبل فترة استشهاده أُلقي القبض على جاره؛ لشبهة تعاونه مع «المتمردين» كما كانت قوات الاحتلال تُسمّيهم.. عذبوه بشدة، ثمّ أطلقوا سراحه بعدما تأكدوا من براءته!.. قيل: إنه فقد عقله بعد خروجه من السجن!.. «ابن الشريفة» ما تحمل أن يراه هائمًا على وجهه في الطرقات يُحدّث نفسه.. قال حينها:

ـــ إذا قُبض عليّ وعلمت أنه لا مفر.. سأوهمهم بأني سأهرب؛ فيطلقون عليّ النار.. لن أمنحهم فرصة القبض عليّ وتعذيبي!!

كان صادقًا في قراره فعلاً..

أعتقد أنه كان يشعر بقرب نهايته؛ أو بالأحرى بدايته الأخرى!.. فما كان الموت يومًا نهاية!!

تم اغتيال أحد المنضمين للمقاومة في القرية المجاورة؛ اغتيل غدرًا بعد فخ نصبته له إحدى العائلات العميلة، وعثر عنده على قائمة بأسماء الفدائيين الذين لم يصعدوا إلى الجبال، وظلوا يُنظمون أمور الثورة من داخل القرى.. كان عددهم كبيرًا.. وكان «ابن الشريفة» من ضمنهم..

فاجؤوه ذات صباح بكتيبة تُحاصر منزله.. خشي على عرضه.. خاف أن تُمس أمه وأخواته فاستسلم لهم!.. سار معهم وهم يتناوبون على دفعه، والخائن إلى جانبهم يشتمه ويلعنه!..

لست أدري تفاصيل ما تراشقوا به من كلام.. كان يعلم أنه سيموت حتمًا؛ أكيد لم يُقصّر معهم!.. فقط من أسروه يعرفون التفاصيل.

حينما اقتربوا من ساحة القرية قرب المسجد استغلّ فرصة دفعهم له؛ فأوهمهم أنه سيهرب منهم؛ فجرى أمامهم دون وجهةٍ محددة؛ فارتفعت يد الخائن بالبندقية، وصوّبها نحوَ قلبه من الخلف!.. أصابته الرصاصة في قلبه مباشرة؛ فضمته الأرض إلى صدرها؛ إلى حين تحضر أمه لتضمه هي الأخرى إلى صدرها!!

لست أدري ماذا قالت له وهي تُقبله؛ وتمسح عنه دمه، والغبار العالق به.. دمه قد تشرّبه أيضًا ثوبها، ويداها، ووجهها وهي تُقبّله!..

لست أدري ماذا كانت تقول له!.. لم أسألها يومًا عن ذلك، وما عادت هنا لتُحدثني عنه، وعن كل التفاصيل..

رحلت هي أيضًا منذ أكثر من واحدٍ وثلاثين عاما!.. رحلوا جميعًا.. كالشهيد، كأم الشهيد... كالقاتل، وككثيرٍ ممن حضروا يومها، ولست أدري من بقي منهم..

عاش القاتل بعد «ابن الشريفة» عشرة أيامٍ فقط.. في اليوم العاشر بعد الواقعة فاجأه أحد المجاهدين بالقرب من بيته؛ فأشبعه رصاصًا حتى امتلأ، وبعث برسالة شفهية حملها أحدهم إلى «الشريفة» تقول لها:

– الجبهة تخبرك أنها ثأرت لك.. فارتاحي أم الشهيد!..■

خديجة بنت خويلد

(**خديجة رضي الله عنها – عمرو بن أسد عمها – أبو طالب عم الرسول ﷺ**)

أبو طالب: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، ونسل معدٍ وعنصر مضر. وجعلنا حماة بيته ورعاة حرمه، وجعله لنا حرماً آمناً.

عمرو بن أسد: والله يا أبا طالب، إنكم لخير الناس!

أبو طالب: ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل شرفاً ونبلاً وفضلاً. وإن كان في المال أقل.

عمرو بن أسد: يا أبا طالب، إن الرجال لا توزن بالمال. فالمال زائل، وعرض حائل، وعارية مستردة.

أبو طالب: ثم إن ابن أخي هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل. وقد خطب إليكم كريمتك خديجة، وقد بذل لها من الصداق أربعين.

عمرو بن أسد: (**مخاطباً خديجة**) تكلمي يا خديجة، والله إن لك من رجاحة العقل والكياسة والحكمة ما يؤهلك للرأي السديد والحكم الصائب.

خديجة: والله يا عم، لقد كنت سمعتُ عن محمد من الأمانة والصدق، فاستأجرتُه ليخرج في تجارتي إلى الشام. ولما سافر مع غلامي ميسرة، ربح ربحاً عظيماً، وروى لي ميسرة ما شاهده في محمد من البركات، وحسن الأخلاق ما حببه إلى نفسي، ورغبني فيه. ثم إن الرأي لك يا عم من قبل ومن بعد.

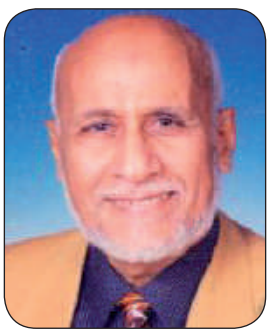

د. حمادة إبراهيم - مصر

عمرو بن أسد: والله يا خديجة ما كان لي أن أخالفك هذا الرأي

في رجل عرفنا عنه ما ذكرت، من حميد الخصال، وما سمعنا عنه من حسن السيرة، ونعرفه عنه من حسن المنبت. فعلى بركة الله!

* * *

(محمد ﷺ - خديجة رضي الله عنها)

محمد ﷺ: كيف ترين ليلة زواجنا يا خديجة؟

خديجة: والله يا محمد، ما سعدتُ في حياتي مثل سعادتي الليلة!

محمد ﷺ: الأهل والأقارب والأحبة جاؤوا من كل مكان.

خديجة: والله ما أسعدني حضور هؤلاء كما أسعدني وجود الفقراء والمساكين.

محمد ﷺ: لقد كنت كريمة معهم يا خديجة، وأجزلت لهم العطاء.

خديجة: هذه هي السعادة الحقيقية يا محمد، أن تطعم الجائع، وتعطي المحتاج.

محمد ﷺ: وحليمة السعدية التي أرضعتني، وكانت في مكانة أمي، كان لها النصيب الأكبر من عطاياك يا خديجة، وهذا سرّني كثيراً.

خديجة: أليست أم زوجي في الرضاعة؟

محمد ﷺ: كانت نعم الأم! وقد أبهجني حضورها ليلة عرسي. وزاد من بهجتي ما وهبتها يا خديجة من الأغنام، أربعين رأساً من الغنم. إني لأتخيلها الآن وهي عائدة إلى قومها، وهي تكاد تطير فرحاً. جزاك الله خيراً يا خديجة!

خديجة: لم أتركها ترحل وحدها يا محمد، بل أمرت زيد بن حارثة، خادمي، أن يصحبها حتى تصل إلى أهلها.

محمد ﷺ: ما أكرم نفسك يا خديجة! وقد ذكرتني بزيد. ولا أكتمك أنني شديد الحب لهذا الغلام!

خديجة: إذاً، مادمت تحبه يا محمد، فقد وهبته لك!

محمد ﷺ: بارك الله فيك يا خديجة. وأرجو من الله أن أكون كفواً لك.

خديجة: أنت أشرف الرجال يا محمد، وشرف لي أن أكون لك زوجة.

محمد ﷺ: دعيني إذاً، في غمرة كرمك هذا أن أسألك شيئاً ترددت كثيراً في طلبه منك.

خديجة: سل ما تريد يا محمد!

محمد ﷺ: عمي أبو طالب، لديه عيال كثيرون، وأريد أن أخفف عنه عبأه بأن أؤوي أحد أبنائه، وهو عليّ، أضمّه إلينا، ويعيش معنا.

خديجة: لك ما تريد يا محمد، وإن عملك هذا ليرفع من قدرك عندي، ويضاعف من حبي لك، إذ تصل رحمك، وتعين ذا الحاجة.

إظلام

* * *

(محمد ﷺ - خديجة رضي الله عنها، في بيتهما)

خديجة: ما لك يا محمد؟

محمد ﷺ: يا خديجة ما بي؟

خديجة: أنت لم تنم طول الليل.

محمد ﷺ: لم أنم. لا أستطيع النوم.

خديجة: أحس بك تتقلب في الفراش، وتقوم وتقعد، وسمعتك...

محمد ﷺ: سمعتني؟

خديجة: سمعتك تقول كلاماً... هل كنت تحلم؟

محمد ﷺ: والله ما أدري يا خديجة.

خديجة: لكنك كنت تتكلم كأنك تحدث أحداً.

محمد ﷺ: ولكني لم أكن أحلم... كان يقظة. أم كان حلماً؟ والله لا أدري.

خديجة: هون عليك يا محمد.

محمد ﷺ: ليست أول مرة يا خديجة.

خديجة: ماذا ترى بالضبط يا محمد؟

محمد ﷺ: كلما أردت النوم... شعرت كأن هناك من يوقظني... أهو الشيطان؟

خديجة: لا تحزن يا محمد لقد طمأنك ورقة...

محمد ﷺ: لكني أرى شخصاً.

خديجة: شخصاً؟

محمد ﷺ: نعم. ولكن ليس شخصاً...

خديجة: ماذا إذاً يا محمد؟

محمد ﷺ: كأنه شخص، ولكنه ليس بشخص.

خديجة: ولكنني معك، ولم أر أحداً.

محمد ﷺ: أنّى لك رؤيته يا خديجة، فهو ليس هنا في الحجرة.

خديجة: ترى شخصاً ليس في الحجرة؟

محمد ﷺ: كأنه في السماء!..

خديجة: ولكن، كيف يكون ذلك ونحن في الحجرة؟!

محمد ﷺ: أراه بين السماء والأرض... ولكن كيف ونحن في الحجرة!؟

خديجة: هكذا تكون الأحلام يا محمد. لا يحدها مكان ولا زمان.

محمد ﷺ: ولكن ليس حلماً يا خديجة، أراه أنا في حالة اليقظة، أنا أراه الآن.

خديجة: هون عليك يا محمد. غداً نذهب إلى ورقة وتصف له ما ترى.

محمد ﷺ: أخشى أن يكون الشيطان يا خديجة!.

خديجة: اسمع يا محمد. تعال هنا بجواري. (**محمد يفعل**) هل تراه الآن؟

محمد ﷺ: نعم أراه.

خديجة: طيب، أدخل رأسك تحت إبطي. (**محمد يفعل**) هل تراه الآن؟

محمد ﷺ: كلا، لا أراه.

خديجة: إذاً هذا ملك يا محمد.

محمد ﷺ: ملك؟

خديجة: نعم، لأنه استحيا مني. فالشيطان لا يستحيي يا ابن عم، اثبت وأبشر، فوالله إنه لملك، وما هو بشيطان.

* * *

(**محمد ﷺ - جبريل عليه السلام – ميسرة خادم خديجة**)

محمد ﷺ: (**يخرج من جبل حراء حتى إذا وصل وسط الجبل، سمع صوتاً من السماء**)

جبريل: يا محمد! يا محمد!

محمد ﷺ: (**يرفع رأسه إلى السماء ينظر**)

جبريل: يا محمد! يا محمد! أنت رسول الله وأنا جبريل!

محمد ﷺ: (**يرفع رأسه إلى السماء، فإذا جبريل في صورة رجل قدماه في أفق السماء**) يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل!

محمد ﷺ: **(ينظر إلى جبريل، ولا يتقدم ولا يتأخر)**

جبريل: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل!

محمد ﷺ: **(يحاول أن يصرف وجهه عنه في آفاق السماء، فيراه في كل ناحية)**

ميسرة: (ينادي) يا محمد! يا محمد!

(محمد يخرج من تأمله)

محمد ﷺ: ميسرة؟

ميسرة: نعم! بعثتني سيدتي!

محمد ﷺ: خيراً يا ميسرة!

ميسرة: بعثتني سيدتي لمّا تأخرت عنها!

* * *

(محمد ﷺ - خديجة – في البيت)

محمد ﷺ: قال: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، قالها مرتين .

خديجة: هذا ما قاله لنا ورقة بن نوفل، يرحمه الله.

محمد ﷺ: يرحم الله ورقة. بشرني وطمأنني.

خديجة: كان يرجو أن يطول به العمر، حتى يبعثك الله، فيؤمن بك وينصرك.

محمد ﷺ: آمن بي قبل بعثي.

خديجة: وأنا يا محمد، أول من يؤمن بك بعد بعثك. أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله.

محمد ﷺ: يا خديجة، هذا جبريل يقرئك السلام من ربك.

خديجة: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام.

محمد ﷺ: الحمد لله الذي هداك للإسلام.

خديجة: الحمد لله الذي هداني. وإني والله يا محمد أرجو من الله أن يعينني على أن أظل إلى جوارك، أعينك وأثبتك، وأخفف عنك ما يصيبك من أذى قومك.

محمد ﷺ: إنه ليحزنني ما قاله ورقة من أن قومي سيعادونني بل سيخرجونني.

خديجة: يرحم الله ورقة كان يريد أن يدفع عنك. ولكنني يا محمد سأجعل كل جاهي وثروتي في سبيل الله، وفي سبيل هذا الدين. وأرجو من الله أن يوفقني لذلك.

محمد ﷺ: أبشري يا خديجة، أمرت أن أبشرك ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

خديجة: الحمد لله! الحمد لله!

محمد ﷺ: الحمد لله رب العالمين!

خديجة: لكن يا محمد، قبل قليل رأيتك تقوم وتقعد، وتقرأ كلاماً ...

محمد ﷺ: نعم يا خديجة، كنت أصلي. هذه هي الصلاة، أمرني بها جبريل.

خديجة: هل علّمك جبريل كيف تصلي؟

محمد ﷺ: نعم يا خديجة. وعلمني قبل الصلاة كيف أتوضأ.

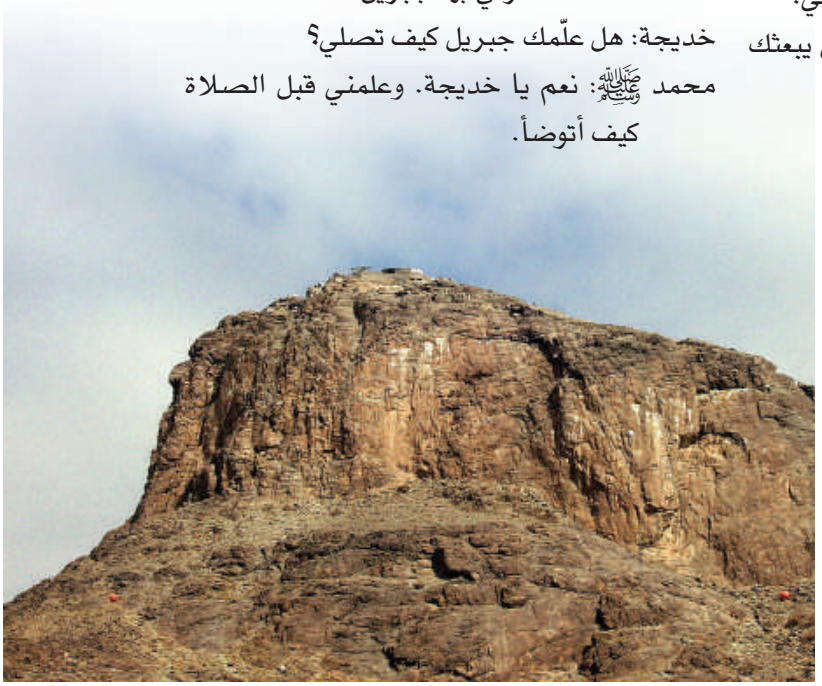

خديجة: تتوضأ؟

محمد ﷺ: نعم، يا خديجة. أغتسل لكي أتطهر قبل الصلاة. وعلمني جبريل كيف أتوضأ. توضأ أمامي ففعلت كما فعل. ثم صلى بي، ففعلت ما فعل.

خديجة: علمني يا محمد كيف أتوضأ، وكيف أصلي؟

محمد ﷺ: سأعلمك يا خديجة.

* * *

(محمد ﷺ - خديجة رضي الله عنها)

محمد ﷺ: **(يدخل البيت)** أبشري يا خديجة!

خديجة: حمداً لله يا محمد الذي أذهب عنك الغمّة!

محمد ﷺ: الحمد لله يا خديجة ربي لم ينسني!

خديجة: ألم أقل لك يا محمد إن الله لا ينساك أبداً.

محمد ﷺ: بعد انقطاع الوحي عني، ذهبت بي الظنون كل مذهب.

خديجة: وظننت أن الله قد ودّعك وتخلى عنك.

محمد ﷺ: حاشا لله! هو اختبار وابتلاء!

خديجة: وهيأ الشيطان لهم، حينما رأوك فوق جبل حراء، أنك ستلقي بنفسك من فوق الجبل.

محمد ﷺ: حاشا لله! كنت من فرط اليأس والقنوط أمشي مترنحاً فوق الجبل، أكاد أن أهوي من فوقه، حتى ظن بعضهم أنني أريد أن أقتل نفسي.

خديجة: الحمد لله ما ودّعك ربك وما قلاك!

محمد ﷺ: جاءني جبريل فأعاد إليّ الطمأنينة.

خديجة: كنت يتيماً فآواك في كفالة جدك، ثم كفالة عمك.

محمد ﷺ: والحمد لله كنت ضالاً فهداني إلى نور الحق واليقين. وكنت عائلاً فأغناني بك يا خديجة.

خديجة: أغناك بأمانتك وشرفك، وحبي وحب بناتك.

محمد ﷺ: أما بنعمة ربك فحدث!

خديجة: هيا نتوضأ ونصلِّ لله شكراً.

إظلام

* * *

(خديجة رضي الله عنها - فاطمة رضي الله عنها - زيد)

زيد: **(داخلاً بيت خديجة)** السلام عليكم ورحمة الله.

خديجة: وعليك السلام يا زيد، بشر يا زيد!

زيد: والله يا خالة، الأخبار لا تسر أبداً.

خديجة: لم تأتنا بشيء من السوق؟

زيد: كلا. لقد ذهبت إلى السوق. وكانت العير قد وصلت مكة، فأسرعت إلى التجار أشتري الطعام، فإذا بأبي لهب يقف وسط السوق ويقول: يا معشر التجار، غالوا في أسعاركم على أصحاب محمد، وأنا ضامن لكم ألا خسارة عليكم.

فاطمة: ويل لأبي لهب، حمّاد الوثن! ويل له وشاه وجهه!

زيد: جعل التجار يزيدون علي الأسعار أضعافاً مضاعفة. وكلما قبلتُ زادوا حتى أصابني اليأس.

خديجة: لقد تعب المسلمون جوعاً وعرياً.

فاطمة: والأطفال يتضورون جوعاً.

خديجة: أف لهذا البلاء! كيف تأكل قريش وتملأ بطونها والبطون هنا خاوية.

فاطمة: رفقاً يا أماه! فإن أبي قد يسمعنا، ولا نريد أن نضاعف كربه ونزيد غمه.

خديجة: والله يا ابنتي، إن ما يحزنني في هذه المقاطعة هو أن عبأها يقع على بيتنا. فالناس يقصدوننا بحثاً عن شيء من الطعام يسدون

به رمقهم فلا يجدون.

فاطمة: لا بأس يا أم. إن بعد العسر يسرا.

خديجة: (**تكاد تبكي وتحتضن فاطمة وتضمها**) يكربني أنك، يا بنيتي، تستقبلين الحياة وأنت في زهرة عمرك بهذه المتاعب وهذه الابتلاءات.

فاطمة: كفى يا أماه!

خديجة: إنها قريش يا فاطمة، قلوبها قُدّت من الصخر.

فاطمة: هناك بارقة أمل يا أماه! وما ذاك البعير

الذي اندفع نحونا يحمل الطعام إلا دليلاً على أن الله سيفرج كربنا.

خديجة: إننا ما عشنا هذه الأيام إلا على لحم هذا البعير، وعلى حمله من الدقيق والتمر ونحن حتى لا ندري من الذي أرسله ودفعه نحونا.

فاطمة: هو رزق ساقه الله يا أماه. (**إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**).

خديجة: من الذي أرسل هذا البعير؟ ولماذا أبطأ هذه المرة؟

فاطمة: إنهم يرقبونه يا أماه، يحاولون معرفته.

خديجة: من يا فاطمة؟

فاطمة: علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص يستتران وراء الصخور على أمل أن يريا الشخص الذي يأتي بالبعير، عند مدخل شعبنا، ثم يدفعه نحونا.

خديجة: ولماذا يريدون معرفته؟

فاطمة: لكي يردّوا الجميل.

خديجة: وهل عرفاه؟

فاطمة: نعم يا أماه. استطاع علي أن يرى شبحاً ضخماً وراء البعير، يتقدم نحوهما، ثم أوقف الرجل البعير. ثم ضربه في جنبه. فأقبل البعير يجري إلى داخل الشعب. وعرف علي الرجل.

خديجة: من يكون يا فاطمة؟

فاطمة: إنه هشام بن عمرو بن ربيعة!

خديجة: هو ابن أخي. يا له من واصل للرحم! جازاه الله خيراً!

فاطمة: وأسرع علي وسعد يسوقان البعير، بما يحمل، إلى الجوعى من أهل الشعب.

خديجة: الحمد لله! الليلة، لن تنامي يا فاطمة جائعة، ولن ينام محمد خاوي البطن. الليلة سيطعم الأطفال والنساء، وسينعمون بالدفء والنوم الهانئ.

إظلام

* * *

(**خديجة رضي الله عنها – فاطمة رضي الله عنها**)

خديجة: يا فاطمة ... يا فاطمة ...

فاطمة: ها أنا ذي يا أماه إلى جوارك.

خديجة: هاتي يدك يا فاطمة!

فاطمة: هي شدة تزول يا أماه!

خديجة: والله، يا بنيتي، ما يحزنني أن أغادر الدنيا إلا لأنني أترك محمداً وحده.

فاطمة: لا بأس عليك يا أماه!

خديجة: إنه وحده وسط هذه القرية الظالمة.

فاطمة: الله معه يا أماه، نحن جميعاً معه.

خديجة: سأتركه وحده. ما كان لي أن أتركه وحده.

فاطمة: أبي بخير يا أماه!

خديجة: أتركه وحده في مواجهة الكفر والكفار ... ولكنه أمر الله يا فاطمة.

(الدموع تسيل من عيني خديجة وفاطمة)

فاطمة: لا بأس عليك يا أماه!

خديجة: أنا أتركه لك يا فاطمة. أتركه معك.

فاطمة: وأنت معنا يا أماه!

خديجة: يا بنيتي، أنت قطعة منه. ما نظرت إلى وجهك إلا ورأيت وجهه.

فاطمة: كفى يا أماه، أنت متعبة.

خديجة: بل هي النهاية يا فاطمة! أنت مؤمنة يا فاطمة. والإيمان يعلمنا الصبر.

فاطمة: ونعم أمر الله!... ونعم أمر الله!

(محمد ﷺ يدخل الحجرة)

محمد ﷺ: السلام عليكم ورحمة الله!

خديجة: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

محمد ﷺ: لا بأس عليك يا خديجة. والله ما كنت لأفارقك إلا لزيارة عمي المريض.

خديجة: إن فاطمة بجواري، كأنك أنت بجواري.

محمد ﷺ: أحضري ماء يا فاطمة.

(فاطمة تذهب لتحضر الماء)

خديجة: ثلاثة أيام وأنت لا تفارقني يا محمد، بالرغم مما يناديك من أعمال جسام!

(فاطمة تحضر الماء)

فاطمة: كيف تجد أمي يا أبي؟

محمد ﷺ: أمك بخير يا فاطمة!

(بللت خديجة شفتيها وهي تتأمل الوجه الذي عاشت من أجله)

خديجة: كنت أود أن أكون دائماً إلى جوارك. ولكنه أمر الله.(**لكل أجل كتاب**).

(خديجة تغمض عينيها)

محمد ﷺ: يا خديجة!

(خديجة تفتح عينيها لتجيب محمداً ﷺ بلا كلام)

محمد ﷺ: يا خديجة، هذا جبريل أتاني الآن، يقرئك السلام من ربك.

(تعود الحياة إلى عيني خديجة)

خديجة: الله السلام. ومنه السلام. وعلى جبريل السلام.

فاطمة: هي النهاية إذاً يا أبي!

خديجة: تعالي أقبلك يا فاطمة. (**تقبل فاطمة**) أنا مطمئنة لأني أتركك معه يا فاطمة.

محمد ﷺ: اتركيني وحدي معها يا فاطمة.

فاطمة: لهفي عليك يا أبي، بالأمس أبو طالب واليوم خديجة.

خديجة: حسبي من هذه الدنيا أنني زوجة خير خلق الله، وأنني أول من آمن به، وأنني أم لفاطمة وأخواتها.

محمد ﷺ: يا خديجة!

خديجة: حسبي أن يقرئني جبريل السلام من ربي! حسبي بيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب، بعد طول العناء! ■

سهام الوجد

محيي الدين صالح- مصر

طـــارَ في ركـــب الأحـــبـــةْ ... حـــالمًـــا.. ينـشُـد حبَّـةْ
بـلـبـلٌ يـــزهـــو.. ويخشى ... أن يـنـــالَ الـتـيـهُ سِـربـه
يـتـــهـــادى نـحـو فـردو ... ســس ولا يـعـــرف دربـــه
كـل مـا يـدريـه أن الـ ... ـحِـبَّ لا يـخـذُل حِـبه

* * *

غـــادر الـعُـشـش صـغـيرًا ... يـحـسـبُ الآمـــالَ رحبة
واعـتـلـى الأفـــقَ لـيـغـزو ... في مـــدار الـفـلـك شُـهـبه
كـــان غـضًّـــا ويـنـاجـي ... في ســكـون الـلـيـل ربـه
شـــدوه كـالمـســك.. عِـطـرٌ ... تـعـشـقُ الأســحـارُ صَـبه
كـــان بِـــدرًا يـتـدلى ... يمـنـحُ الأنـــوارَ صَـحبه
ويُـحـيـلُ الـلـيـلَ أسـمـارًا ... ويـنـفـي عـنـه رُعـبـه
كـــان مـــدرارًا يـوافي ... مـن زُلال المـــاء عـذبه
تـكـتـسـي مـنـه الأقـاحـي ... ويَـحـيـكُ الـروضُ ثوبه

* * *

ثـم راح الـبـلـبـلُ الـصـداح ... يـســتـشـرف غـيـبـه
حـيـنـمـا ولى شـبـابُ الـ ... ـعـمـرِ لـيـسـت فـيـه أوبـة
قـــال والحـــيـرةُ في عـيـ ... ـنـيـه تـسـري: يـا أحِـبة
هـل تُـرى الأيـــامُ ترثي ... من قضى في الشوق نَحبه؟

* * *

لم يـجـد ردًا عـلـى نجـ ... ـــواه فـانـتـابـتـه رهـبـة
غـالـبَ الـدمـع وحـيـدًا ... مـا لـه في الـدوح عُـصبة
بـيـد أن الـوجـدَ يُـضـنـيـ ... ـــه إذا مـا رامَ حُـبه
وبـــدا الـبـلـبـلُ يـهـذي ... قـد أصَـــابَ الـسـهـمُ لُـبّـه
ورعـــاةُ الأيـــك والأز ... هـــارِ لا تمـلُـك طِـبه
فـسـهـامُ الـوجـدِ في الـبـسـ ... ـتـان كـالأشـواك رَطبة
ربـمـا لا تـقـتُـلُ الـصـيـ ... ـــدَ ولا تـغـتـالُ قـلـبه
إنـمـا تـفـتـكُ بـالأحـ ... ـشـاءِ والآلامُ كُـربة

* * *

وأنـــا أو ذلـــك الـبـلـ ... ـبلُ في أحـضـان غُـربة
يـتـلـظـى مـن أفـول ... تـشـهـدُ الأيـــامُ قُـربه
فـارق الـسـربَ وأضـحـى ... طـاويـا يـقـتـات رَيـبـه
صـاديـا بـين الـربـى يسـ ... ـعـى ومـا في المـاء رغبة
فـاسـقـه يـا سـاكـنَ الـفـر ... دوسِ مـن حـوضـك شَـربة

القيم الإنسانية والجماليّة في قصص نجيب الكيلاني

أطروحة دكتوراه في الأدب الإسلامي الحديث

إعداد الباحث: نصر الدين دلاوي

نوقشت يوم ٣ أفريل ٢٠١٢ م، في كلّية الآداب واللّغات والفنون بجامعة وهران (الجزائر) أطروحة دكتوراه في الأدب الإسلامي الحديث عنوانها: «القيم الإنسانية والجماليّة في قصص نجيب الكيلاني» للباحث نصر الدين دلاوي.

ولقد رأى الباحث، مراعاةً للعنوان والتزامًا بما يفرضه ويقتضيه، أنّ طبيعة الموضوع تقتضي بَسْط مادّته، وعَرض عناصره، ونشر محتواه في ثلاثة فصول مسبوقة بمدخل.

فأمّا **المدخل** فقد تناول مسيرة **(الحركة الواعية بالأدب الإسلامي الحديث)**، مبتدئًا بالوقوف عند اللحظات الخاصّة لميلاد الوعي الأوّل بهذا الأدب الذي خالط نفوس أصحابه المهتمّين به واقفًا عند محطّاتها، وأعلامها دون إغفال عناوينها ولافتاتها، ومشيرًا إلى إضافات روّادها إلى أن بلغ هذا الأدب أشُدّه، واستوى على سُوقه، معتمدًا على أقلام وطاقات وهياكل وإرادات يُنهضها وعي ناضج شامل مشفوع بسيلٍ من الإبداع في مختلف فنون الأدب.

ولقد كان طبيعيًّا أن يلتفت هذا المدخل إلى بعض القضايا التي تناولها المهتمّون بهذا الأدب الجديد، كدلالة المصطلح ومعناه، وتوحّده وتعدّده، وعلاقة الفنّ بالدّين، مضافًا إليها قضايا أخرى لصيقة بهذا المصطلح، وجملة أفكار وآراء حول ما يُثيره أو ما يستوجبه ويَقتضيه.

أمّا **الفصول الثلاثة** لهذا البحث فقد كانت صَدًى للعنوان، ودالّة على مُراده، يُسْلم بعضها إلى بعض وَفق حساب وتقدير، وبدون قَسر وإكراه، وفي غير تجهّم أو نُفور.

وبناءً على هذا الأمر فقد كان عنوان **الفصل الأوّل: (نجيب الكيلاني: حياته وأدبه)**. وقد تناول المحطّات المهمّة في حياة نجيب الكيلاني منذ طفولته الأولى وصِباه، والمحاضن الأولى التي تقلّب فيها، ومراحل تربيته وتعليمه مع الإشارة إلى الاهتمامات المختلفة والميولات والأوضاع والملابسات، وكذلك المؤثّرات التي كان من وظائفها، أو من نتائجها، تنمية موهبته الفنّية أو تعاهدها.

ولم يَفُت هذا الفصل، كذلك، أنْ يبرز موهبة نجيب الكيلاني الطّبيب في الكتابة

الفنّية، ويقوم بتسمية بعض إبداعه في حقول مختلفة ومواضيع شتّى مع الإشارة إلى ظروف كتابته، ومحتواه وبيان ما حقّقه هذا الإبداع من شيوع وذيوع بالطّبع والتوزيع أو بالنّقل على شاشتي السّينما والتلفزيون، وما حظِي به من جوائز ومكافآت في المناسبات الدّولية، وفي النّوادي والمسابقات.

ولقد كانت وظيفة هذا الفصل الأوّل، بل مزيّته وفائدته أنْ يزيدنا معرفة بهذه الشّخصية الإنسانيّة، وأنْ يوفِّر لنا معلومات كافية لفهم دوافعها واستبانة مواقفها، ويحيطنا علمًا بقدراتها وطاقاتها ومواهبها، ويهيِّئ لنا لقاءً أوّليًّا بفنّها وأدبها.

وكلّ أولئك، حين تحقّقه وقيامه، يكون شبيهًا بالمفاتيح المناسبة التي تُعين الباحث والقارئ كليهما على استكناه هذه الشّخصية، ووُلوج عالمها، وسَبر أغوارها.

وإذا كانت فترة الصِّبا والشّباب الأوّل قد ترسم ملامح الشّخصية الإنسانيّة، وتدلّ على طاقاتها ومواهبها، وتُشير إلى اتّجاهات التّفكير عندها، وتُوحي بغدها، وتُنْبئ بمستقبلها؛ فقد بَدا للباحث أنّ في حياة نجيب الكيلاني مِصداق هذا الأمر وثُبوته.

وعلى هذا الأساس فلم يَكن مستطاعًا المغادرة عن هذا المقام، والانتقال إلى الفصل التّالي دون الوقوف، لحظات، لتسجيل بعض النّتائج المستفادة من الفصل الذي مضى، والسّياحة التي سَبقت.

وقد بَدا للباحث، بعد القراءة والتّأمل، أنّ هناك أربعة أمور

نجيب الكيلاني

أو أربع نتائج يمكن استنباطها من مجموع ما تقدّم من عَرض تظاهرتْ على بناء شخصيّة نجيب الكيلاني، ورسم ملامحها، وتنمية الموهبة الفنّية لدَيه، وإنضاجها، كما ساهمت في إقامة الكتابة الفنّية،عنده، ونضجها واستوائها.

وقد أجمل هذه النّتائج في الكلمات الآتية: الصّرامة، والقراءة الواسعة، والموهبة، والمعاناة، فأبانها وأضاءها، واستوفى القول فيها بما يسمح به الحال والمقام.

أمّا **الفصل الثاني**، وهو أحد شِقَّي العنوان، فقد تناول فيه الباحث **(القيم الإنسانيّة في قصص نجيب الكيلاني)**. وقد كانت مسؤوليته هي تَعداد بعض القيم الإنسانيّة التي شاء الكيلاني أنْ يُضمِّنها فنّه، ويتناولها في قصصه كالتّدين، والصّراع، والحرّية والعدالة، والشّجاعة، والأبوّة والأمومة، والحبّ والجنس... وقد تولّى عرضها ومناقشتها وابتلاءها، وبيان أصالتها وتماسكها.

وليس بخافٍ أنّ هذه القيم الإنسانية التي تناولها هذا الفصل ليست هي مجموع القيم التي أشار إليها نجيب الكيلاني، وحَظِيت بها قصصه، وتردّدت بين صفحاتها، وأنّ ما ذُكر منها ليس بمحيط بها كلِّها أو شامل لها جمعاء.

إنّ هذه القيم الإنسانية التي شاء الباحث أن يضمّها هذا الفصل، أو الأخرى التي طواها، وتنضح بها قصص الكيلاني لم يَكن أمرها نتيجة تحكّم أو إهمال، وإنّما هو خلاصة انتقاء واعٍ، واختيار مصحوب بانفتاح على

الإيحاءات المختلفة، والإشارات الدّالة التي ترافق عمليّة القراءات المتتالية، وما تخلّفه مجموعها في النّفس من أفكار وميولات ومعانٍ وآثار.

أمّا **الفصل الثالث** الذي كان خاتمة الفصول فقد كانت مهمّته بيان (**القيم الجمالية في قصص نجيب الكيلاني**). وقد أحصى الباحث بعض هذه القيم التي توسّل بها الكيلاني في فنّه، أو لابَستْ قصصه كاللّغة والحوار، والزّمان والمكان، فوضعها في عناوين جانبيّة واضحة دالّة عليها، ومشيرة إليها.

خاتمة البحث وأهم نتائجه

أمّا الخاتمة فقد خصّصها الباحث لتسجيل النتائج التي انتهى إليها هذا البحث من تعاقب صفحاته، وتتابع مضامينه، وتسلسل أفكاره.

لقد كان المؤمَّل من هذا البحث أن يُعين الباحث في سَعيه علَّه يهتدي إلى جواب على هذا السّؤال ذي الأهمّية والبال:

هل استطاع نجيب الكيلاني، واختصاصه الأوّل هو الطّب، أن يثبت موهبته في ساحة الفنّ والأدب، أم إنه كان كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح!؟

وإلى أيّ مدًى من الذّاتية والأصالة والتّميز استطاع نجيب الكيلاني أن يجعل قصصه لصيقة به، تُنبئ به، وتدل عليه؟

ويمكن القول باطمئنان، تعقيبًا على هذا السّؤال:

إنّ أولى النّتائج المستفادة من هذا البحث أنّ موهبة نجيب الكيلاني الطّبيب في الكتابة الفنّية ليست محلّ شكّ، وليست موضوع تحقيق.

القيم الإنسانية والجمالية في قصص نجيب الكيلاني

أطروحة دكتوراه في الأدب الإسلامي الحديث

إعداد
الباحث نصر الدين دلاوي

٢٠١٢م/١٤٣٣هـ

جامعة وهران - الجزائر

وقد حاول هذا البحث، وجَهَدت صفحاته في تسجيل مظاهر هذه الموهبة الفنّية، ورسم ملامحها، والإشارة إلى عناوينها حينًا، أو الوقوف عندها وإحصائها، وتملّيها وابتلائها، وبيان قيمتها أحيانًا أخرى.

وفي كلا الحالَين لم تكن مظاهر هذه الموهبة الفنّية تتخلّف، ولم تكُن شواهدها تَضيق أو تنزوي، بل إنّ نجيب الكيلاني لَيفجؤنا في كلّ صفحة وتِلْوها، ويفاجئنا عند كلّ خطوة وسَير باتّساع رؤيته، وثراء عالمه، وعمق أفكاره، ولطافة معانيه، وحصافة فهمه، وتنوّع صوره، وجاذبيّة ألوانه، وجميل أساليبه، وأصالة فنّه.

وكلّ أولئك يزيدنا تقديرًا لهذا الرّجل ذي المعاناة الصّادقة، ويزيدنا إيمانًا بمقدرته الفنّية التي لا تَنضب، واعترافًا برسوخ قدمه، وثبات جَنانه في الكتابة الفنّية.

أمّا النّتيجة الثّانية المستفادة من هذا البحث فهي ظاهرة الحبّ التي تَغشى قصص نجيب الكيلاني فلا يَفتأ يقف عندها، في مجموع فنّه، مُشيرً إليها، متغنِّيًا بها، ومبرزًا آثارها وثمارها.

ولا يزعم الباحث أنه قد أحاط بهذه الظّاهرة إحاطة كاملة، أو أنّه قد استوفى القول فيها. ولكنّ الذي يُعلنه، في تواضع ووَجل، أنّ الحظّ قد حالفه كثيرًا، فكان سبّاقًا إلى اكتشاف هذه الظّاهرة الكبرى، في قصص نجيب الكيلاني، وسبّاقًا إلى الإشارة إليها، ومحاولة فهم أسبابها الأولى، والإحاطة بأصولها ومصادرها.

إنّ ظاهرة الحبّ في قصص نجيب الكيلاني تلفت الانتباه، وتستوقف الباحث، وتُلحّ عليه إلحاحًا. فلقد كان مُنتظَرًا من رجل ذاق، سنين عديدة، مرارة السّجن ووَيلاته، وهمَجيّته وعذاباته أن يتأثّر شعوره بالنّاس بما خَبَره وعاناه، وأن يتأذّى شعوره بالحياة بما كابده وقاساه، وأن تقوده هذه التّجربة القاسية إلى الانطواء، وأن تدفعه هذه المعاناة الكبيرة إلى التّشاؤم، وسوء الظنّ بالناس، وكُرْه العَيش، وازدراء الحياة.

ولكنّ شيئًا من ذلك لم يحدث وها هي ذي قصص نجيب الكيلاني تَصدح بالحبّ، وتَنضَح حبًّا بالحياة، وتفيض إيمانًا بالناس، وحُسن ظنٍّ بهم، واعترافًا بقدرتهم على بلوغ أعلى مستويات الشّهامة والنُّبل والبذل والعطاء والاستقامة والطّهر والشّجاعة والإقدام والقدرة والانتصار.

فمِن أين استقى نجيب الكيلاني نظرته الكبيرة للحبّ والحياة؟

وما الذي عَصمه من الوقوع في دياجِير السَّوداء والإحباط والقنوط؟

كلّ أولئك تكفّلت صفحات هذا البحث، في الفصل الثاني، بالإجابة عنه، ومناقشته وتحليله، والتّوسع فيه، وبيان مظاهره وأوصافه، وإبراز ألوانه ومستوياته، والإشارة إلى آثاره وقيمته في النّفس والحياة.

أمّا النّتيجة الثّالثة الأخرى التي اهتدى إليها هذا البحث فهي فضاء الإنسانيّة الذي تنتمي إليه مجموع شخصيّات نجيب الكيلاني القصصيّة.

نصر الدين دلاوي

وهذه الإنسانيّة شبيه حالها بظاهرة الحبّ التي سبق بيانها إذْ تستحقّ، هي أيضًا، أنْ يُخصَّص لها بحث مستقلّ يُنفق فيه جهد كافٍ يَتصدَّى لهذه الظاهرة الأخرى عند نجيب الكيلاني بشيء من التّوسع والتّركيز.

وقد تولّت صفحات هذا البحث بيان مظاهر هذه الإنسانيّة وملامحها وماهيتها ومستوياتها مقارنة بالإنسانيّات الأخرى في الأدب الحديث.

وقد انتهى هذا البيان والمقارنة إلى أمر خلاصته أنّ هذه الإنسانيّة التي يبشِّر بها نجيب الكيلاني في مجموع فنّه، وتَصدر عنها شخصيّاته القصصيّة هي إنسانيّة نَسيج وَحدِها، قريبة إلى نفوسنا، غير بعيدة عن شعورنا، نَستجيب دعاءها النَّديّ، ونتسمّع هُتافها القويّ الصّادر من أعماقنا.

وبعد فترة المناقشة التي دامت أكثر من ساعتين خُصِّصت لملاحظات الأساتيذ المناقشين، واستدراكاتهم على البحث، أشادوا جميعًا بمستوى الأطروحة ونوعيّتها، وحيازة صاحبها لأدوات البحث. وانتهت فترة المناقشة بمنح الباحث نصر الدين دلاوي درجة الدكتوراه بتقدير مشرّف جدًّا مع التّهنئة، للعام الجامعي: ٢٠١١ – ٢٠١٢م.

وقد كانت لجنة المناقشة مكوَّنة من السّادة الدكاترة: عشراتي سليمان رئيسًا، ومسعود أحمد مشرفًا، وميراوي عبد الوهاب مناقشًا، ومونسي حبيب مناقشًا، وبلوحي أحمد مناقشًا، وكاملي بلحاج مناقشًا ■

خلاص واختصاص

رجاء عبيد - المغرب

صبرت على مشقة الطريق، وقطرات العرق تتلألأ على جبينها، وتنساب على الخدود؛ تاركة خطوطا شقت بياضا في أعماق سواد الغبار، ترفع عينين ذابلتين ضامرتين لم يجف لهما مدمع، تكشفان تعب جسد منهك، وحرقة ندم على مجاورة الفتن.

تدثرت بلحاف الندم، وطرقت الباب بعد وقوف طويل، كانت تروح فيه وتجيء بين الفينة والأخرى، تقرعه تارة بشدة، وتارة تغيب.

غيابها آلمها، فحرك لسانها بحشرجة حزينة، فتاوهت قائلة: آه من غياب أنساني ضرورة الولوج، وأنا خلف الباب أحترق بنار البعاد، وينوء قلبي بثقله، وتدثرني أستار المعصية، فتلهب نفسي بنار الهم والغم.

ولكم أهفو إلى الخلاص في عالم التمني، لكن التمني بلا عزم حسرة فوق الحسرات، والتمني المفتقر إلى الإقدام آمال تسبح في غياهب المستحيل.

فهل أحتاج إلى معجزة تحركني للمسير قصد الوصول؟

لملمت شتات نفس مكسورة، واحتست دموع الندم لتغرس أرض الفطرة الخصبة بأشجار اليقين.

يقينها بضرورة تعهد البذور بالسقي، لأنها إذا أهملت ذبلت وماتت؛ ولربما لم تنثر في القلب بذوراً أبد الدهر حتى يطوى العمر، فتتعمق الخسارة والحسرات.

يقينها بأن النفس التي تعلن الهزيمة قبل بدء الحرب، فتلقي بأسلحتها تقضي نحبها، ولم تدرك قط غاية وجودها.

يقينها بأن صدق الإحساس منة وضيف سرعان ما ينصرف إذا انشغل القلب بالأغيار.

يقينها بإشراقة خلجاتها بأنس مثمر، تنتظم حروف الذكر فيه خرزات محكمة متقنة رائعة البيان تحرك بعذوبتها زهور المشاعر.

يقينها بأنه خلاص واختصاص؛ خلاص من الغفلة والضلال، واختصاص لأنه نداء خفي يقذف في الروع معاني جليلة، فيخفق القلب بشدة من دفء المعية، ليرتقي في مدارج حب الحق الذي لا ينسى عباده، ولا يغفل عنهم ■

قهوة العربية الفصحى

د.أكرم جميل قنبس - سورية

إلى العربيّةِ الفُصحى سلامي ... يُرفرفُ بينَ أجنحةِ الكلامِ

حَباها اللهُ نوراً سرمديّاً ... تهيمُ بِهِ على هامِ الغمامِ

وتنسجُ من لآلئها عُقوداً ... تُزيّنُ ثغرَنا بينَ الأنامِ

وكمْ في سِحرِها هامتْ قلوبٌ ... وذابَتْ بينَ أحضانِ الهُيامِ

أنا العربيّةُ الفُصحى، لساني ... شموخٌ دائمٌ بينَ الكِرامِ

وأبذلُ من كؤوسِ الحُبِّ شهداً ... بِهِ يشفى العليلُ من السّقامِ

فكيفَ رأى بيَ الأهلونَ عاراً ... وراحوا ينقضون عُرى الغرامِ؟

وكيفَ رؤوسُهُمْ بي اليومَ خَجلى ... تلوذُ بفعلِها مثلَ النعامِ؟

أنا ما هُنتُ، لكنْ بعضُ قومي ... تبارَوا في عقوقي واتّهامي

أما حَملَتْ بيَ السنواتُ زاداً ... بِهِ يتلذذون على الدوامِ؟

وكمْ نَشَقتْ صدورُهمُ عبيري ... ودارَتْ قهوتي بينَ الخيامِ!

لقد أَلْبَسْتُهُمْ تاجَ المعالي ... وكنتُ لهم دَليلاً في الزحامِ

وَبي القُرآنُ أُنزلَ من حَكيمٍ ... يشقُّ بمهجتي حُجُبَ الظلامِ

فذاعَتْ سيرتي بينَ البرايا ... بما استنهضتُ من هِمَمٍ جِسامِ

ووحّدتُ العبادَ على إلهٍ ... رآني دُرّةً بينَ الرُّكامِ

أنا العربيةُ الحسناءُ، صوتي ... جَهوريٌّ، وأدعو للوئامِ

شياطينُ الضلالِ تحومُ حولي ... وتحبُكُ بيننا ثوبَ الخِصامِ

وكمْ من ردةٍ بَرزتْ بوجهي ... وخابَتْ كُلُّ رَشقاتِ السِّهامِ

ألا تَبّاً لَمَنْ يَرمون صَدري ... فقلبي مُثقَلُ الحسراتِ دامِ

كَظَمتُ عقوقَ أهلي اليومَ بِرّاً ... لأسمو فوقَ كأسِ الانتقامِ

لئن أعمتْهُمُ عني لُغاتٌ ... فإني البدرُ في ليلِ التمامِ

أنا العربيةُ الفُصحى، وَقَدْني ... نَهضتُ بِمَحملِ الآي العِظامِ

أنـا الأُمُّ التي تخشى عليكم ... ويجري خَيرُهـا بعدَ الفِطامِ
خذوا ما شِئتمُ من كُلِّ دَوْحي ... وَجِـدّوا نحو تحقيقِ المرامي
أنـا لَـكُـمُ مَـعـينٌ سَـرمـديٌّ ... يقيكُمْ غَضبةَ السُّحبِ الجَهامِ
حَفِظتُ عُلومَكُمْ في كُلِّ عَصرٍ ... وَعِشتُ بِكُلِّ شَوقي واحتشامي
ولي فيكُمْ من الأبنـاءِ غَرسٌ ... كَريمٌ، صادقُ النجداتِ، حامِ
لقد ألبستُكُمْ أيـامَ عُمري ... ومـا أبليتُ بَـذلي واحترامي
أنـا الشمسُ التي فيها حَياةٌ ... لَكُمْ في عِشقِها حُسْنُ الختامِ
ألا فتشبّثوا بِجَـلالِ قَـدري ... ولا تَهِنـوا على بـابِ اللئامِ
لقد أبلغتُكُمْ نُصحي وَشوقي ... «وإنَّ القولَ ما قالتْ حَذامِ»
وإلا فـاغـرقـوا في مـوجِ غَـدرٍ ... سَيُلقيكُمْ بقـارعـةِ الحُـطامِ
ألا يا مُقلةَ الضادِ اعذُريني ... إذا ما ذُدْتُ دونَك بالحُسامِ
أنـا نَـبعُ الحنـانِ أنـا العَطايا ... أنا في الحُبِّ «دَوْقَلَةُ التِّهامي»
وَحُبُّك في مَعينِ الشَّرعِ فَرضٌ ... إلـهـيُّ الجَـلالـةِ والـقـوامِ
ألا لا تُـقْـبَـلَـنَّ صَـلاةُ عَـبدٍ ... بِغيرِ حُـروفِكِ الغُـرِّ الكِرامِ
وَمَـنْ يَرميكِ في ضَعفٍ شَبيهٌ ... بِمَـنْ يُقتادُ في سَيرِ اللِّجامِ
سلاماً يا حروفَ الضّادِ إني ... لِـوَجـهِ اللهِ بِـرّي والتـزامـي
وإنْ أفـرطـتُ في حُـبّـي فـإني ... شَـآمـيُّ المـحـبّـةِ والـسّـلامِ
جُدودي من بَني «غَسّانَ» صِيدٌ ... كِرامُ الأصلِ مِنْ يُمْنِ الشآمِ

أهديك للشعر

محبوبة هارون - مصر

يا مبعث الحب كم رددت ألقابا ... أنت الجمال نسجت النور أثوابا
أنت الهوى، والهوى للقلب جنته ... كم كان قبلك في تيه ومرتابا
من دون قربك لا شيء يروق له ... يأس يرفرف، حزن فيه قد نابا
ناد المحب فإن الروح في ظمأ ... تشتاق من شهدك الرقراق أكوابا
تحيي النفوس تعيد الروح في بدني ... وتبعث القلب بعد اليأس وثابا
محبوبتي.. أينعت بالحب قافيتي ... صحراء حرفي غدت زهرا وأعنابا
أهديك للشعر أرجو الشعر.. غاليتي ... في وصف معشوقتي أرجوه منسابا
أرجوه يدعو بحور الشعر قاطبة ... فالحسن يأسر أرواحا وألبابا
والدر لا ينتهي من ثغر فاتنتي ... والحسن ينطق فينانا وخلابا
علَّ القوافي توافي بعض ما ملكت ... تلك الأثيرة تهدي المجد أنسابا
لما ذكرتك فاض النور منتشيا ... ومن أمامي وخلفي دق أبوابا
فتحت لليل أبواب قافيتي ... حطمت أقفالها، طاردت حجابا
أضحى قصيدي له طعم ورائحة ... حرف يغني وعشق فيه قد ذابا
تحركت أرجاء قلبي للضيا فرحا ... سعدت لما رأيت النور قد جابا
شوقي إليك يبث الروح في قلمي ... فالحزن ولى وعنه الحدب قد غابا
ما حيلة الصب قد طال الهيام به؟! ... فلتقبلي حبه للوصل أسبابا
سلواي.. ما كنت بدعا في الهوى أبدا ... فقد أذاب الهوى عجما وأعرابا
من كل فج يتوق الخلق في لهف ... جاؤوا لأم القرى للود خطابا
يا من بمكة.. مرحى طاب موئلكم ... هذي قلوب أتت للوصل قد طابا
أنت المنى والهوى، نشتاق قبلتنا ... نظل للبيت عشاقا وأحبابا
يا مهبط الوحي والأنوار شاهدة ... والطير حول الحمى يختال أسرابا
يا ليتني كنت طيرا حول مسجدها ... يقبل القلب قبل الثغر أعتابا

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

أمسية للطيور المهاجرة

أقام مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية مساء السبت الموافق ٢٠١٥/٨/١م، أمسية أدبية لاثنين من أعضائه المغتربين، مزجت فيها ما بين الشعر والقصة. وأدارها الأديب عبد الله شبيب.

وقد تناوب على المنصة كل من الشاعر الدكتور حسام العفوري، وهو مقيم في المملكة العربية السعودية، وقرأ بعضاً من أشعاره التي راقت للحضور، ومنها قصيدته تراتيل.

أما القاصة جلنار زين، وهي مقيمة في سلطنة عمان، فقد قرأت بعضا من نصوصها القصيرة جدا،

تراوحت بين الحزن على حال الأمة، والسخرية من بعض العلاقات الشائكة في المجتمع.

وجرى نقاش حول القصة القصيرة جداً وتعريفها وشروطها والتحديات التي تواجهها أثاره الناقد الدكتور عبد الله الخطيب. وفي الختام أهدت القاصة جلنار مجموعتها «صانع الظلال» للحضور.

المهرجان الشعري بمناسبة الإسراء والمعراج

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في عمان مهرجانها الشعري السنوي بمناسبة الإسراء والمعراج مساء السبت الموافق٢٠١٥/٥/٢٣م، وقد أدار الأمسية د.عدنان حسونة نائب رئيس المكتب.

وشارك في الأمسية لفيف من الشعراء، هم علي فهيم الكيلاني، وفايز عليان، ود.علي يعقوب سلامة، وخالد فوزي عبده، وسليم صباح، وأحمد أبوشاور، ومن الشاعرات عبير الخضراء. وقد لقيت القصائد استحسان الحضور الكثيف الذي جذبته المناسبة خاصة.

بشير الصقال العالم الأديب الموسوعي

طوّف الشيخ إبراهيم نعمة الله ذي النون النعمة في المكتب الإقليمي للرابطة بالأردن، بالحضور، بمحاضرة عن الشيخ الموسوعي الشاعر بشير الصقال من العراق، وذلك في ١٩شعبان ١٤٣٦ هـ، الموافق : ٢٠١٥/٦/٦م، فقد استعرض سيرة حياته التي حفلت بالعلم والحماسة وإيقاظ الهمم، كما حفلت بشعر المناسبات والمحافل، وهو أكثر شعره. وكان جامعة ورجلاً موسوعيّاً، فهو فقيه، وقانوني، وكاتب، وسياسي، واقتصادي، ومجاهد، وشاعر خدم قضية شعبه بشعره. وقد قدم للمحاضرة وأدار الأمسية عضو الرابطة السيد أحمد أبو عمر.

جماليات الأدب الإسلامي

جماليات الأدب الإسلامي عنوان محاضرة قيمة ألقاها أ.د.عبد القادر الربّاعي رئيس جامعة جدارا سابقا، وأستاذ اللغة العربية وآدابها في جامعتي اليرموك والعلوم الاسلامية حالياً، ومحكم للترقيات العلمية للماجستير والدكتوراه في الأدب واللغة العربية؛ في المكتب الإقليمي للرابطة بعمان، مساء يوم السبت الموافق ٢٠١٥/٨/١٥م.

وعرض المحاضر أفكاره بأسلوب الحوار، بينه وبين طلابه، معززا مقولاته بأمثلة شعرية تطبيقية، وعرّج المحاضر على أدوات فن الكتابة عند الكاتب الإسلامي من تمثيل وتشبيه واستعارة وإيقاع، وغير ذلك.

أدارت الأمسية الشاعرة القديرة نبيلة الخطيب مرحبة بالمحاضر والحضور ومقدمة سيرة طويلة للمحاضر الربّاعي.

اكتظ المكان بالحضور، ودار نقاش مفيد جداً حول الأدب الإسلامي ومفهومه ومناهجه وحول النقد الأدبي، وفي الختام بادر رئيس المكتب د.كمال مقابلة بعرض عضوية الشرف على المحاضر التي قبلها بكل ود، والذي أهدى بدوره عددا من كتبه لمكتبة الرابطة. (ونشرت المحاضرة كاملة في هذا العدد).

تيسير الفتياني يزور مكتب الرابطة في الرياض

زار الأستاذ الأديب الإعلامي تيسير الفتياني عضو الهيئة الإدارية لمكتب الرابطة في الأردن مقر المكتب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية خلال وجوده في الرياض، بالمملكة العربية السعودية. وذلك يوم الأحد ٢٠١٥/٨/٣٠.

وقد استقبله الأستاذ شمس الدين درمش أمين سر المكتب الإقليمي لمكتب الرابطة، وسكرتير تحرير مجلة الأدب الإسلامي، وأطلعه على العمل في المقر الرئيس، والأنشطة التي تعقد، ومكتبة الرابطة، وقاعة المحاضرات. ومجلة الأدب الإسلامي.

ورحب نائب رئيس الرابطة، رئيس مكتب البلاد العربية الدكتور عبد الباسط بدر، بالأستاذ الفتياني، في اتصال هاتفي جرى بينهما.

حفل معايدة عيد الفطر في مكتب الأردن

رابع أيام عيد الفطر السعيد يوم الإثنين، الرابع من شوال ١٤٣٦هـ والموافق ٢٠١٥/٧/٢٠م؛ أقام مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية حفل استقبالٍ في مقر الرابطة في عمان لتبادل التهاني بمناسبة عيد الفطر المبارك .

حضر الحفل رئيس المكتب الدكتور كمال مقابلة وأعضاء الهيئة الإدارية، وجمعٌ غفير من أعضاء الهيئة العامة ومؤازري الأدب الإسلامي من الوسط الثقافي والأدبي في الأردن .

أعاده الله علينا جميعاً باليمن والبركاتِ، وتقبل الله الطاعات، وكلُ عامٍ وأنتم بخير.

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

الأستاذ درمش يزور مكتب عمان

وفي مساء الثلاثاء ١٤٣٦/١٠/٥هـ، زار مكتب الرابطة بعمان الأستاذ شمس الدين درمش المدير الإداري في المكتب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض بالمملكة العربية السعودية، وسكرتير تحرير مجلة الأدب الإسلامي، واجتمع بالأستاذ إسماعيل عطية سكرتير المكتب الذي قدم فكرة عن أنشطة المكتب في عمان، ورؤيته المستقبلية في تطوير بعض جوانب العمل.

واطلع الأستاذ شمس الدين على مكتبة الرابطة وأبدى إعجابه بما تحتويه من الكتب كمّا وكيفا، ووعد بإرسال مجموعة كاملة من إصدارات الرابطة للكبار والناشئين.

وقد اتصل به رئيس مكتب الرابطة بعمان الدكتور كمال مقابلة، مرحبا ومتمنيا له طيب الإقامة.

مهرجان إصدارات أعضاء الرابطة بمكتب عمان

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بعمان مهرجانا لإصدارات أربعة من أعضاء الرابطة، وذلك مساء السبت ٢٠١٥/٩/١٩م، وأداره الشاعر محمد الخليلي عضو الهيئة الإدارية في المكتب.

فقدم الشاعر خالد فوزي عبده، قصائد مختارة من عذب ديوانيه الرائعين، فبدأها وأنهاها عن القدس وفلسطين.

وتلاه الشاعر الدكتور سليم ارزيقات برقائق شعره في الوطنيات والإخوانيات والوجدانيات من جزأي أعماله الشعرية الكاملة التي صدرت سنة ٢٠١٥م، واحتوت سبعة دواوين.

وقدمت القاصة ظلال عدنان قصصاً ماتعة قصيرة، وقصصا قصيرة جداً، من مجموعتها الجديدة انكسار الذاكرة.

وختم الكاتب الناقد حنا ميخائيل سلامة المهرجان بقراءات من كتابه النقدي: (لظى المواجع وندى البدائع)، والذي يتضمن مقالات في تحليل ونقد بعض الظواهر المجتمعيَّة.

دور الأدب والشعر في النضال الأندلسي

قدمت الدكتورة فاطمة العبدلات عضو هيئة التدريس في كلية الأميرة ثروت في الأدب العربي مساء السبت الموافق ٢٠١٥/٨/٢٢م محاضرتها المثيرة حول دور الأدب والشعر في النضال الأندلسي...، وذلك في مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بعمان، وأدار الأمسية د.مصطفى الخطيب.

من نوادر الشعراء ومفاكهاتهم

من نوادر الشعراء ومفاكهاتهم هو عنوان الأمسية الأدبية التي قدمها الدكتور الطبيب والشاعر عبد الجبار دية، في مكتب الرابطة بعمان مساء السبت ٢٠١٥/٨/٨م، وتميزت الأمسية بالتنوع الأدبي الذي خرج عن نمطية الأمسيات الشعرية المعتادة والمحاضرات التقليدية، من خلال عدة أشكال لفنيات التواصل.

وأبرز المحاضر جمالية الشعر من خلال هذا الأسلوب الغنائي المستحب، وقربه من فهم وذائقة المتلقي، وأورد نوادر من شعر أبي العتاهية وأبي نواس وأبي دلامة، الذين عرفوا بشعر الفكاهة في العصر العباسي.

وأدارت الأمسية عضو الهيئة الإدارية الأديبة هيام ضمرة، وقدمت السيرة الأدبية والعلمية للمحاضر الشاعر عبد الجبار دية عضو الرابطة.

نظرات جديدة في فهم قصة يأجوج ومأجوج

ضمن فعالياته الثقافية الصيفية أقام مكتب الرابطة في الأردن مساء السبت ٩/٥/ ٢٠١٥م، أمسية بعنوان (نظرات جديدة في فهم قصة يأجوج ومأجوج) ألقاها الأستاذ عبد المجيد العرابلي وحضرها جمهور من الأدباء والمهتمين بعلوم القرآن الكريم ومتابعي قضايا القصص القرآني.

وقد مهد المحاضر للحديث عن تسمية يأجوج مأجوج بالحديث عن بعض الظواهر اللغوية التي اعتنى بملاحظتها وتتبعها في القرآن الكريم.

وجاءت النظرات الجديدة في فهم العرابلي لقصة يأجوج ومأجوج مخالفة لكثير مما يعتقده الناس، ويراه العلماء، ويتأوله المفسرون حتى المتأخرون منهم، مما أثار تساؤلات وتعقيبات كثيرة حول ما ورد في المحاضرة. وقد أدار اللقاء عضو الرابطة الشاعر صالح البوريني.

قدمت د.العبدلات عرضاً مقتضبا حول دور الشعراء والخطباء في أدب النضال في الأندلس خلال مراحل المواجهة بين المسلمين والإسبان، وظهور ما يمكن تسميته الأدب الإصلاحي.

وأثار موضوع المحاضرة اهتمامات المتلقين فدار حوار غني أثرى الجلسة، وقد أبدى رئيس مكتب الرابطة المكلف د.عدنان حسونة إعجابه بالمحاضرة، وشكره للحاضرين، وأن ينسج الأدباء الإسلاميون على منوال من سبقوهم، في أن يكون لأدبهم حضور فاعل في مواجهة التحديات التي تواجه أمتنا اليوم.

من أنشطة أعضاء الرابطة:

الدكتور ناصر الخنين في محاضرة عن بلاغة القرآن عرض وتحليل

استضافت ندوة الشيخ عبدالله بن عقيل في الرياض محاضرة بعنوان (بلاغة القرآن عرض وتحليل) للشيخ الدكتور/ ناصر بن عبدالرحمن الخنين الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونائب رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض، وذلك مساء الأربعاء ٢٣ / ٨ / ١٤٣٦هـ في منزل الشيخ ابن عقيل رحمه الله.

قدم فيها د. الخنين عرضا عن بلاغة القرآن في علم المعاني وبلاغة النظم عند عبدالقاهر الجرجاني وعرض مثالاً تطبيقاً لذلك في الآية الكريمة في سورة التوبة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة....) الآية.

ثم فُتح باب المداخلات، وأولها مداخلة د. جبران سحاري عن بلاغة الكلمة، وضرب أمثلة لذلك مما أدلى به الزمخشري في كشافه، وعبدالقاهر في دلائل

الإعجاز وغيرهما، ثم مداخلة من الشيخ محمد بافضل عرج فيها على أهمية تدبر القرآن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، ثم مداخلة من أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة الأستاذ شمس الدين درمش تحدث فيها عن أهمية بلاغة النظم، وضرب مثالاً لذلك الآية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ (فصلت/ ٥٣).

وحضر اللقاء عددٌ من الطلاب والمهتمين بهذا الجانب، وأعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية. وأدار اللقاء الأستاذ عبدالله الراشد.

رسالة ماجستير في النقد والأدب العربي للشاعرة الخطيب

نوقشت رسالة ماجستير للشاعرة نبيلة الخطيب في جامعة العلوم الإسلامية العالمية في مجال الدراسات الأدبية والنقدية، بعنوان «جماليات الخطاب القرآني وجدلية المكان في سورة يوسف.. دراسة نصية تأويلية»، وذلك بتاريخ ٢٠١٥/٨/١١م.

تكونت لجنة المناقشة من د.عبد القادر الرباعي، مشرفاً ولجنة المناقشة من موفق مقدادي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة نفسها، ومحمد القضاة من الجامعة الأردنية، وقد حصلت الشاعرة نبيلة الخطيب على

درجة الماجستير بتقدير ممتاز، وناقشت الرسالة الاتجاه الإسلامي.

ورابطة الأدب الإسلامي تهنئ الأديبة الخطيب رئيس مكتب الرابطة بالأردن (سابقا) بحصولها على الماجستير، وترجو لها دوام التوفيق.

الدكتور قصّاب يحاضر في جامعة المدينة العالمية في ماليزيا

بدعوة من جامعة المدينة العالمية في كوالالمبور بماليزيا ألقى الدكتور وليد قصّاب مدير تحرير مجلة الأدب الإسلامي محاضرة عن «الأدب الإسلامي: تعريف ونشأة وضرورة».

وذلك ضمن فعاليات المنتدى الأدبيّ الذي تقيمه الجامعة سنوياً، وقد أقيم هذا المنتدى ضمن نشاط كلية اللغات والترجمة، وذلك بالتعاون بين جامعة المدينة العالمية ومكتب رابطة الأدب الإسلاميّ العالمية في ماليزيا.

وقد تميّز الملتقى بحضور كثيف؛ إذ حضره وكيل الجامعة للشؤون الأكاديمية، وعميد كلية اللغات، وعميد كلية اللغة العربية، وعدد آخر من العمداء، وأعضاء الهيئة التدريسية وطلاب الدّراسات العليا، وقد ألقى الدكتور قصّاب في هذا الملتقى بعض القصائد من شعره.

جائزة الدولة لأدب الطفل في قطر للشاعر مصطفى عكرمة

فاز الشاعر السوري عضو رابطة الأدب الإسلامي مصطفى عكرمة بجائزة الدولة لأدب الطفل في قطر عن ديوانه «تعالوا نتعلم من سيرة رسول الله الأعظم»، وكانت جائزة هذه الدورة (٢٠١٥م) عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أتى الديوان في ١٢ قصيدة إضافة إلى القصيدة المقدمة للديوان.

الدكتور شهاب غانم في زيارة أدبية علمية لليابان

قام الشاعر والمترجم الإماراتي الدكتور شهاب غانم عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية بزيارة لليابان في المدة من ١-٩ يونيو ٢٠١٥م، بدعوة من منظمة سوكا جاكاي العالمية التي ينتمي إليها ١٢ مليون عضو في أكثر من ١٩٠ دولة، ولها ٣٥ مقعدا في البرلمان الياباني ومشتركة في الحكومة الائتلافية، وقد التقى الدكتور شهاب بمؤسسها الشاعر دايساكو إيكيدا الحاصل على ٣٥٩ دكتوراه فخرية، وجائزة شاعر الأمم المتحدة للسلام. وكان الدكتور شهاب قد ترجم أحد دواوينه، وحصلت الترجمة على جائزة العويس للإبداع.

وقد منح الدكتور شهاب خلال الرحلة درجة الدكتوراه الفخرية لإسهاماته الشعرية والأدبية من جامعة سوكا في طوكيو، وهي جامعة فاخرة ومتميزة في اليابان، وكانت قد منحت الدكتوراه الفخرية لعدد من الأعلام في عالم الفكر والأدب والإبداع، وبعض رؤساء الجامعات، وبعض الحاصلين على جائزة نوبل.

وقدم الدكتور شهاب خلال الرحلة محاضرة مشتركة مع ابنه الدكتور المهندس وضاح في معهد الفلسفات الشرقية لمدة ساعة على نخبة من العلماء والباحثين اليابانيين عن الإسلام وسورة الفاتحة (وكانا قد ألفا معا كتابا عن سورة الفاتحة باللغة الإنجليزية خلال السنوات الأخيرة، وسيصدر إن شاء الله قريبا عن دار بنجوين)، وتلا ذلك نقاش لمدة ساعة حول موضوع المحاضرة.

وفاة الأديب التركي الأستاذ علي نار رئيس مكتب الرابطة في تركيا

(١٩٤٢-٢٠١٥م)

فقدت رابطة الأدب الإسلامي العالمية علما آخر من أدبائها ورواده المؤسسين، فقد توفي الأديب الروائي الشاعر علي نار، الذي وافته المنية يوم الخميس ٢٩ رمضان ١٤٣٦هـ، الموافق ١٦ تموز/ يوليو ٢٠١٥م. في مدينة إستانبول بتركيا، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة في جامع السلطان محمد الفاتح. وحضر جنازته الرئيس التركي طيب رجب أردوغان ورئيس الوزراء أحمد داود أوغلو وأعضاء الحكومة التركية، تعبيرا عن مكانة الأديب الإسلامي علي نار - رحمه الله -

وأقيم يوم الجمعة ٢٤ تموز/ يوليو ٢٠١٥م، في الجامع نفسه بعد صلاة المغرب تأبين ودعاء للأديب الأستاذ علي نار، بحضور العديد من العلماء والأدباء الأتراك، وأعضاء الوقف العلمي والأدبي الإسلامي ومكتب الرابطة. رحم الله الفقيد، وأسكنه الفردوس الأعلى، و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

ورافق علي نار بدايات تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وكانت له اليد الطولى في افتتاح المكتب الإقليمي للرابطة في إستانبول عام ١٩٨٦م، وتولَّى رئاسته منذ تأسيسه، وشارك في نشاطاته وأعماله، أصدر مجلة (إسلامي أدبيات/ الأدب الإسلامي) باللغة التركيَّة، صدر منها أكثرُ من ستين عددًا إلى الآن، ومنها أعداد خاصَّة متميزة، وقد استضاف المكتب الإقليمي للرابطة بتركيا بإشرافه عددًا من مؤتمرات الهيئة العامة، وهي المؤتمر الثاني والثالث والرابع والثامن، وجرى تكريمُ الشيخ أبي الحسن الندوي في المؤتمر الرابع.

ولعلَّ من أجلِّ أعماله الريادية في دعم مسيرة الأدب الإسلاميِّ والنهوض به إنشاء وَقف خاصٍّ بمكتب الرابطة في تركيا؛ يُنفق على مشاريعه ومطبوعاته.

ويعدُّ علي نار من أشهرَ الأدباء الأتراك المعنيِّين بالأدب العربيِّ الإسلامي، فقد أصدر عددًا خاصًّا من مجلَّة الأدب الإسلاميِّ التركيَّة عن الأدب العربيِّ، هو العدد ٣٨، وأصدر مكتب الرابطة بإستانبول بإشرافه كتابًا يعرِّف بـ (٣٣) شاعرًا عربيًّا مع مختارات من أشعارهم بالتركيَّة، وأعد مقابل ذلك كتاب (٣٣) شاعرا تركيا مع مختارات من أشعارهم بالعربية، صدر من مكتب البلاد العربية.

ومن أهمِّ تراثه الأدبي: أدب الفُكاهة، يوميَّات الشرق الأوسط، يوميَّات الأناضول. وفي الرواية مملكة النحل، وفلاَّحو الفضاء، وفي القصة القصيرة نبع الجبل، الطبعة الأولى منها باسم: بحر الدم. ورأس المختار، وباقة ياسمين: قصص للأطفال، وفي المسرحية: الفتح، ورأس المختار. وفي الشعر ديوان «الدنيا التي لا تتَّسع لي»، ضمَّ جميع قصائده، ودواوينه، ومنها أسطول الأذان.

ومن أهم ترجماته من العربية إلى التركية: أربع روايات لنجيب الكيلاني هي: عذراء جاكرتا، وعمالقة الشَّمال، والظلُّ الأسود، ونور الله؛ في جزأين.

وترجم لعلي أحمد باكثير: رواية (وا إسلاماه)، ومسرحيَّة (قصر الهَودَج)، وعدة مسرحيَّات قصيرة لتوفيق الحكيم وغيره.

Erdoğan ve Davutoğlu, Ali Nar'ın cenaze törenine katıldı

CUMHURBASKANI Recep Tayyip Erdoğan ile Başbakan Ahmet Davutoğlu Cuma namazını Fatih Camii'nde birlikte kıldı. Cumhurbaşkanı ile Başbakan, daha sonra, dün vefat eden edebiyatçı Ali Nar'ın (74) aynı camide yapılan cenaze törenine katıldı.

رسالتكم سامية

سعادة الدكتور عبد القدوس أبو صالح الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي أن أبعث لسعادتكم بأرق التحيات، وأطيب التمنيات بأن يديم الله عليكم تاج الصحة والعافية، وأن يوفقكم في أداء هذه الرسالة السامية، وأن يثبت خطاكم في مسيرتكم الثقافية الطيبة التي تظهر جلية من خلال جهود معاليكم، وعليه فلا شك أن الرؤية الإستراتيجية لرابطة الأدب الاسلامي من كونها منظومة عمل تعزز الهوية الثقافية للأمة الإسلامية، وتؤصل دعائمها، وتبرز دورها الحضاري والمعرفي عبر جملة من البرامج والمشروعات الرائدة التي أراها قد عانقت الحدود العالمية والإقليمية والمحلية وفق مسار واضح ومنهجية علمية مرنة.

ومن جملة المشاريع التي تولت الرابطة تنفيذها، والتي يستحق أن يشار إليها بالبنان مشروع إدارة البحوث والدراسات الأدبية في مجالات الأدب الاسلامي، الذي أحدثت به نقلة نوعية في مسيرة الرابطة، بشهادة كثير من الباحثين والدارسين، الذين أكدوا على أهمية المشروع في تقديم جملة من الإصدارات الأدبية المتميزة التي أراها قد لبت حاجة قائمة بالفعل في مجال الشعر والنثر الملتزم بأخلاقيات الذوق الإسلامي، وهذا ما يحسب لكم -أستاذي الكريم- ولكافة العاملين على اختلاف الرتب والمسؤوليات.

تقبلوا مني فائق التقدير والاحترام.

أخوكم نعاس بن محمد عماري

أستاذ مساعد بجامعة زيان عاشور بالجلفة - الجزائر

الأدب الإسلامي ومشكلة المصطلح..

الإخوة الأفاضل في رابطة الأدب الإسلامي العالميّة..

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد وصلني منذ بضعة أيّام العدد ٨٣ من مجلّة الأدب الإسلامي، وفيه الحوار الذي أجريته مع الشّاعر الجزائري الأستاذ محمّد جربوعة، فلكم جزيل الشّكر وفائق الامتنان، ولقد قمت بتصوير الحوار ووضعه على صفحتي بالفايس بوك.

وقد تلقيت تفاعلا كبيرا مع هذا الحوار من كثير من الأصدقاء، وبعضهم اتصل بي من خلال الرّسائل الخاصة يناقش في قضيّة الأدب الإسلامي، ومشكلة المصطلح والتصنيف، ولاحظت أنّ كثيرا من الكتّاب العرب المسلمين رغم التزامهم ما يزالون على جهل كبير بحقيقة الأدب الإسلامي. وقد أحلت كثيرين منهم على موقع الرابطة في الفايس بوك، وسجّلوا إعجابهم.

لكنّ ذلك لا يكفي في نظري، بل ينبغي أن تفتح صفحة (مجموعة) خاصّة بالأدب الإسلامي تابعة للرابطة للتفاعل الفوري معها، فذلك أنفع وأكثر تأثيرا وتفاعلا مع الكتّاب والقرّاء..

وتقبّلوا تحياتي وسلامي.

عبدالله لالي - بسكرة - الجزائر

النقد والخريطة الإبداعية

د.مصطفى عطية جمعة- الكويت

نعني بالخريطة الإبداعية تحديد اتجاهات المبدعين، ومستوياتهم، وأبعاد تجاربهم، وما قد أضيف إلى منجز الأجيال السابقة. وقديما في تراثنا العربي، كانت هناك القصائد المعلقة، والحوليات، وكتب طبقات فحول الشعراء، ثم هناك نقاد يميزون بين الفحول والمجيدين والضعاف، بل هناك من يكتب في السرقات وينبه عليها وعلى مواضعها وأشكالها وشعرائها، ويشيرون إلى ذلك بوضوح.

إن الخريطة الإبداعية مفتقدة بالفعل، أمام المديح المجاني أو الهجوم الحاد، أو التجاهل التام، ولا تزال أسماء بعينها من الأجيال السابقة هي المذكورة والمحتلة للمشهد الثقافي وإن غابت بالجسد عنا منذ عقود، وهناك أسماء تلامس العقد الثمانيني ولا تزال تعض بالنواجذ على المناصب والزوايا الصحفية وتتسابق إعلاميا.

في واقعنا الثقافي اليوم، نجد أنفسنا أننا أمام إبداع متجدد، ومبدعين كثر، وأمام حركة نقدية محدودة، غارقة في البحث الأكاديمي، غير مواكبة للجديد الإبداعي، فابتعد الناقد المتخصص، وكثر المتشدقون المتحذلقون والهواة، وندر الموهوبون، وتلك آفة كبرى في حياتنا الثقافية، أن يتصدى هواة الكلام والظهور في المحافل الثقافية، وينزوي المتخصصون. وهناك نقاد مجتهدون على الساحة، ولكنهم يستندون للذائقة أكثر من المنهجية النقدية، لذا تظل قراءاتهم انطباعية، أقرب للذاتية منها إلى الموضوعية.

كما أن النقاد المتخصصين غير معنيين بالتعرف على اتجاهات وأنماط الإبداع الجديدة، ومن ثم وضع خريطة إبداعية لها، فبات الأمر كأنه دكاكين يرعاها أفراد، أكثر من كونه مؤسسات بخطط واضحة.

ومن هنا تأتي دعوتنا المتكررة إلى دعم الحركة النقدية، عبر دعم النقاد، والاحتفاء بجهودهم، وتمييز الموهوبين منهم، فلا أدب دون نقد حي فاعل، مثلما لا نقد دون أدب مبدع متجدد، وهذا الدعم يكون على المستوى المعنوي والمادي، فلا يعقل أن البعض يتعامل مع الناقد على أنه مبدع فاشل، أو أن دوره يقف عند تبيان الجيد من الرديء، وهي الدرجة الأولى من النقد، وينسى المنهجية والتأويل والتفسير. وفي سبيل هذا الأمر، لابد أن ندين الصورة التي يقدمها بعض النقاد (المعروفين)، التي تجعل الناقد يدور في دائرة ما يفيده شخصيا، فيمدح لمنفعة، وإعلاء لشخص ما، ويسكت عن آخرين تعمّدا أو غمطا، أو ليظل المشهور مشهورا، وتظل شبكة المصالح مستمرة، ومغلقة.

فكانت المحصلة أن المشهد الثقافي بات يغيب عنه النقد الجاد، ويتصدى غير النقاد للنقد، فلم يجد المبدعون من يحاورهم بشكل صحيح، ولا يدرس تجاربهم ويبصّرهم في سبلهم، ويضعهم في الخريطة الإبداعية، فهناك من المبدعين من ازداد غموضا، ومنهم من تسطح، ومنهم من انزوى■

كشاف مجلة الأدب الإسلامي

فهرس الموضوعات - المجلد الثاني والعشرون - الأعداد ٨٥-٨٨

الموضوع	الكاتب	الصفحة والعدد
الافتتاحية		
تشوهات في خارطة الثقافة العربية	مدير التحرير	٨٥/١
رحيل الشاعر الكبير محمد التهامي	مدير التحرير	٨٧/١
عندما يجور النقد	مدير التحرير	٨٦/١
الجاحظ والتعليم	رئيس التحرير	٨٨/١
بريد		
الأدب الإسلامي ومشكلة المصطلح	عبدالله لالي	٨٨/١٠٥
بقيت نافذة الأدب إلى قلبه وسيلة	عبدالحفيظ عبدالعزيز مسعود	٨٧/١١١
تحية إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية – شعر	محمد محمود محاسنة	٨٦/٩٩
تميز هذا العدد	علي خضران القرني	٨٥/١١١
رسالتكم سامية	نعاس محمد عماري	٨٨/١٠٥
مجلة الأدب الإسلامي أصبحت في مقام الوالد	محمد حمادو أحمد	٨٦/٩٩
مجلة الأدب الإسلامي في مكتبة الكلية	رابح بن خويا	٨٦/٩٩
مدين لمجهودكم العظيم في حقل الأدب الإسلامي	عبدالوهاب الدويري	٨٥/١١١
تراث الأدب الإسلامي		
ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل- شعر	أبو العلاء المعري	٨٧/٦٤
إن من البيان لسحرا	أبو المظفر الأبيوردي	٨٨/٥٠
الشعر حسنه وقبيحه	القرطبي	٨٥/٥٤
تعقيب		
عندما يكون السلطان موضع اتهام.. إضاءة على المسرح الإسلامي التركي	محمود كحيلة	٨٦/٨٨
ثمرات المطابع		
بروتوكولات صهيون	نعمات أحمد فؤاد	٨٥/٧٨
محمد عاكف أرصوي شاعرا تركيا	محمد موسى الشريف	٨٨/٧٦
دراسات ومقالات		
آراء محمد التهامي في الشعر والشعراء	السيد أحمد أبو شنب	٨٧/٥٢
أدب التمثيلية الإذاعية – الورقة الأخيرة	عبدالباسط بدر	٨٧/١١٢
أدبنا المعاصر والتاريخ – الورقة الأخيرة	عبد الباسط بدر	٨٥/١١٢
أزمة قراءة .. أزمة نقد	مصطفى عطية جمعة	٨٦/٦٠
الإسلام والفن كيف يلتقيان؟	عبدالملك بو منجل	٨٥/٤
إمام علي الشيخ وموقعه في خارطة الشعر السوداني	محمد عثمان صالح	٨٥/١٤
أهمية المكان في إثراء التوهج الروحي في ترجمة الشيخ أبي الحسن الندوي لروائع إقبال	سعد أبو الرضا	٨٨/١٢
بليونش في الشعر المغربي	سفيان الحتاش	٨٦/٨٠
تأملات نقدية في أدب د. وليد قصاب	صلاح عدس	٨٨/٣٨
تقاطعات الكذب والتخييل في النقد العربي القديم	خالد عبدالله الغازي	٨٨/٢٢
التناص في شعر وليد قصاب	مضر محمد الشيخ عبدو	٨٦/٦٦
الجلال والجمال في ديوان أنا مسلم للتهامي	عادل إبراهيم عبدالله	٨٧/٣٤
جماليات الأدب الإسلامي	عبدالقادر الرباعي	٨٨/٤
الحق والجهاد والشهادة في ديوان أغنيات لعشاق الوطن لمحمد التهامي	سعد أبو الرضا	٨٧/٢٢
راشد المبارك امتداد للحضارة الخالدة	مرزوق بن تنباك	٨٦/٤٥
راشد المبارك امتداد للحضارة الخالدة	الزبير بن إبراهيم المبارك	٨٦/٤٦

تابع فهرس الموضوعات - المجلد الثاني والعشرون - الأعداد ٨٥-٨٨

الموضوع	الكاتب	الصفحة والعدد
راشد المبارك ترك آثاراحسنة	أحمد محمد باجنيد	٨٦/٣٧
راشد المبارك رجل مبارك له من اسمه أوفر الحظ والنصيب	عبدالله صالح العريني	٨٦/٣٨
راشد المبارك في عيون الأدباء والنقاد والكتاب	التحرير	٨٦/٥٢
راشد المبارك في ندوة الوفاء	التحرير	٨٦/٣٦
راشد المبارك يرثي نفسه	عبدالله القفاري	٨٦/٣٢
رحل عاشق العروبة	محمد عبدالشافي القوصي	٨٧/٤٢
رحيل شاعر كبير	فاروق جويدة	٨٧/٤٥
الشاعر محمد التهامي في ميزان الأدباء والنقاد	السيد أحمد أبو شنب	٨٧/٤٦
الصراع الحضاري بين الأنا والآخر في رواية عمر يظهر في القدس لنجيب الكيلاني	بو حفص بو جمعة	٨٦/١٢
طبيعة الشخصيات في قصص نجيب الكيلاني	نصرالدين دلاوي	٨٧/٤
ظلال التراث في كتابة المسرح الإسلامي	الطيب رحماني	٨٧/١٦
فلسطين في الشعر الجزائري الحديث	محمد سيف الإسلام بوفلاقة	٨٥/٨٢
القضايا الإنسانية في شعر عيسى ألبي أبو بكر	يعقوب عبدالله، لطيف أونيريتي إبراهيم	٨٨/٥٤
اللا أدب وصناعة الوهم الإبداعي	أحمد عبدالعظيم رومية	٨٨/٦٨
محمد التهامي صاحب شعار أنا مسلم	السيف فاروق	٨٧/٦٠
المديح النبوي في شعر الشعراء الأرديين غير المسلمين	فيضان قادر	٨٥/٧٠
مفهوم القراءة والقارئ عند ابن المقفع	سعيد أصيل	٨٥/٦٠
الملا فتح الله الحلبي ثم المدني الشهير بالنحاس	زينب صبري بيره جكلي	٨٥/٤٦
من قضايا النقد الأدبي الإسلامي في العصر الحديث	علي محمد الحمود	٨٦/٤
من قضايا النقد العربي القديم: الاستقلالية والانفتاح	الطيب رحماني	٨٥/٣٤
من معطيات السيرة – الورقة الأخيرة	عبدالباسط بدر	٨٦/١١٢
المنهج النقدي الغربي والمقدس الديني	أمينة حاج داود	٨٥/٧٤
نحو رؤية مستقبلية لأدب الطفل العربي	محمد محمود العطار	٨٧/٦٨
نظرات في فكر وفلسفة راشد المبارك	يحيى محمد شيخ أبو الخير	٨٦/٣٩
نموذج المرأة في الحضارتين الإسلامية والغربية	زينب صبري بيره جكلي	٨٨/٤٢
رسائل جامعية		
الاتجاه الإسلامي في النقد النظري عند عمادالدين خليل.. دراسة تحليلية وصفية	راشد حمود الفراج	٨٦/٩٢
دور أبي الحسن الندوي في تطوير الأدب العربي بالتركيز على رابطة الأدب الإسلامي	حمدون فجي محيي الدين	٨٧/٩٠
القيم الإنسانية والجمالية في قصص نجيب الكيلاني	نصرالدين دلاوي	٨٨/٩٢
النقد التطبيقي عند د. حسين علي محمد .. دراسة وتقويما	مساعد بن مطلق الحربي	٨٥/٩٤
الشعر		
أخ يرثي أخاه	محمود مفلح	٨٥/٦٥
الأرحام	محيي الدين عطية	٨٧/٢٠
أرق	عبدالرحيم الماسخ	٨٦/٧٩
استغاثة	عبدالرحيم الماسخ	٨٧/١٤
اصبر وصابر	صالح محمد جرار	٨٧/٩٦
إلى أين؟	محمد التهامي	٨٧/٤١
أماه	معاذ نحاس	٨٥/٧٣
أنت الإله	شهاب غانم	٨٨/٥١
إنسانية طائر	عبدالله سالم زين باحميد	٨٧/٨٦

تابع فهرس الموضوعات - المجلد الثاني والعشرون - الأعداد ٨٥-٨٨

الموضوع	الكاتب	الصفحة والعدد
بكاء النخيل	عبدالرحيم الماسخ	٨٥/٢٩
بلا وداع.. في رثاء د. محمد أحمد الرشيد	أحمد البراء الأميري	٨٥/١٣
بين يدي المجد	حبيب بن معلا المطيري	٨٥/١٠٣
ثمار الغرس	أبو فراس النطافي	٨٥/٧٧
رسالة إلى بغداد	أشرف محمد قاسم	٨٧/٩٨
دوامة الحلم	محمد التهامي	٨٧/٥٩
ذرني أعيش مسبحا بعلاه	حنان ربيع أحمد	٨٨/٧٠
راشد.. في رثاء د. راشد المبارك	حيدر الغدير	٨٦/٤٨
رحلة الروح	إبراهيم أبو طالب	٨٥/٤٥
رسالة قبل الرحيل	راشد المبارك	٨٦/٣٣
سأبوح باسم حبيبتي	محمد مصطفى البلخي	٨٦/٩١
سر الهوى	أحمد بشار بركات	٨٦/١١
سهام الوجد	محيي الدين صالح	٨٨/٩١
شاعر الأمة.. في رثاء محمد التهامي	نوال مهنى	٨٧/٥٠
شهادة التوحيد	رفعت عبدالوهاب المرصفي	٨٨/١٠
صوت من المخيم	محمد التهامي	٨٧/٢٦
الطريق إليك	فاطمة محمد شنون	٨٨/٢٧
الطفل والبحر .. في رثاء سليم زنجير	أحمد البراء الأميري	٨٧/٢١
طود الأصالة.. في رثاء محمد التهامي	وحيد حامد دهشان	٨٧/٥١
عزف على وتر اليأس	سالم بن رزيق بن عوض	٨٥/٨١
عطر الشعر	عبدالسلام كامل عبدالسلام	٨٨/٧٣
عطش النهر	راشد المبارك	٨٦/٤٧
في رثاء الدكتور ناصرالدين الأسد	ماهر قاسم	٨٧/١٠٥
في عرفات	مصطفى عكرمة	٨٨/١١
قبائل النسرين هامش على قرطاس المتنبي	فهد أبو حميد	٨٥/٥٣
القدس مدينة الصلاة	سهام عبدالله	٨٥/٩٧
قهوة العربية الفصحى	أكرم جميل قنبس	٨٨/٩٦
لقاء	إيمان بدران	٨٨/٤٠
لهفي عليك.. في رثاء د. راشد المبارك	وليد قصاب	٨٦/٥١
ما وراء القلق	محمود محمد كلزي	٨٥/٦٩
المسجد الأقصى	محمد ياسر أمين الفتوى	٨٥/٢٣
مطر	خديجة الطيب دبة	٨٧/٨١
من ضياء الضاد	جودت علي أبو بكر	٨٥/٥٢
من القيامة الأولى	عادل فرج عبدالعال	٨٥/٩٣
منفى	أشرف محمد قاسم	٨٥/٧٢
من ماء زمزم	عودة أبو عودة	٨٨/٣٤
نبع الحنان	حيدر مصطفى البدراني	٨٧/٧٥
نقوش في مرايا الليل	سالم بن رزيق بن عوض	٨٧/٩٤
نهاية وبداية	مصطفى عكرمة	٨٦/٣١
وانطفأ السراج.. في رثاء د. محمد علي الهرفي	عبدالرزاق حسين	٨٦/٧٧
يارب	محمود مفلح	٨٧/١٥
يا سائلي عن راشد.. في رثاء د. راشد المبارك	عبدالقدوس أبو صالح	٨٦/٣٥

تابع فهرس الموضوعات - المجلد الثاني والعشرون - الأعداد ٨١-٨٤

الموضوع	الكاتب	الصفحة والعدد
يا سيدا كان في الأفلاك مسكنه.. في رثاء د. راشد المبارك	أحمد التويجري	٨٦/٥٠
يا عرب القدس متى غده	عبير حسين إبراهيم	٨٥/٧٦
قصة		
أما زلت تكتبين؟	صورية مروشي	٨٥/٥٥
إن مع العسر يسرا	ربيع زعيمية	٨٨/٧٤
بطل من سراب	عائشة سجيد	٨٥/٨٦
الجدار	فؤاد عفاني	٨٦/٩٥
الحمامة وغصن الزيتون - نثيرة	رشيد كهوس	٨٨/٢١
خالي الحبيب	وفاء نبيل	٨٦/٧٨
دماء ودمى	علاء سعد حميدة	٨٦/٨٧
ذكرى بذوق الدم	سعيدة بشار	٨٨/٨٢
الرصافي في الفلوجة	عمر الراوي	٨٦/٢٢
الشركاء - خاطرة	صورية مروشي	٨٧/٨٨
عذراء	نادية البرعي	٨٧/٨٩
عكاكيز	محمد عبد الصمد الإدريسي	٨٥/٦٦
العلبة	سعيد أصيل	٨٧/٩٧
الغرقد	وليد سميح العوضي	٨٥/٥٦
غريب في أرض الوطن	خالد بريه	٨٧/٧٦
الغريب والكلاب	صديق حامد نزاركي	٨٥/٢٤
في حديقة حي السلام	عمر فتال	٨٨/٥٢
قصة جديدة	عمر الكريمي أبو سعد	٨٨/٥٣
قلب الأم	عمر طاهيري	٨٧/٦٦
القهر	سعاد التوزاني	٨٦/٥٩
لقاء بعد حين	خليل محمود الصمادي	٨٥/٤٢
المصباح الذي لم ينطفئ	خليل محمود الصمادي	٨٨/٦٤
الهارب	محمد حمادو أحمد	٨٨/٤١
وجوه ووجوه	نورة البقمي	٨٥/٣٣
لقاء العدد		
مع الدكتور حسين نصار	حوار: صلاح حسن رشيد	٨٥/٣٠
مع الدكتور كمال مقابلة	حوار: عبدالرحمن نجم	٨٦/٢٤
مع الشاعر الكبير محمد التهامي	التحرير	٨٧/٢٨
مع الدكتور محمد حسان الطيان	حوار: أيمن ذو الغنى	٨٨/٢٨
مسرحية		
حوار مع الشيطان	وليد قصاب	٨٧/٨٢
خديجة بنت خويلد	حمادة إبراهيم	٨٨/٨٤
عبدالرحمن بن عوف	حمادة إبراهيم	٨٥/٨٨
مكتبة		
أحاديث وأسمار للدكتور عبدالقدوس أبو صالح	سعد أبو الرضا	٨٦/٩٦
الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق تأليف د. مكارم محمود الديري	التحرير	٨٧/٩٩
الوسطية في الأدب الإسلامي للدكتور وليد قصاب	التحرير	٨٥/٩٨

كشاف مجلة الأدب الإسلامي

فهرس الكتاب - المجلد الثاني والعشرون - الأعداد ٨٥-٨٨

اسم الكاتب	الصفحة والعدد	اسم الكاتب	الصفحة والعدد
إبراهيم أبو طالب	٨٥/٤٥	ربيع زعيمية	٨٨/٧٤
أبو العلاء المعري	٨٧/٦٤	رشيد كهوس	٨٨/٢١
أبو فراس النطافي	٨٥/٧٧	رفعت عبدالوهاب المرصفي	٨٨/١٠
أبو المظفر الأبيوردي	٨٨/٥٠	الزبير بن إبراهيم المبارك	٨٦/٤٦
أحمد البراء الأميري	٨٥/١٣، ٨٧/٢١	زينب صبري بيره جكلي	٨٥/٤٦، ٨٨/٤٢
أحمد بشار بركات	٨٦/١١	سالم رزيق بن عوض	٨٥/٨١، ٨٧/٩٤
أحمد التويجري	٨٦/٥٠	سعاد التوزاني	٨٦/٥٩
أحمد عبدالعظيم رومية	٨٨/٦٨	سعد أبو الرضا	٨٦/٩٦، ٨٧/٢٢، ٨٨/١٢
أحمد محمد باجنيد	٨٦/٣٧	سعيد أصيل	٨٥/٦٠، ٨٧/٩٧
أشرف محمد قاسم	٨٥/٧٢، ٨٨/٩٨	سعيدة بشار	٨٨/٨٢
أكرم جميل قنبس	٨٨/٩٦	سفيان الحتاش	٨٦/٨٠
أمينة حاج داود	٨٥/٧٤	سهام عبدالله	٨٥/٩٧
إيمان بدران	٨٨/٤٠	السيد أحمد أبو شنب	٨٧/٤٦، ٨٧/٥٢
أيمن ذو الغنى	٨٨/٢٨	السيف فاروق	٨٧/٦٠
بو حفص بو جمعة	٨٦/١٢	شهاب غانم	٨٨/٥١
جودت علي أبو بكر	٨٥/٥٢	صالح محمد جرار	٨٧/٩٦
حبيب بن معلا المطيري	٨٥/١٠٣	صديق حامد نزاركي	٨٥/٢٤
حمادة إبراهيم	٨٥/٨٨، ٨٨/٨٤	صلاح حسن رشيد	٨٥/٣٠
حمدون فجي محيي الدين	٨٧/٩٠	صلاح عدس	٨٨/٣٨
حنان ربيع أحمد	٨٨/٧٠	صورية مروشي	٨٥/٥٥، ٨٧/٨٨
حيدر الغدير	٨٦/٤٨	الطيب رحماني	٨٥/٣٤، ٨٧/١٦
حيدر مصطفى البدراني	٨٧/٧٥	عائشة سجيد	٨٥/٨٦
خالد برية	٨٧/٧٦	عادل إبراهيم عبدالله	٨٧/٣٤
خالد عبدالله الغازي	٨٨/٢٢	عادل فرج عبدالعال	٨٥/٩٣
خديجة الطيب دبة	٨٧/٨١	عبد الباسط بدر	٨٥/١١٢، ٨٦/١١٢، ٨٧/١١٢
خليل محمود الصمادي	٨٥/٤٢، ٨٨/٦٤	عبدالحفيظ عبدالعزيز مسعود	٨٧/١١١
رابح بن خويا	٨٦/٩٩	عبدالرحمن نجم	٨٥/٢٤
راشد المبارك	٨٦/٣٣، ٨٦/٤٧	عبدالرحيم الماسخ	٨٥/٢٩، ٨٦/٧٩، ٨٧/١٤
راشد حمود الفراج	٨٦/٩٢	عبدالرزاق حسين	٨٦/٧٧

تابع فهرس الكتاب - المجلد الثاني والعشرون - الأعداد ٨٥-٨٨

اسم الكاتب	الصفحة والعدد	اسم الكاتب	الصفحة والعدد
عبدالسلام كامل عبدالسلام	٨٨/٧٣	محمد عبد الصمد الإدريسي	٨٥/٦٦
عبدالقادر الرباعي	٨٨/٤	محمد عثمان صالح	٨٥/١٤
عبدالقدوس أبو صالح	٨٦/٣٥	محمد محمود العطار	٨٧/٦٨
عبدالله سالم زين باحميد	٨٧/٨٦	محمد محمود محاسنة	٨٦/٩٩
عبدالله صالح العريني	٨٦/٣٨	محمد مصطفى البلخي	٨٦/٩١
عبدالله القفاري	٨٦/٣٢	محمد موسى الشريف	٨٨/٧٦
عبدالله لالي	٨٨/١٠٥	محمد ياسر أمين الفتوى	٨٥/٢٣
عبدالملك بو منجل	٨٥/٤	محمود كحيلة	٨٦/٨٨
عبدالوهاب الدويري	٨٥/١١١	محمود محمد كلزي	٨٥/٦٩
عبير حسين إبراهيم	٨٥/٧٦	محمود مفلح	٨٧/١٥ ،٨٦/٦٥
علاء سعد حميدة	٨٦/٨٧	محيي الدين صالح	٨٨/٩١
علي خضران القرني	٨٥/١١١	محيي الدين عطية	٨٧/٢٠
علي محمد الحمود	٨٦/٤	مرزوق بن تنباك	٨٦/٤٥
عمر الراوي	٨٦/٢٢	مساعد بن مطلق الحربي	٨٥/٩٤
عمر طاهيري	٨٧/٦٦	مصطفى عطية جمعة	٨٨/١٠٦ ،٨٦/٦٠
عمر فتال	٨٨/٥٢	مصطفى عكرمة	٨٨/١١ ،٨٦/٣١
عمر الكريمي أبو سعد	٨٨/٥٣	مضر محمد الشيخ عبدو	٨٦/٦٦
عودة أبو عودة	٨٨/٣٤	معاذ نحاس	٨٥/٧٣
فاروق جويدة	٨٧/٤٥	نادية البرعي	٨٧/٨٩
فاطمة محمد شنون	٨٨/٢٧	نصرالدين دلاوي	٨٨/٩٢ ،٨٧/٤
فهد أبو حميد	٨٥/٥٣	نعاس محمد عماري	٨٨/١٠٥
فؤاد عفاني	٨٦/٩٥	نعمات أحمد فؤاد	٨٥/٧٨
فيضان قادر	٨٥/٧٠	نوال مهنى	٨٧/٥٠
القرطبي	٨٥/٥٤	نورة البقمي	٨٥/٣٣
لطيف أونيريتي إبراهيم	٨٨/٥٤	وحيد حامد دهشان	٨٧/٥١
ماهر قاسم	٨٧/١٠٥	وفاء نبيل	٨٦/٧٨
محمد التهامي	٨٧/٢٦، ٨٧/٤١، ٨٧/٥٩	وليد سميح العوضي	٨٥/٥٦
محمد حمادو أحمد	٨٨/٤١ ،٨٦/٩٩	وليد قصاب	٨٧/٨٢ ،٨٦/٥١
محمد سيف الإسلام بوفلاقة	٨٥/٨٢	يحيى محمد شيخ أبو الخير	٨٦/٣٩
محمد عبدالشافي القوصي	٨٧/٤٢	يعقوب عبدالله	٨٨/٥٤

عدنان علي رضا النحوي

أديباً وشاعراً وناقداً

عدد خاص

تعتزم مجلة الأدب الإسلامي إصدار عدد خاص عن الأديب الشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي، رحمه الله، يتناول بالدراسة والعرض جهوده في الأدب الإسلامي إبداعا، وتنظيرا، ونقدا، من خلال مؤلفاته الكثيرة، أو الكشف عن جوانب أدبية ونقدية في مؤلفاته.

وتهيب بالإخوة الكتاب والباحثين إرسال كتاباتهم إلى المجلة بمراعاة الشروط الآتية:

- دراسة أحد دواوينه الشعرية، أو ظاهرة شعرية في دواوينه.
- دراسة إحدى ملاحمه الشعرية، ورؤيته النقدية في الشعر والملحمة تنظيرا وتطبيقا.
- الكتابة عن جهوده في التنظير للأدب الإسلامي، ونقده.
- الكتابة عن اهتمامه وعنايته باللغة العربية.
- الكتابة عنه من خلال ما كتبه الآخرون في أدبه ونقده.
- أن يكون الموضوع موثقا وغير منشور.
- أن يكون في حدود عشر صفحات، بخط ١٦.
- آخر موعد لوصول الموضوعات ٢٠١٥/١٠/١م.
- إرسال عنوان الموضوع الذي اختير للكتابة لنشره في الموقع تفاديا للتكرار.

ترسل المشاركات بالبريد الإلكتروني إلى: info@adabislami.org

وفي الموقع الإلكتروني للرابطة عناوين كتبه الأدبية والنقدية ودواوينه الشعرية:

www.adabislami.org

من إصدرات
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
(المجموعة الأولى)

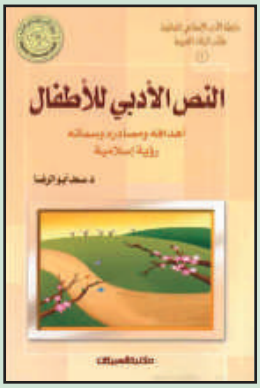

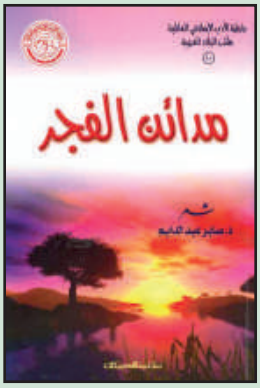

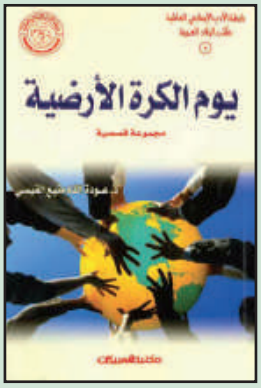

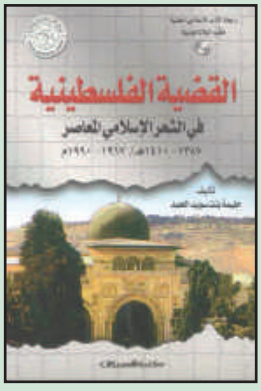

من إصدرات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

(المجموعة الثانية)